

الإسلام

الذي لا يعرفه الآخرون

تأليف

أبو عبد الرحمن

حامد محمد غانم







الإسلام

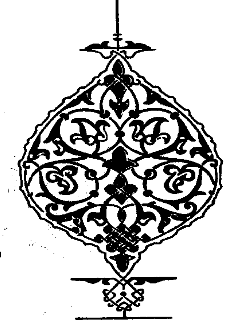
الذي لا يعرفه الآخرون



رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع
٢٠٠٧/٢٠٩٠٣

الترقيم الدولي
977/331/444/8



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠ - ٠٢٢٢٠٠٢ - ٥
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴿١﴾ ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴿٧١﴾ ﴾ .

[الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فإنَّ أحسن الكلام كلام الله تعالي ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

وبعد :

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله صاحب الفضل والنعم،عظيم الجود والكرم، نحمده سبحانه وتعالى حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، له الحمد على نعمة الإسلام والإيمان ، هذه النعمة العظيمة التي لا يشعر بها إلا من ذاق حلاوتها ، وكفي بها من نعمة ، الحمد لله الذي أرسل إلينا رسوله محمداً ﷺ وامتنَّ علينا وعلى الناس جميعًا ، أن أرسل لنا خاتم رسله وأكرم رسله ـ ﷺ ـ ،

فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾ .
[آل عمران : ١٦٤] .

فقام النَّبيّ النعمة المهداة من الله بواجبه على أكمل وجه، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمَّة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ونحن على ذلك من الشاهدين، فجزاه الله عنا وعن الإسلام خير ما جزى الله نبيًّا عن أُمَّته ، ورسولاً عن دعوته ، وصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً .

وبعد :

أولاً : الباعث على تأليف هذا العمل :

لقد اشتدت العداوة للإسلام واشتدت الحرب ضده خاصة في عصر الفضائيات وأعلنت الحرب الإعلامية على الإسلام ، وقامت وسائل الإعلام الغربية والعربية المأجورة بالطعن في الإسلام وتشويه صورته وإلصاق التهم الباطلة به لصد الناس عنه. فكان الإسلام في أشد الحاجة إلى من يوضح حقيقته ويظهر صورته المشرقة للعالم شرقًا وغربًا، ويرد كيد هؤلاء المبطلين ويذكر حقائق الإسلام ومبادئه وقيمه وأخلاقه ، حتى يتعرف العالم على هذا الدين العظيم ، ولقد حاولت أن أجد كتابًا من كتب التراث الإسلامي العظيم مما كتبه العلماء الأجلاء الذين حملوا إلينا هذا الدين ، لكن في حدود علمي واطلاعي لم أجد من كتب من الأقدمين في هذا الموضوع كتابا شاملاً في عقيدة الإسلام ومبادئه وأسسه ورد الشبهات عنه ، وإن كان كل ذلك موجوداً لكن بصورة مبعثرة في الكتب تحتاج إلى من ينقب عنها في مصادرها الأصلية، فما كتب في الإسلام قديمًا إما كتب في العقيدة أو الحديث أو التفسير أو الفقه والسيرة أو أي علم من علوم الإسلام .

لكن لم أجد كتابًا واحدًا يوضح معني الإسلام ويذكر مبادئه وأخلاقه وإنما كل ذلك مبعثر في الكتب ، ومما أكد لي ذلك الأمر أني قرأت يوما أن جماعة من

الغرب جاءوا إلى مصر وإلى الأزهر ليتعرفوا على الإسلام والتقوا ببعض علماء الأزهر الشريف الذين وضحوا لهم حقيقة الإسلام النقية لكن طلبوا منهم كتاباً شاملا يعرف الإسلام ، فكانت المفاجأة أنهم لم يجدوا إلا كتبًا متخصصة في العلوم الإسلامية كالعقيدة والتفسير والعلوم التي ذكرت آنفا ، مما دفع بعض العلماء المعاصرين جزاهم الله خيراً من وضع بعض الكتب التي تعرف بالإسلام كالشيخ محمد الغزالي في كتابه (هذا ديننا) والشيخ عبد الحليم محمود في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) والشيخ مبشر الطراز الحسيني في كتابه (الإسلام الدين الفطري الأبدي)، فأردت أن أسير على ضرب هؤلاء الأعلام وأساهم مساهمة متواضعة في توضيح حقيقة الإسلام حتى يتبين للناس جميعًا الحق من الباطل ، والصدق من الكذب، وقد سميته :

[الإسلام الذي لا يعرفه الآخرون] .

ثانيا الهدف من البحث :

الهدف من هذا البحث أمران : الأول: هو تعريف ميسر للإسلام وذلك لغير المسلمين حتى يتعرفوا على كلمة الإسلام ومعناها ، وعقيدة الإسلام وأركانها، ومبادئ الإسلام وقيمه وأخلاقه،ثم رد بعض الشبهات التي أثيرت حول الإسلام ، وقد ذكرت على كل ركن من أركان الإسلام الدليل العقلي الواقعي الذي يقبله كل عقل سليم مما يدل على صدق الإسلام وصدق النَّبيِّ ﷺ ، ذلك الدليل الذي لا يدع مجالا للشك أو الطعن في صدق الإسلام.

الأمر الثاني: أنه وللأسف فإن كثيراً من المسلمين الآن مسلمون بالتقليد والتبعية لأهليهم ولأنهم ولدوا ونشأوا مسلمين ، ولكن لا يعرفون لماذا هم مسلمون ؟ ، ولا يعرفون الدليل على صدق الإسلام والنَّبيِّ ﷺ ، فأردت أن أضع أمام كل مسلم الدليل العقلي والبرهان الساطع ، حتى يكون مسلمًا عن يقين ودليل واقتناع ، وليس مجرد تقليد أو ميراث.

ثالثاً: منهج البحث :

وقد سرت في هذا البحث على الحوار العقلي الميسر واقتفيت في ذلك أثر الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عندما حضر أمام النجاشي وطلب النجاشي من جعفر أن يشرح له الإسلام ويوضح حقيقته في أقل كلمات وأوضح عبارات، فقال جعفر كلمات يسيرة لكنها كانت تحمل معنى الإسلام كله، قال : (كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منَّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ولنعبده ، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ،وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام) .

فقد عرض جعفر مساوئ الكفر والجاهلية ووضح حقيقة الإسلام ، وهذا ما حاولت القيام به في هذا العمل المتواضع فإن أصابني التوفيق فبفضل من الله ونعمة ، وإن أخطأت أو قصرت فمن نفسي ومن الشيطان ، والله ورسوله ودينه منه براء. وصلي الله وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

كتبه

أبو عبد الرحمن

حامد محمد غانم

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

حاجة البشر للدين والبحث عن الخالق

الإيمان و الدين ضرورة من ضروريات الحياة للإنسان، فلا يستطيع الإنسان أن يحيا بعيدا عن الدين أو الإيمان ، بغض النظر عن طبيعة هذا الدين سواء كان دينا سماويًا أودينًا وضعيًا .

لأن الدين شيء فطري داخل الإنسان ليس شيئًا عارضًا قد يتخلى عنه في لحظة من اللحظات وهؤلاء الذين لا يدينون بأي دين هم في الحقيقة مؤمنون يدينون لهذه الفكرة التي يزعمونها من أن الدين خرافة أو أفيون الشعوب ،كما يقولون.

لكن السؤال لماذا كان الدين ضرورة من ضروريات الحياة ؟!

للإجابة على هذا السؤال قد يستطيع الإنسان بنفسه أن يفكر في الإجابة ولكن اسمح لي أيها القارئ الكريم أن أحاول أن أضع لك بعض العلامات التي أظن أنها قد تساعدك في الإجابة ، أو لتعرف إجابتي على هذا السؤال وما هداني إليه عقلي .

والإجابة عندي في أسباب ثلاثة وهي :

السبب الأول : إذا نظرنا نجد أن الإنسان يتكون من شيئين هما الجسد والروح ، الجسد يمثل المادة المحسوسة والمرئية من الإنسان أعضاؤه وأجهزته وشكله ولونه وهكذا ، وهذا الجسد المادي المحسوس له غذاء لا يستطيع أن يعيش بدونه ألا هو الطعام والشراب والجنس ، قد يستطيع أن يعيش فترة من الزمان طالت أو قصرت لكنه لا يستطيع أن يستغني عنه كلية ، فالطعام والشراب والجنس هم

غذاء هذا البدن المادي المحسوس ، وكما أن الجسد له غذاء كذلك الروح لها غذاء ولكن غذاء الروح ليس كغذاء الجسد فكما أن الروح شيء غير مادي وغير محسوس فإن غذاءها كذلك لابد أن يكون غير مادي أو محسوس .

ولا يستطيع الإنسان أن يعيش على غذاء البدن فقط لأن الإنسان إذا لم تتغذى روحه أصبح عرضة للقلق والاضطراب النفسي والأمراض النفسية المعقدة واليأس والإحباط فكم نسمع عن أناس في ريعان الشباب وعندهم كل ما يحتاجون إليه ، عندهم الأموال والنساء وجميع متع الحياة وكم من مشاهير في الفن والسياسة وغيرهم وعندهم كل شيء ومع ذلك يقبلون على الانتحار خروجاً من الكبت والإحباط والحالة النفسية التي يمرون بها لأن عندهم خواءً روحيًا، والعامل الوحيد الذي يغذي الروح هو الدين لأن الدين هو الذي يشبع رغبات الروح ويعطيها ما تشاء وإذا حاول الإنسان بأي طريقة بعيدا عن الدين فلن ينجح في ذلك ، أيها القارئ الكريم جرب بنفسك وستعرف النتيجة التي تؤيد صدق هذه الكلمات .

السبب الثاني : كما أن الإنسان يحتاج إلى الدين لغذاء روحه وإشباع رغباتها فإنه أيضًا يحتاج إلى الدين لأكثر من ذلك ، فعلى سبيل المثال وليس الحصر ، هناك أسئلة تدور في ذهن كل إنسان ويحاول الإنسان أن يجد إجابة لهذه الأسئلة التي تدور في ذهنه وكل يبحث بطريقته لكن لن يستطيع أن يصل إلى الإجابة الصحيحة ، لماذا ؟! ، لأني كإنسان أحتاج إلى الإجابة ولا أعرفها ولا أستطيع الوصول إليها ،إذا سألت غيري فسأجده لا يعرف أيضًا فيكون في حاجة إلى من يخبره بها ، فأين إذا نجد الإجابة لن يجد الإجابة إلا من خلال الدين .

على سبيل المثال من هذه الأسئلة من أنا ؟، أنا الإنسان الموجود من أكون ؟ ، أين كنت قبل أن أوجد ؟ ، ما هو أصلي في الوجود؟ ، إذا كان الجواب والدي فالسؤال مازال قائما كيف وجد والدي ؟، وهكذا جدي وجده إلى البداية ، أين

كان الإنسان الأول من الذي أوجده ؟ ، ومما يتكون هذا الإنسان ؟، وما الهدف من وجوده في تلك الحياة وما هي نهايته ؟ ، وهل نهاية الإنسان الموت أم أن هناك حياة أخرى ؟، وهذا الكون الذي ولدت فوجدته وولد أبي وجدي فوجدوه من سماء وأرض وأنهار وبحار ، وغيرها من مظاهر الطبيعة متي وجدت ؟ ، ولماذا وجدت ؟ ، من الذي أوجدها على هذا النسق من آلاف السنين وهي تمر في نسق تام فيما بينها ، من الذي أوجدها ؟ من الذي أبدعها ؟!! .

هذه الأسئلة تدور في الأذهان فأين الإجابة على هذه الأسئلة في هذه الحياة ، من الذي يستطيع أن يجيب عليها بعيدا عن الدين ؟ قد يقول قائل العلم الحديث يستطيع ، فاقول إذا كان العلم الحديث يستطيع الآن فمن الذي أجاب عليها للإنسان الأول ؟ ، وحتي الآن العلم الحديث لن يستطيع ان يجيب عليها ، لأن هناك دولا متقدمة علميًا وصناعيًا ومع ذلك إلى الآن تجهل الإجابة على هذه الأسئلة .

وإذا كانت الأديان الموجودة الآن سواء كانت وضعية وضعها البشر أو السماوية التي نزلت من عند الله قبل الإسلام لا تجيب عن هذه الأسئلة بعد تحريفها فإن الإسلام أجاب على هذه الأسئلة في وضوح ويسر ومنطق يقبله قلب الإنسان وعقله مما يجعل الإنسان يطمئن قلبه ويرتاح باله وتهدأ نفسه إلى هذه الإجابة .

السبب الثالث : أن الناس في حاجة ماسة إلى من ينظم لهم علاقاتهم بخالقهم وعلاقتهم ببعضهم البعض ، وعلاقتهم بالكون الذي يعيشون فيه ، فإن الإنسان مخلوق والكل يعلم ذلك علم اليقين ، فهو في حاجة إلى من يدله على خالقه، وكيف تكون العلاقة بينه وبين خالقه ، ما الذي يرضيه؟ ، وما الذي يغضبه ؟ ، لن يستطيع الإنسان أن يصل إلى ذلك بعيداً عن الدين ، وكذلك فإن الإنسان يحتاج إلى من ينظم له علاقته ويضع القوانين التي تحكم الناس وإذا كان الناس يضعون قوانين حياتهم بأنفسهم فإن هذه القوانين لابد أن يشوبها القصور

لأن هذه القوانين نتيجة لعقول وأفكار بشرية ، ومع أن العقول تستطيع أن تضع الكثير من القوانين ، إلا أن العقول متفاوتة فيما بينها فليست العقول واحدة ، فعلى سبيل المثال قانون يبيح إعدام القاتل هذا القانون تقبله بعض الدول وترفضه دول أخرى ، وهناك قانون يبيح قتل النفس لمرض أو غيره وبلاد أخرى ترفضه .

وهناك أمور قد يراها إنسان خير وقد يراها آخر شر ،فقد يرى إنسان أن شرب الخمر أمر طبيعي لا غبار عليه ويراه آخر خطأ ينبغي أن يجتنبه الإنسان،لما فيه من ضرر وخاصة ضرر غياب العقل ، إذا فالعقول متفاوتة لا تستطيع أن تتفق جميع العقول على أمر واحد لذلك تنتج اختلافات كثيرة وهذا أمر طبيعي ، ثم إن الإنسان قد يضع قانون أو نظام يجد أن فيه الخير والمصلحة ، ثم بعد فترة يجد أنه كان مخطئًا وأنه في حاجة إلى تغيير ذلك القانون أو النظام ، بل إن الإنسان قد يتخذ قرارا يرى فيه مصلحة أو الصواب فعله ، ثم بعد ذلك يتضح أنه في غير مصلحته بل ويندم في أحيان كثيرة على فعله ، وهذا يحدث كثيراً في الحياة .

فالإنسان في حاجة إذا إلى من ينظم له حياته وينظم له علاقته بالآخرين ويضع القوانين التي تحكم الناس بعيدا عن الأهواء والميول والعصبية لجنس معين من الناس أو لون معين أو بلد معين أو لغة معينة ، ولن يوجد هذا إلا من خلال الدين ، والدين الصحيح الذي يأتي من خالق الإنسان لأنه أعلم بمصلحته، فصانع السيارة مثلاً أدرى الناس بمصلحتها ومميزاتها وعيوبها ، وهو الذي يضع القانون (الكتالوج) ، التي تسير علية حتى تؤدي وظيفتها دون عطل أو خلل.

فخالق الإنسان أدري بمصلحته وهو الذي يضع القانون الذي يصلح حياة الناس ولن يكون ذلك إلا من خلال الدين .

بعد ذكر هذه الأسباب التي تجعل الإنسان في حاجة ماسة إلى الدين ، اسمح لي أيها القارئ الكريم أن أذكر لك بعض أقوال الفلاسفة والعلماء وحكماء غربيين وغير مسلمين ، عن الدين وحاجة الناس إليه .

يقول أحد الفلاسفة الغربيين: (لو لم يكن للبشر إله لكان من الخير لهم أن يصنعوا لأنفسهم إله) [١] .

ويقول الدكتور روبرت ميليكان العالم الطبيعي الأمريكي: (أن أهم ما في الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق ولقد كان زوال هذا الإيمان سببا للحرب العامة وإذا لم نجتهد لاكتسابه أو تقويته ، فلن يبقي للعلم قيمة بل يصير نكبة على البشرية [٢] .

ويقول الدكتور ويلسون الرئيس الأمريكي الأسبق : (وخلاصة المسألة أن حضارتنا إذا لم تنقذ بالمعنويات فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها ، وأنها لا يمكن أن تنجوا إلا إذا سرى فيها الروح الديني في جميع مسامها ، ذلك هو الأمر الذي يجب أن نناقشه في معابدنا ومنظماتنا السياسية وأصحاب رؤوس الأموال ، وكل فرد خائف من الله محب لبلده [٣] .

ويقول أحد العلماء: (إن الخدمة الجليلة التي تؤديها الأديان للجماعة لا تقف عند هذا الحد ، فليست كل مهماتها أنها المبعث القوي لتهذيب السلوك وتصحيح المعاملة ،وتطبيق قواعد العدل ،ومقاومة الفوضى والفساد ، بل إن لها وظيفة إيجابية أعمق أثراً في كيان الجماعة ، ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم لا يعدله رباط من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصلحة المشتركة ، وليس لأحد أن يغتر بالعقل وقدرته على التفكير والابتكار بعيدا عن الوحي الرباني والعون الإلهي ، ولا أن يخدع نفسه بالعلم المادي وحده ، ولا بما وصل إليه من الكشف عن الكثير مما كنا نجهله ، لأن العلم الحديث نفسه قد أظهر بطلان كثيراً مما كان يراه العلماء فيما مضى حقائق لا ريب فيها [٤] .

---

(١) الدين ومدى أصالته الفطرية ، د. محمد العزبري ، ص ١٣٥ ، نقلاً الدين والعلم للمشير أحمد عزت باشا .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الدين ومدى أصالته الفطرية ، ص ١٤٠ .

فإذا كان الإنسان في حاجة إلى الدين فإنه أخذ يبحث عن الدين الصحيح الذي يعتنقه ويؤمن به ويبحث عن خالقه الذي خلقه وعن المعبود الذي يعبده ويتقرب إليه ويدعوه في حالة محنته وشدته ، التاريخ البشري يشهد أن الإنسان قبل بعثة الأنبياء وإرسال الرسل كان يبحث عن خالقه الذي خلقه ،ويتطلع نحو معرفته والإيمان به وعبادته ،كما يجب أن يكون كان ذلك بدون أي إيجاب من الوحي ،أو فرض من الدين السماوي ،وإنما هو بفطرته التي خلق عليها وبشعوره الإنساني ، ذلك الشعور الذي يمكن أن نقول أنه المنبع الأول للديانة [١] .

لكن الإنسان في بحثه عن الدين الصحيح وعن خالقه كان لقصور عقله يخطأ في تعيين معبوده وإلهه فتارة نجد أمة من الأمم تعبد أحجاراً و أُمَّة أخرى تعبد نوعًا من أنواع الحيوانات، وأُمَّة تعبد النار ،وأُمَّة تعبد النجوم ، وأُمَّة تعبد الكواكب ، وأُمَّة تعبد الشمس ، وأُمَّة تعبد بعض البشر كفرعون مصر .

كل إنسان يبحث عن معبودة وإلهه بطريقته، لذلك كان الله يرسل الرسل ليدل الإنسان على إلهه الحق ليؤمن به ، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل عند الإيمان بالرسل.

لهذه الأسباب وأسباب أخرى يجد الإنسان نفسه مدفوعًا بصورة اضطرارية لكي يتعرف إلى خالقه وإذا لم يتم التوصل إليه فإنه يظل في حالة عميقة من القلق والاضطراب لأن لديه أمورا لابد أن يحققها لكنه لا يستطيع أن يطمئن إلى شيء يفعله في هذا المجال ما لم يكن قائما على أساس سليم ، وأنه لكي يحقق ذاته لابد أن يعرف الهدف والغاية التي تؤهله لتحقيق مواهبه وملكاته ولكي يحدد الهدف والغاية لابد أن يعرف لماذا خلق بعد أن لم يكن؟ .

ولكي يعرف ذلك لابد ان يعرف خالقه الذي خلقه، إذ هو وحده الذي أنشأه ودبر وجوده ودبر حياته ، وهيأه لأداء عمل معين لتحقيق غاية معينة ،

---

(١) الإسلام الدين الفطري الأبدي ، مبشر الطراز الحسيني ، جـ١ ، ص ٢٠ .

وبالتالي فهو وحده الذي يمكن أن يدلنا عليه أو يقودنا إليها ويرسم لنا منهج السعي في سبيلها والجهاد من أجلها وبدونها لا يكون لوجودنا معني ولا لحياتنا قيمة ولهذا لم يكن بد أمام كل فرد يريد أن يحقق ذاته من أن يعرف خالقه حق معرفته ويتعرف إليه بالقرب منه والتماس رضاه (١) .

هذا وقد اشتدت الحاجة إلى الدين وخاصة الدين الصحيح الإلهي قرب ظهور الإسلام مما كان دافعا قويا لظهور رسالة الإسلام ومجيء الرسول محمد ﷺ وهذا ما سنتعرف عليه في الفصل القادم حالة العالم قبل ظهور الإسلام.

حالة العالم قبل ظهور الإسلام :

في هذه الصفحات لست بصدد التاريخ لحالة الأمم والشعوب قبل الإسلام لأن التاريخ معروف ومدون من آلاف السنين وحتى اليوم ، وكل أمة تعرف تاريخها جيداً ، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب التاريخ ، ولكن أردت أن أمر مروراً سريعاً على حالة العالم قبل الإسلام لنعرف أن العالم في ذلك التاريخ كان وما يزال في أشد الحاجة إلى رسالة الإسلام ،كان العالم قبل الإسلام من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب يعيش في حالة من الفساد والظلام، فساد في جميع مناحي الحياة ، من الناحية الدينية ورغم وجود ديانتين سماويتين وهما اليهودية والنصرانية ؛ إلا أن أصحابها انحرفا بها عن الطريق المستقيم وعاش العالم في حالة فساد وتخبط في الناحية الدينية ، بلغ شأناً عظيماً .

وليس في الناحية الدينية وفقط بل انتشر الفساد في الأخلاق والاجتماعيات والمعاملات ، مما أدى إلى انتشار الظلام والاستبداد والقهر والعنف والعنصرية والاستعباد والاضطهاد،كأنك تعيش في غابة القوي يأكل الضعيف وصل الفساد إلى جميع طبقات الشعب وأدى إلى حروب تقام لسنوات طويلة لأسباب تافهة لا قيمة لها ، فكان الناس في حاجة إلى من ينقذهم من الظلم والاستبداد إلى

(١) العقيدة وبناء الإنسان ، د. عبد الفتاح بركة ، ص ٢٢ .

العدل والأمان والرحمة والمودة والمحبة والمساواة والرخاء والحرية ، إلى من يخرجهم من الظلمات إلى النور ، من الكفر إلى الإيمان، من الضلالة إلى الهدى ، من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، من عبادة الأوثان والأحجار والأشخاص إلى عبادة الله الواحد الأحد .

ولن يحدث ذلك على يد رجل مصلح أو حتى جماعة من المصلحين ، بل لابد من الدين لان الدين وحده له بالغ الأثر في قلوب الناس وهو القادر على تغيير تلك الأوضاع .

لذلك كان الناس يتطلعون إلى نبي يربطهم بالله ويحدد لهم إيمانهم ويربط بعضهم ببعض برباط من العدل والاخوة والرحمة والتسامح وكان العالم من أقصاه إلى أقصاه في انتظار هذا النَّبيّ وهذا الدين الذي ينقذ البشرية كلها من هوى الفساد الذي وقعت فيه .

حتى أن أحبار اليهود وعلماءهم كانوا يمشون في البلاد يخبرونهم بقرب خروج هذا النَّبيّ المنتظر ، بل كانوا يتوعدون أهل المدينة من عرب الأوس والخزرج بخروج هذا النَّبيّ وأنهم سيتبعونه ويهلكون به الأوس والخزرج، فلما خرج محمد ﷺ وعلم اليهود أنه ليس منهم عادوه وحاربوه حسداً من أنفسهم ، فآمن به الأوس والخزرج ، فتعالوا بنا نأخذ صورة عن العالم شرقاً وغرباً من الناحية الدينية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية، لنتعرف على مدى حاجة العالم في ذلك الزمان إلى ذلك الدين العظيم والرسول الكريم ﷺ وما أشبة الليلة بالبارحة.

أولاً : من الناحية الدينية :

وأسمح بأن أبدأ بالعرب في شبة الجزيرة العربية لأن فيهم ظهرت رسالة الإسلام ، ومنهم جاء محمد ﷺ ، كان العرب أمة وثنية تعبد الأصنام التي يصنعونها إما من الحجارة أو من الخشب أو العجوة.

كانوا يؤمنون بوجود الله وأنه هو الخالق ، ولكن كانوا يعبدون هذه الأصنام معتقدين أنها واسطة بينهم وبين الله وأنها تقربهم من الله زلفي ، ونسبوا إلى هذه الأصنام والأحجار ما لا يليق إلا بالله فقالوا: أنها تنفع وتضر وأنها لها القدرة على الخير والشر .

وكان العرب قبائل متعددة وكل قبيلة لها إله خاص بها تعبده وتقرب إليه وقد انتشر كذلك عند العرب عباده الكواكب والشمس والقمر والنجوم .

إذاً على وجه العموم لم يكن العرب يوحدون الله يفردونه بالعبادة بل كانوا يعبدون معه غيره ، وإذا ما تركنا العرب واتجهنا نحو الشرق وبلاد كسرى (إيران) حالياً والدول التي كانت تعيش تحت لواء الإمبراطورية الفارسية آنذاك .

هذه الحضارة العريقة التي وقفت في وجه حضارة الروم واستطاعت الانتصار عليها ، ترى ماذا كانت ديانة هذه الأمة؟ وماذا كانوا يعبدون؟ .

اقرأ معي هذه الكلمات لنتعرف على ديانة أُمَّة صاحبة حضارة من أقوى الحضارات آنذاك .

كان الأكاسرة ملوك فارس يدعون أنه يجري في عروقهم دم إلهي وكان الفرس من عامة الشعب ينظرون إليهم كآلهة ويعتقدون أن في طبيعتهم شيئاً علوياً مقدساً ، فكانوا ينشدون الأناشيد بالوهيتهم ، ويرونهم فوق القانون وفوق الانتقاد ، وفوق البشر ، ليس هذا فحسب بل كانوا أيضاً يمجدون الشمس والقمر والنجوم وأجرام السماء ،وجاء زرادشت صاحب الديانة الفارسية فيقال أنه دعا إلى التوحيد وأبطل الأصنام ،وقال : إن نور الله يسطع في كل ما يشرق ويلتهب في الكون وأمر بالإتجاة إلى جهة الشمس والنار ساعة الصلاة، لأن النور رمز إلى الإله ، وأمر بعدم تدنيس العناصر الأربعة وهي : النار والهواء والتراب والماء.

وجاء من بعد زرادشت علماء سنوا لهم شرائع مختلفة وحرموا عليهم الأعمال التي تحتاج إلى النار ثم وصل الأمر من تمجيد النار أن عبدوها ، وصاروا

يبنون لها الهياكل والمعابد وانقرضت كل عقيدة وديانة غير عبادة النار وجهلت الحقيقة ونسي التاريخ [١].

وكما كانت النار لا توحي لعبادها بشريعة أو ترسل رسولاً أصبحت الديانة عند الفرس المجوس عبارة عن طقوس وتقاليد يؤديها في أماكن خاصة في أوقات خاصة ، أما في خارج المعابد وفي دورهم وفي السياسة والاجتماع فكانوا أحراراً يسيرون على أهوائهم وما تملي عليهم نفوسهم ، أو ما يؤدي إليه تفكيرهم ، أو ما توحى به مصالحهم ومنافعهم شأن المشركين في كل عصر ومصر [٢].

إذا ما تركنا الفرس وذهبنا إلى الصين نجد أن الصين كان فيها ثلاث ديانات ، ديانة (لاوتسو)،وديانة (كونفوشيوس) ،وديانة (البوذية) ، أما ديانة (لاوتسو) فكان أتباعها متقشفين زاهدين لا يتزوجون ولا ينظرون إلى المرأة ،ولا يتصلون بها فلم يكن لها أساس لحياة سديدة أو حكومة رشيدة ، حتى التجأ الذين جاءوا بعد مؤسسها إلى مخالفته والعدول عنه إلى غيره ، أما ديانة (كونفوشيوس) فكانوا في بعض الأزمنة لا يعتقدون بعبادة إله معين ، فيعبدون ما يشاءون من الأشجار والأنهار .

أما البوذية فقد كانت عبادة أوثان وأصنام وتماثيل بوذا ، وكانت تبنى المعابد والهياكل لعبادة بوذا ، يقول الأستاذ (ايشوراتويا) أستاذ تاريخ الحضارة الهندية في إحدى جامعات الهند .

(لقد قامت في ظل البوذية دولة تعني بمظاهر الآلهة وعبادة التماثيل وتغير محيط الرابطات الأخوية البوذية وظهرت فيها البدع) [٣].

وإذا ما تركنا الصين وانتقلنا إلى الهند، نجد أن الهند لم تكن أفضل حالاً من

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ٤٥ نقلاً عن تاريخ إيران .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ٤٥ .

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ٤٧ ، لأبي الحسن الندوي ، ط مكتبة الإيمان .

غيرها ، بل كما يقال أن الهند أم العجائب فكذلك كانت في آلهتها وديانتها .

فلم يكن عند الهنود إله واحد أو اثنين أو ثلاثة ، بل وصل عدد الآلهة في الهند في القرن السادس الميلادي إلى رقم يفوق الوصف ، حيث وصل عدد الآلهة إلى حوالي ٣٣٠ مليون إله ، وقد أصبح كل شيء رائع ،وكل شيء جذاب ،وكل مرفق من مرافق الحياة إلهاً يعبد ، وهكذا .

وجاوزت الأصنام والتماثيل الحصر ، فمن الآلهة أشخاص تاريخية وأبطال ومنها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم ، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها الآلهة ومنها نهر الكينج الذي خرج من راس مهاديو الإله ومنها آلات الحرب ، وآلات الكتابة ، حتى عبدوا آله التناسل عند الرجال والنساء ، فالرجال يعبدون النساء العراة ، والعكس ، النساء يعبدن الرجال العراة ، وعبدوا الحيوانات ومنها البقر وما زالت إلى اليوم تُعبد عند كثير من الهنود ، وعبدوا الأجرام الفلكية وغيرها الكثير وأصبحت الديانة نسيجاً من خرافات وأساطير وأناشيد وعقائد وعبادات لا يستسيغها العقل السليم في زمن من الأزمان .

وهكذا كانت حالة الشرق من الناحية الدينية ، عبادة أوثان وأصنام وأنهار وأشجار وأشخاص وحيوانات فلم تكن توجد أمة في الشرق تعبد الله الواحد الأحد خالق السماوات والأرض .

فإذا ما تركنا الشرق واتجهنا إلى الغرب نجد أن حالة الغرب لم تكن أفضل حالاً من مثيلاتها في الشرق ، فقد كانت الحضارة الرومانية تسيطر على الغرب وبعض الدول في الشرق ، مثل الشام ومصر والحبشة ، ومن الطبيعي أن تفرض الدول المسيطرة دينها على الأمم التي تحت لوائها .

وكانت الديانة الرومانية هي الديانة المسيحية فعملت على نشر المسيحية في كل مكان ، حتى أصبحت الدول التي تحت الحضارة الرومانية كلها تدين بالمسيحية، والمسيحية كانت في بادئ أمرها دين بسيط على يد السيد المسيح

عيسى بن مريم عليه السلام يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد ، ولكن بعد السيد المسيح عليه السلام تغيرت المسيحية واختلفت اختلافاً كثيراً وبدأت تنتشر في البلاد التي تسيطر عليها الحضارة الرومانية ، ولكن لم تنشر ما جاء به السيد المسيح ولكن نشرت الاختلافات التي حدثت بعده.

وظل الأمر يزداد سوءاً حتى وصل القرن السادس الميلادي الذي (بعث فيه النّبيّ محمد ﷺ) ، فقد أصبحت النصرانية في هذا القرن سبباً للاختلافات أو الحروب حتى بين من يدينون به .

فتحولت من دين بسيط يدعو إلى عبادة الله إلى عبادة صور وقديسين وأرباباً ورهباناً وصلباناً ، تغيرت لاختلافهم في طبيعة السيد المسيح عليه السلام فلم تعد قادرةً، على أخذ الناس إلى الحق يقول (ز.ع.خ إ) أسرف المسيحيون في عبادة القديسين والصور المسيحية حتى فاقوا في ذلك الكاثوليك في ذلك العصر [١].

وتحولت الديانة وفي صميمها مجادلات كلامية ، وتحولت في كثير من الأحيان إلى حروبٍ دامية ، وقتلٍ وتدميرٍ وتعذيبٍ ، وإغارة وانتهاكٍ .

وكانت هناك حروب أهلية خطيرة بسبب اختلافهم في طبيعة السيد المسيح عليه السلام ، وكان أشد مظاهر هذا الاختلاف الديني ما كان بين نصارى الشام والدولة الرومية وبين نصارى مصر أو بين (الملكانية) و(المنوفيسية) فكان عقيدة الملكانية ازدواج طبيعة السيد المسيح وكان المنوفيسيون يعتقدون أن للسيد المسيح طبيعة واحدة وهي الإلهية التي تلاشت فيها طبيعة السيد المسيح البشرية.

استمرت الحروب بينهما فترة من الزمن حروب دامية يقول د(الفرد . ج .بتلر) (أن ذينك القرنين كان عهد نضال متصل بين المصريين والرومانيين نضال يزكيه اختلاف في الجنس واختلاف في الدين ، وكان اختلاف الدين أشد من اختلاف الجنس ، إذا كانت علة العلل في ذلك الوقت تلك العداوة بين الملكانية

---

(١) **Sales Translation Pag 189** نقلاً عن كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٢ .

والمنوفيسية، وكانت الطائفة الأولى حزب مذهب الدولة الإمبراطورية وحزب الملك والبلاد ،وكانت تعتقد ازدواج طبيعة المسيح ، على حين أن الطائفة الأخرى وهي حزب القبط المنوفيسين أهل مصر كانت تبشع تلك العقيدة وتستفظعها وتحاربها حرباً عنيفة في حماسة هوجاء يصعب علينا أن نتصورها أو نعرف كنهها في قوم يعقلون بله يؤمنون بالإنجيل (١) .

وظل الحال على ذلك يشتد من سيئ إلى أسوء وتتدهور النصرانية يوماً بعد يوم حتى جاء الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١) الذي حاول جمع المذاهب المتصارعة على عقيدة واحدة وحاول التوفيق بينها ، لينهي ذلك الخلاف الديني والصراع الدامي بين الطوائف المسيحية ، فأمر بمنع الناس من الخوض في طبيعة السيد المسيح عليه السلام بغض النظر عن انه كان له طبيعة واحدة أو طبيعتان ولكن عليهم أن يشهدوا أن له إرادة واحدة أو قضاء واحد .

لكن المسيحيين لم يرضوا بهذه المحاولة ولم تهدأ العاصفة في مصر ووقع اضطهاد فظيع على يد قيرس في مصر استمر عشر سنين وقع خلالها ما تقشعر منه الجلود ، فرجال كانوا يعذبون ثم يقتلون إغراقاً ، وتوقد مشاعل وتسلط نارها على الأشقياء حتى يسيل الدهن من الجانبين إلى الأرض .

ويوضع السجين في كيس مملوء بالرمل ويرمى به في البحر إلى غير ذلك من الفظائع (٢) .

هكذا كانت النصرانية في القرن السادس الميلادي عبارة عن اختلاف في طبيعة السيد المسيح أدى إلى حروب دامية بين اتباع الدين الواحد وكأنه اختلاف بين دينين مختلفين وليس دين واحد .

فأنّى لدين كهذا الدين المتصارع على عقيدة إلهه ومعبوده أن يقود العالم لبر

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٣ ، نقلاً عن فتح العرب لمصر ، لمحمد فريد ٣٧-٣٨ .
(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٣ .

الآمان وعباده الله الواحد الأحد ، هذه هي الحالة الدينية في العالم كله شرقًا وغربًا كلها اختلافات وديانات متعددة وآلهه شتى وعبادة أوثان ، لم تكن هناك أمه تعبد الله الواحد الأحد، فكانت إلى حاجه ماسة إلى من يصحح لها عقيدتها ويربطها بخالقها عز وجل برباط سليم ، ويكف بحار الدم، فكان محمد ﷺ وكان الإسلام.

ثانيا : من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية :

لن نفرد الحديث عن كل ناحية من هذه النواحي لأنها جميعا مترابطة متشابهة حتى بين الدول جميعا في ذلك الزمان ليس بينها اختلاف كثير.

لقد كانت الدول في ذلك القرن تعيش في حاله متشابهة من الظلم والاستبداد حيث كانت الدول تنقسم إلى طبقات ، طبقه السادة وطبقه العبيد وطبقه الفقراء وطبقه الأغنياء وطبقه الملوك والحكام وطبقه المحكومين ومع أن الملوك والأغنياء كانوا هم القلة في الشعوب التي كانت تمثل الأكثريه إلا أنهم كان لهم كل شئ لهم الملك والحكم والمال ، والفقراء ليس لهم أي شئ ،ليس لهم إلا خدمه هؤلاء السادة الذين استعبدوهم، ولا يأمل واحد من الفقراء أن يتحسن حاله أو ينتقل من مرحلة إلى مرحلة ، بل عليه أن يظل خادمًا عند هؤلاء السادة، وكانوا في بعض المتجمعات كما عند الهنود ينظرون إلى السادة على أنهم قد خلقوا من رأس الإله ، أما الفقراء فكانوا قد خلقوا من قدم الإله وليس للمخلوق من القدم أن يطمع في غير وظيفته التي خلق من أجلها ، ألا وهي خدمه هؤلاء السادة ، وإذا حاول أحد منهم تغيير حاله أو مصيره فإن مصيره قطع يده أو قطع لسانه أو الطرد والنفي من البلاد ، حتى الدول الرومية التي كانت تسود فيها النصرانية، كان الناس أيضاً ساده وعبيد، فالسيد له كل الحقوق والعبيد ليس له إلا واجباته نحو سيده ، حتى أن السيد في بعض الأحيان كان يملك الفقير ويملك زوجته ، ولو أراد أن يضاجع زوجه الفقير فليس للفقير الحق في أن يمنعها منه،

بل انه في كثير من الأحيان كان السادة يقيمون حلقات للمصارعة بين الفقراء ، ولابد أن يقتل واحد منهم في النهاية وإلا قتل المتصارعان، والسادة يشاهدون هذه الجولات من المصارعة وهم يضحكون ويشربون الخمور، وكانت تفرض الضرائب والجبايات على هؤلاء التعساء الفقراء لصالح الحروب أو لصالح الملوك ، وليس لأحد من هؤلاء الفقراء حتى مجرد حق الشكوى والتزمر وخير مثال على ذلك الظلم هو ما كان يحدث في مصر .

يقول الدكتور ألفرد ج بتلر عن الحكم الروماني في مصر: (إن حكومة مصر الرومية لم يكن لها إلا غرض واحد وهو أن تبتز الأموال من الرعية لتكون غنيمة للحاكمين ولم يساورها أن تجعل قصد الحكم توفير الرفاهية للرعية أو ترفيه حال الناس والعلو بهم في الحياة أو تهذيب نفوسهم أو إصلاح أمورهم وأرزاقهم فكان الحكم على ذلك حكم الغرباء لا يعتمد إلا على القوه ولا يحس بشيء من العطف على الشعب المحكوم (١).

ويقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب: (لقد أكرهت مصر على انتحال النصرانية ولكنها هبطت بذلك إلى حضيض الانحطاط الذي لم ينتشلها منه سوى الفتح العربي ،وكان البؤس والشقاء مما كانت تعانيه مصر التي كانت مسرحًا للاختلافات الدينية الكثيرة في ذلك الزمن وكان أهل مصر يقتتلون ويتلاعنون بفعل تلك الخلافات ، وكانت مصر التي أكلتها الانقسامات الدينية وأنهكها استبداد الحكام تحقد أشد الحقد على سادتها الروم وتنتظر ساعة تحريرها من براثن قياصرة القسطنطينية الظالمين (٢).

ولم يكن هذا الظلم والاستبداد في مصر وحدها ، بل كان العالم كله يعاني منه ، وكذلك بلغ الانحلال الاجتماعي غايته في الدولة الرومية والشرقية ، وعلى كثرة مصائب الرعية ازدادت الإتاوات ، وتضاعفت الضرائب حتى أصبح أهل

(١) ، (٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٦٧ ، نقلاً عن فتح العرب لمصر ، الفرد ج بتلر تعريب محمد فريد.

البلاد يتذمرون من الحكومات ويمقتونها مقتاً شديداً [١].

ويقول مؤلفوا تاريخ العالم والمؤرخين : (بأن المدن العظيمة التي أسرع إليها الخراب ولم تسترد مجدها وزهرتها أبداً تشهد بما أصيبت به الدولة البيزنطية في هذا العهد من الانحطاط الهائل الذي كان نتيجة المغالاة في في الضرائب والانحطاط في التجارة وإهمال الزراعة وتناقص العمران في البلاد [٢].

ويقول : (Robert - Briffault) لقد أطبق على أوروبا ليل حالك من القرن الخامس إلى القرن العاشر وكان هذا الليل يزداد ظلاماً وسواداً قد كانت همجية ذلك العهد أفظع هولاً من همجية العهد القديم لأنها كانت أشبه بجثة حضارة قديمة قد تعفنت وقد انطمست معالم هذه الحضارة وقضى عليها بالزوال ، وقد كانت الأقطار الكبيرة التي ازدهرت فيها هذه الحضارة وبلغت أوجها في الماضي كإيطاليا وفرنسا فريسة الدمار والفوضى والخراب[٣].

هكذا انتشر الظلم وعم الجهل والفساد وانتشر الظلام والفوضى والاضطهاد والاستبداد والقهر والعبودية والذل والهوان والفقر والضعف والمهانة ، حتى ذابت أسس الفضيلة وانهارت دعائم الأخلاق وكان العدل كما يقول (سيل) ، يباع ويساوم مثل السلع وكانت الرشوة والخيانة تنالان من الأمة التشجيع [٤].

هذه إذاً هي حالة العالم في القرن الخامس والسادس الميلادي وصدق الله إذ يقول في القرآن الكريم ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** (٤١) ﴾ [الروم : ٣٨] .

فلا عقيدة صحيحة ولا قيم ولا أخلاق ولا حياة هنيئة بل بؤس وشقاء ، إذاً لابد لهذا العالم أن يتغير ، آن الأوان أن يأخذ المظلوم حقه من الظالم ، آن الأوان

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٤ .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤٥ ، نقلاً عن : Historations history of the world .

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٤ .

أن تصحح العقائد وأن يعيش الناس في أمان ويعم العدل وينتشر العلم والحق والحرية والمساواة والرحمة ، وتنشر القيم الكريمة والأخلاق الفضيلة .

فكان ميلاد محمد رسول الله ﷺ في ذلك القرن ميلاداً للبشرية جميعاً فقاد أُمَّة من الصحراء على أن علمت العالم كله أسس الرحمة والحق والعدل .

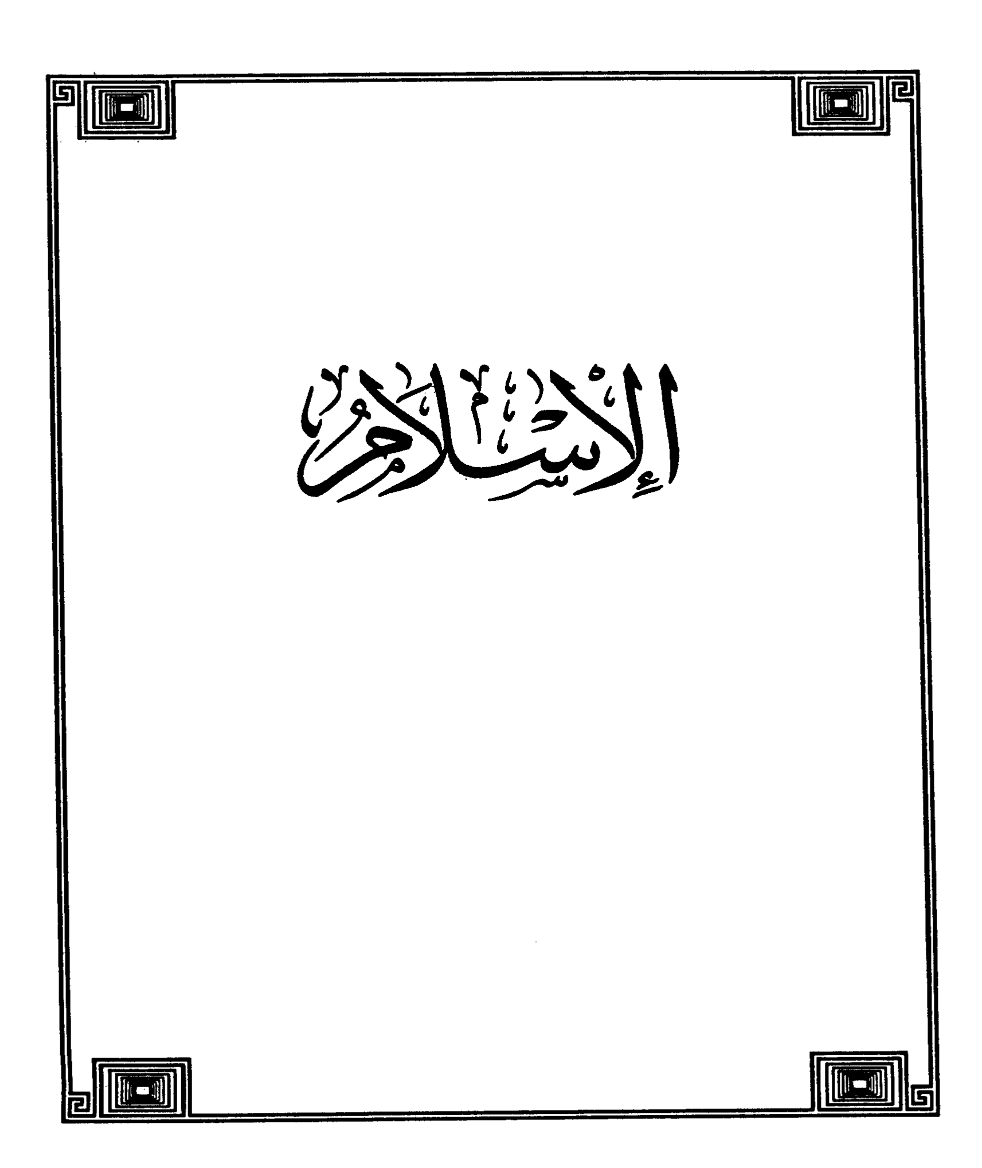
كان لابد من رسول يخرج هؤلاء الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان من ظلمات الجهل إلى نور العلم من ظلمات الفساد إلى نور الأخلاق .

فكان محمد ﷺ وصدق الله إذ يقول : **﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾** [المائدة : ١٥] .

فكان محمد ﷺ هو ذلك النور الذي أزال بنوره ظلمات الحياة ، وكانت رسالة الإسلام التي تحقق لمن تبعها الرخاء والأمان والسلام في الدنيا ورضا الله الخالق ، والفوز بجنته في الآخرة .

والآن اسمح لي أيها القارئ الكريم أن ندخل معاً في الصفحات التالية ، لنتعرف على معنى الإسلام وعقيدة الإسلام ونبي الإسلام محمد ﷺ ومبادىء الإسلام .




الإسلام

ما هو الإســـلام ؟
وما معنى كلمة الإسلام ؟

قبل أن نبدأ الحديث عن العقيدة الإسلامية ومبادىء الإسلام ينبغي أن نعلم معنى كلمة الإسلام وما هو الإسلام .

كلمة الإسلام تعني الاستسلام والخضوع أي أن الإنسان المسلم يستسلم ويخضع لله عز وجل خالق السماوات والأرض ويسلم له في جميع الأمور ، في العبادة فلا يُعبد إلا الله ولا يتُقرب لآلهة إلا الله ، وفي المعاملات يعمل على وفق أوامر الله ، وفي الأخلاق يتخلق بالأخلاق الحميدة التي أمر الله بها فالمسلم يسلم أموره لله ، ينفذ أوامر الله ويجتنب نواهية مثل الإنسان إذا وقع أسيراً عند إنسان آخر فيقول له اذهب يمين يذهب ، اذهب يسار يذهب وهكذا. . . لا يستطيع أن يقاوم لأنه أسير عنده .

ولله المثل الأعلى فالمسلم صنعة الله الذي خلقه الله فهو عبد وأسير لله إذا أمره الله بأمر امتثل له ، وإذا نهاه عن شيء استجاب له .

ففي الإسلام لا إله إلا الله ولا أمر إلا لله ولا نهى إلا لله لأنه خالق الكون وهو أعلم بما يصلح الإنسان .

والإسلام بهذا المعنى هو دين الأنبياء جميعاً فما يوجد نبي إلا جاء لهذا الغرض وهو دعوة الناس جميعاً إلى عبادة الله فإن كل رسول كان يأتي لقومه يقول لهم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولكن الاختلاف بين الرسل في الشرائع لاختلاف الناس في الطباع واختلاف الزمان والمكان ، لكن الأصل واحد وهو توحيد الله عز وجل وعبادته .

وهذا الدين يشتمل على العقائد التي ينبغي على المسلم أن يعتقدها ويشتمل على الأخلاق التي ينبغي على المسلم أن يتخلق بها ويشتمل على الشريعة وهي في المعاملات والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكل ذلك عن طريق الوحي من الله عز وجل إلى رسله عليهم الصلاة والسلام وآخرهم محمد ﷺ .

ونحن في هذا البحث نعتني بالعقيدة ونركز عليها لأنها الأساس وهي التي اتفق عليها النّبيّ محمد ﷺ مع سائر الأنبياء من قبله ثم نذكر جانباً من الأخلاق في باب مبادىء الإسلام لأن الحديث عن أخلاق الإسلام يحتاج إلى بحث خاص وكذلك الحديث عن الشريعة .

فإليك أيها القارىء الكريم ، الحديث عن العقيدة الإسلامية بشيء من التفصيل فنقول وبالله التوفيق .

العقيدة الإسلامية

مقدمة

قبل أن أبدأ الحديث عن العقيدة الإسلامية وماذا يعتقد المسلمون؟ وماذا يعبدون؟ وأركان هذه العقيدة؟ ومبادئ الإسلام؟ ، أحب أولاً أن أنبه إلى أمر هام وخطير وهو أن الإعلام بصوره المقروءة والمرئية والمسموعة ، وللأسف ساعد على ذلك مجموعة من المسلمين قاموا بتشويه صورة الإسلام الحقيقية ، وأذاعوا عن الإسلام ما الله يعلم أن الإسلام منه براء .

وقد كان لي بعض الحوارات مع بعض النصارى فظهر لي أنهم يعتقدون عن الإسلام أموراً عجيبة وغريبة من ذلك ما يظنونه عن إله المسلمين ومعبودهم فهؤلاء يعتقدون أننا نحن المسلمين نعبد إلهاً غير الله فبعضهم يعتقد أننا نعبد إلهاً مادياً محسوساً ، والبعض يعتقد أننا نعبد الكعبة ، وذلك لأننا نقدسها ونطوف حولها فأقول أننا لسنا من بني الكعبة ، ولسنا أول من طاف حولها ، فالذي بني الكعبة هو نبي الله إبراهيم ﷺ وقد طاف حولها قبل محمد ﷺ بآلاف السنين ، وكذلك طاف حولها العرب قبل ميلاد محمد ﷺ وطاف حولها النَّبيّ والمسلمون ، ولم يقل أحدٌ أن إبراهيم أو العرب كانوا يعبدون الكعبة بل نطوف حولها تجاوباً مع الكون ، فالكون كله يطوف مثل طواف المسلمين حول الكعبة فالمسلمون يطوفون عكس عقارب الساعة ، وكذلك الأرض والكواكب تطوف حول الشمس بنفس الإتجاة،والمجموعة الشمسية تطوف حول مجرة بنفس الإتجاة، والمجرة حول مجرة أكبر وهكذا فالكون كله يطوف تسبيحاً وتحميداً لله عز وجل ، ونحن المسلمون نطوف حول الكعبة تجاوباً مع الكون وتسبيحاً بحمد الله وليس عباده للكعبة .

والبعض الآخر يعتقد أننا نحن المسلمين نعبد محمداً ﷺ ، وهذا من الخطأ الواضح الذي لا يقبله عاقل يعلم أقل شيء عن الإسلام والمسلمين .

إذا كان المسلمون لا يعبدون إلهاً مادياً محسوساً ولا يعبدون الكعبة ، ولا يعبدون محمداً ، فماذا يعبد المسلمون إذاً ؟ ، وما هي عقيدتهم؟ ، هذا ما سنعرفه في الصفحات التالية .

أركان العقيدة الإسلامية

العقيدة الإسلامية تقوم على ستة أركان تسمى أركان العقيدة أو أركان الإيمان أو أسس الإيمان ، وهذه الأركان الستة لا يدخل الإنسان في الإيمان ويصبح مسلماً إلا إذا آمن بها ، ومن كفر أو أنكر واحداً منها خرج من الإسلام ولا تجري عليه أحكام المسلمين .

وهذه الأركان الستة هي : (الإيمان بالله ، الإيمان بالملائكة ، الإيمان بالرسل ، الإيمان بالكتب ، الإيمان باليوم الآخر ، والإيمان بالقدر) .

الركن الأول : الإيمان بالله

الركن الأول والأساسي في العقيدة الإسلامية الإيمان بالله الإله الذي نعبده نحن المسلمون ونقدسه ونتعبد له ليس الكعبة وليس محدوداً وليس إلهاً مادياً مصنوعاً بل هو الله الإله الواحد الأحد ،الذي خلق السماوات والأرض وما فيها الذي خلق الإنسان الذي يملك هذا الكون ،ووضع فيه الآيات الكونية الدالة على وحدانيته وقدرته وعظمته وصدق الله إذ يقول :﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴾ .

[الذاريات : ٢١] .

هو الذي وهب الإنسان نعمة العقل التي بها صعد إلى الفضاء ، الذي مد الإنسان بالقلب الذي إذا توقف لحظة لمات الإنسان ، الذي مد الإنسان بالجهاز الهضمي الذي يتلقى الطعام فيحول ما فيه من فائدة إلى غذاء للبدن ويحول ما فيه من ضرر إلى قاذورات يخرجها الإنسان .

الله الذي خلق النطفة الضعيفة التي توضع في رحم المرأة فينشاها خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، الله الذي خلق الشمس والقمر والنجوم والكواكب

وما فيها من آثار ، الله الذي خلق الجبال الشاهقة وخلق الدواب وما فيها من عجائب الصنع وصدق الله إذ يقول : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الغاشية : ١٧-١٩] .

الله الذي يقبض روح الإنسان فيتحلل الجسد ويصير تراباً ، الله الذي يحيي ويميت ، الله الذي يشفي الأمراض وينقذ الهلكى وينجي الغرقى ، الله الذي يرزق الدودة داخل الحجر ، فيصل إليها الماء من فضله ومن كرمه ، الله الذي خلق فسوى ، الذي قدر فهدى ، والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ، الله هو هذا الإله العظيم القادر الحكيم ، الخبير الرحيم ، الغفور العليم ، السميع البصير ، الحكم العدل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

هذا هو إله المسلمين الذي يعبدونه ويقدسونه ويخضعون له ويسجدون له موافقين سائر الكون في عبادتهم لله .

وبعد كل هذا الوضوح من الآيات الداله على وجود الله وقدرته ووحدانيته إلا أن هناك فرق من الناس انطمست بصائرهم وانقلبت فطرهم فأنكروا وجود الله ويزعمون أن الحياة مادة ولا وجود لإله وأن الكون خلق صدفة وأن الطبيعة هي الخالق لهذا الكون .

هذه الآراء لا تقف أمام عقل سليم ومنطق قويم إلا أني أود أن أرد عليهم رداً علمياً سليماً ثم أذكر الأدلة على حتمية وجود الله تبارك وتعالى لعلهم يرجعون عن باطلهم ، ويعودون إلى ربهم ، انطلاقاً من الآيات التي استدل بها القرآن على أن الله واجب الوجود .

أقول لهم هل يعقل إنسان أن السماوات والأرض والنجوم والكواكب والشمس والقمر كل ذلك خلق صدفة بلا خالق ، هب أن إنسان خرج علينا الآن بقلم صغير أو ساعة أو أي شيء صغير ، وقال أن هذا القلم ، أو هذه الساعة

خلقت بلا صانع ، وأنها خُلقت صدفة فماذا يكون رد الناس عليه ؟ .

أعتقد على الفور سيتهمونه بالجنون ، كيف يوجد شيء بلا صانع له ؟ فما بالكم بهذه السماوات محكمة الصنع والأرض ممهدة وهذه الأنهار والبحار والشمس التي تشرق كل يوم من المشرق وتغرب في المغرب ولم يأتي يوم وتقول الشمس لن أخرج عليكم اليوم ولقد وضعت الشمس في مكان في السماء بمسافة محددة ، حتى أن علماء الفلك والجيولوجيا يقولون : لو اقتربت الشمس أكثر من ذلك ولو ميلاً واحداً لمات كل كائن حي على الأرض من شدة حرارة الشمس ، ولو بعدت ولو ميل واحد عن مكانها لهلك كل حي على الأرض من شدة البرد ، فهل يعقل أن تكون قد وضعت في هذا المكان صدفة بلا صانع؟ ، وهذا القمر وضع في مكان حيث أن له خاصية ، لولا أن الله عز وجل أوجده في هذا المكان لأغرقت البحار الأرض ، وعلاقة القمر بالأرض علاقة مد وجزر ، هل ذلك وضع صدفة ؟.

هذا الإنسان العاقل المفكر الذي وصل من عقله وتفكيره أن وصل إلى القمر وصنع الفضائيات هذا العقل المفكر الخطير وجد صدفة ؟ بل خالق كل صنعة موجودة لا يقبل العقل إلا أن يكون لها صانع فما بالكم بهذا الكون وما فيه هل يوجد صدفة بغير صانع ؟ ألا تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ثم أقول لهم : إنكم لا تؤمنون بعالم الغيب فتنكرون وجود الله لأنكم لا ترونه فهل هذا قاعدة عامة في جميع أموركم ؟ أقول : لا ، لماذا ؟ ، لأنكم تؤمنون بوجود أشياء لا ترونها ولا تقدرون على إنكار ذلك ، فمثلاً الكهرباء أنتم تؤمنون بوجودها فهل رأيتم الكهرباء ؟ ، هل لمستموها ؟ ، ما لونها ؟، ما شكلها ؟ ، ألا تؤمنون بوجودها ؟ .

في الإنسان يوجد العقل المفكر فهل يستطيع إنسان أن يرى عقله ؟، أو يسمع عقله ؟ ، أو يمس عقله ؟ ، هل العقل جسم مادي محسوس أم معنوي ؟ ،

وبما أنكم لا تؤمنون بالغيب ؛ إذا فأنتم لا تؤمنون بوجود العقل ، ألا تؤمنون بوجود العقل ؟ .

إذا فأنتم تؤمنون بأشياء وإن كنتم لا ترونها وإنما تؤمنون بها بسبب آثارها الناتجة عنها ،كذلك الله عز وجل واجب الوجود والكون كله يدل على وجوده.

ثم نقول لهم : أنتم تقولون أن الطبيعة هي الخالق الموجد لهذا الكون ، فالسؤال إذاً ما هي الطبيعة ؟.

إن كلمة الطبيعة من الألفاظ الكلية العامة التي لا وجود لها إلا في الذهن والتصور العقلي ، أما في الواقع الحسي فلا وجود إلا لأفرادها فقط شأن سائر الكليات ، كلفظ الإنسان فإنه كلمة عامة يندرج تحتها أسماء كثيرة هي أفراد الإنسان ، وأفراد الإنسان كمحمد وإبراهيم وموسى هم الذين يتمتعون بالوجود الواقعي خارج التصور العقلي ، كذلك لفظ الطبيعة فإن أفراده كالشجر والمطر والرعد والبرق والجبال .... إلخ .

كل هذه أفراد للطبيعة وكلها تتمتع بالوجود الواقعي الحسي ، أما كلمة الطبيعة فلا وجود لها إلا في العقل والذهن فقط .

وهذا شأن المعاني الكلية العامة ، فإنه لا وجود لها إلا في ذهن المتحدث فقط ، أما في الواقع الخارجي فليس هناك شيء اسمه الطبيعة وأن هناك أشياء وأفراد وطبيعة ، إذن فهي باعتبار العقل والتصور موجودة ولكنها باعتبار الواقع الحسي معدومة .

وهل يتصور عاقل أن مالا وجود له في الواقع بل أصلة العدم قادر على إيجاد ما هو أكمل في الوجود منه .

وكما تقولون أنتم أن من خصائص الطبيعة أنها عمياء لا عقل لها موت لا حياة ، والإنسان جزء من أفراد الطبيعة ، وإذا كان الإنسان يعقل والطبيعة لا

تعقل ، والإنسان حى والطبيعة موات ، فمن الذي وهب الإنسان هذا العقل؟ الذي يسخر به أشياء الطبيعة علماً بأن فاقد الشيء لا يعطيه [١] .

يقول البروفيسور ايدوين كونكلين : (إن القول بأن الحياة وجدت نتيجة حادث اتفاقي شبيه في مغزاه بأن تتوقع إعداد معجم ضخم نتيجة انفجار صدفي يحدث في مطبعة) [٢] .

ويقول أحد العلماء : (وأي كلام من هذا القبيل سخيف وملئ بالصلافة ومثاله كمن يزعم أن سقوط كوب مملوء بالماء أو بالقهوة سوف يرسم خريطة العالم على الأرض ، لا مانع من أن أسال هذا الرجل من أين جاء بهذا الفرش الأرضي والجاذبية والماء والكوب حتى يقع هذا الاتفاق الغريب) [٣] .

إذا بما أن الطبيعة مخلوق غريب وليس خالق وأن العالم مخلوق وكل مخلوق لابد له من خالق . . . فاين هذا الخالق ؟ .

الإنسان عندما وُجِدَ ، ووجد العالم كله لم يدع إنسان أنه هو الذي خلق العالم ، فمن الذي خلقه إذًا ؟ .

دعني بعد هذا العرض لمسألة الإله الخالق أن أذكر لك مجموعة أخرى من الأدلة الدامغة القطعية على أن الله واجب الوجود وأنه هو الخالق لهذا الكون .

أولاً : الأدلة المادية على وجود الله :

هذا الكون بما فيه من سماوات وأرض وغيرها موجود لا ينكر وجوده عاقل ، فمن الذي خلقه ؟ ، هناك ثلاث إجابات على هذا السؤال .

إما أن تكون وجدت بدون خالق ، وإما أن تكون هي التي أوجدت نفسها ، وإما ن يكون هناك من أوجدها ،وأما عن الإجابة التي تقول أنها أوجدت نفسها فهذا باطل ، وقد ثبت فيما مضى بطلانه .

---

(١) في رياض العقيدة الإسلامية ، د. العرب سعد أبو هلال ، ص ٦٥ ، مطبعة الأزهر الحديثة .

(٢) الإسلام يتحدى ، نقلاً عن المذاهب البادية جذورها وتطورها ، ص ٣٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٥ ، د . محمد مصطفى الشناوي ، ود. خالد إبراهيم حسب الله .

وأما الإجابة الثانية فباطلة أيضاً لأن الإنسان لم يخلق نفسه ، ولم يخلق السماوات والأرض ، ولم يخلق هذه الكائنات وثبت أنها لم تخلق نفسها ، إذا بقيت الإجابة الثالثة وهي الحق والصواب ، وهي أن هناك إله خالق لهذا الكون .

هذا الخالق الذي خلق السماوات في هذه الصورة وخلق فيها النجوم والكواكب وخلق الإنسان وأبدع في صنعه لابد أن يكون موجوداً لأن المعدوم فاقد الشيء وفاقد الشيء لا يعطيه ، لابد أن يكون هذا الإله قادر عليم سميع بصير ، له صفات كثيرة لا تليق إلا به ، تختلف ولا تشبه صفات المخلوقين .

وهنا سؤال ، أين هذا الخالق ؟ ، إذا لم يكن هذا الخالق هو الله فأين هو إذاً؟ ، لماذا ترك الإنسان ولم يخبره أنه خالقه؟ لماذا لا يدافع عن ملكه وكونه؟ لماذا ترك غيره يدعي الألوهية ولم يقم لينتقم لنفسه ويسترد ملكه وألوهيته ؟.

وبما أنه لم يظهر أحد ليدعي أنه هو الإله وهو الخالق غير الله إذاً ثبت أن الله واجب الوجود وأنه هو الإله الخالق الذي لا معارض له ولا ند له ،وقد فطن لذلك أعرابي ضعيف لم يتعلم في جامعة ، ولا مراكز للأبحاث ، فقال عندما سئل عن الدليل على وجود الله، قال: البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل على المسير ، سماء ذات أبراج و، أرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير .

وقد حسم الله عز وجل الأمر في قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٦] .

ثانياً : من الأدلة على وجود الله :

فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالإنسان بفطرته يوقن بوجود الله خالقه فالإنسان تعتريه ظروف وحوادث يجد نفسه مضطراً أن يلجأ فيها إلى الله، فعلى سبيل المثال (إذا ركب الإنسان في سفينة ومشت به في البحر في أمان بريح طيبة ، ولكن فجاة هبت الريح وتعالت الأمواج وبدأت السفينة في الاضطراب إلى أن أوشك الإنسان على الغرق ،ووجد نفسه لا محالة غارقاً،فهل يسلم نفسه للموت؟.

أم يحاول أن ينقذ نفسه وهو يوقن تماماً أن هناك قوة أقوى من قوته وأقوى من البحار وأقوى من السفينة ، هذه القدرة والقوة قادرة على إنقاذه ونجاته فيتعلق بها ، هذه قدرة الله عز وجل .

وصدق الله إذ يقول في القرآن الكريم :﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) ﴾[يونس : ٢٢] .

أبعد كل هذا يأتي عاقل ويقول أن الخالق عز وجل،وهو الله غير موجود ،وأن الكون خلق صدفة ؟.

أكتفي من الأدلة المادية على وجود الله بما سبق لأن الأدلة كثيرة تحتاج إلى مجلدات ومجلدات ، والحق أن وجود الله واضح لا يحتاج إلى دليل ولكن لا يعلم ذلك إلا أصحاب القلوب التي استنارت بنور الإيمان .

وقد تناول القرآن الكريم هذا الموضوع في عشرات الآيات التي تأخذ القلوب والعقول في أرجاء الكون لتريهم في وضوح الشمس أن هذه الآيات تدل على قدرة الله وعظمة الله ، وصدق من قال :

له في كل شيء آية ... تدل على أنه واحد

فاسمح لي أن أختم لحضراتكم هذه الجزئية من البحث بهذه الآيات العظيمة من القرآن ، والتي أرجو أن تقرأها بقلبك وعقلك ، وتدبرها لعلها تصل بك إلى عالم رحب من الإيمان بالواحد الديان ، قال الله تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا

وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون (٦١) أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون (٦٢) أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون (٦٣) أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (٦٤) قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون (٦٥) بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون (٦٦) ﴾ [النمل: ٥٩-٦٦] .

وأخيراً : أقول هناك من الناس من آمن بالله ولكن جعلوا مع الله آلهة أخرى وقالوا هذه الآلهة تعبد مع الله ، وهؤلاء لن أطيل في الرد عليهم لأن القرآن رد عليهم .

فقال الله عز وجل: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون (٢٢) ﴾ [الأنبياء : ٢٢] ، أي لو كان في السماوات والأرض إله غير الله لفسدت السماوات والأرض ، وهذا أمر منطقي يقبله كل عاقل ، لأننا في حياتنا لا تقبل أن يكون هناك رئيسان لدولة واحدة ولا حتى لشركة واحدة ولا يوجد قائدان لسفينة واحدة ، ولو وجد قائدان لسفينة واحدة لغرقت فهل يوجد في هذا الكون العظيم آلهة إلا الله ؟ ، ولو وجد لغرق الكون : ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لأبتغوا إلى ذي العرش سبيلاً (٤٢) سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً (٤٣) ﴾ [الإسراء :٤٢ – ٤٣] .

الركــن الثاني
الإيمـان بالملائكـة

الركن الثانى من أركان العقيدة الإسلامية أو أركان الإيمان بعد الإيمان بالله عز وجل الإيمان بالملائكة، والملائكة هي كائنات حية خلقها الله عز وجل من نور ، وهذه الملائكة هي كائنات مختلفة عن البشر ، فلا تشبه البشر إلا في بعض الأسماء فقط ، مثل جبريل وميكائيل ، ولكنها ليست ذكراً ولا أنثى، بل مخلوقات خاصة ولكنها قادرة على التشكيل في شكل البشر.

وهذه الملائكة موجودة قبل خلق الإنسان بالآلاف السنين ،وهي موجودة الآن وستظل إلى نهاية الدنيا .

ونحن لا نراها ولا نشعر بوجودها في الأعم الأغلب لكن بعض الناس قد يراها أو يشعر بها خاصة عند تلاوة القرآن كما في حديث أُسيد بن حضير وغيره من الصحابة [١] .

ونحن كمسلمين نؤمن بوجود هؤلاء الملائكة الكرام لآن الله عز وجل قد أخبر عنهم في القرآن الكريم ومن أنكر وجودهم فقد خرج من الإسلام قال الله عز وجل في القرآن الكريم ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [النساء : ١٢٦] .

ونحن كما نؤمن بها لآن القرآن أخبر بوجودها وقد ثبت أن القرآن كلام الله إذا فهو صادق فيما قال وقد أثبتنا ذلك في الحديث عن الأدلة على صدق النبيّ ﷺ في الفصول القادمة .

وكذلك نؤمن بوجود الملائكة لأن العقل لا يحيل وجودها ومع أننا لا نراها

---

(١) البخاري ٥٠١٨ كتاب فضائل القرآن ، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن جـ٢ ، ص٥٤٧ ، ومسلم ٧٩٦، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة حافظ القرآن ٦ / ٤٤١ .

لأن الناس قد يؤمنون بأشياء لا يرونها مثل الكهرباء وغيرها من الأمثلة،لأن العقل لا يحيل ولا يبقي إلا ما كان مستلزماً لاجتماع الضدين ،ككون الشيء موجوداً أو معدوماً في آن واحد أو النقيضين كوجود الظلمة والنور معاً مثلاً ، والإيمان بوجود الملائكة لا يستلزم شيئاً من ذلك أبداً [١] ، فنحن نؤمن بوجود هؤلاء الملائكة ونؤمن أن لهم وظائف ومهام أمرهم الله بها.

وخلقهم للقيام بها ودعني أذكر لك شيئاً يسيراً عن هؤلاء الملائكة الكرام ، هؤلاء الملائكة الكرام كما قلت أجسام نورانية مختلفة عن البشر فلا يأكلون ولا يشربون ، ولا يتغوطون ، ولا يتزوجون ، ولا يتناسلون بل وليست لهم شهوة.

وخلقهم الله لعباته وتسبيحه وتحميده ، ليست لهم حرية اختيار بل مطبوعين ومجبولين على طاعة الله ﴿ **لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم : ٦] .

يسبحون الله ليلاً ونهاراً منهم القائم ومنهم الراكع ومنهم الساجد ، ومنهم المسبح ومنهم من يحمد ومنهم من يهلل (أي يقول : لا إله إلا الله) ومنهم من لهم وظائف في حياة الناس كجبريل ﷺ الذي يأتي بالوحي للأنبياء ، ومنهم ميكائيل الموكل بالأرزاق ، ومنهم ملك الموت الذي يقبض أرواح العباد ، ومنهم ملكان يسيران مع الإنسان في كل مكان وزمان، وأحدهم يكتب حسنات الإنسان ما يفعل من خير ،والآخر يكتب سيئاته وما يفعله من شر ، ومنهم إسرافيل المسئول عن النفخ في الصور يوم القيامة ، ومنهم ملك الجبال وملك الرياح ، ومنهم خزنة الجنة ومنهم خزنة النار ، ومنهم حملة عرش الرحمن سبحانه وتعالى ، وغيرهم كثير لا يعلمه إلا الله .

إذاً فالمؤمن الصادق في إيمانه يؤمن بوجود الملائكة الكرام ، وأنه الركن الثاني من أركان الإيمان.

---

(١) منهاج المسلم ، فضيلة الشيخ/ أبو بكر الجزائري .

الركـــن الثالث
الإيمـــان بالكـــتب

الركن الثالث من أركان العقيدة الإسلامية أو أركان الإيمان، الإيمان بالكتب.

ومعنى الإيمان بالكتب أن المسلم يؤمن أن الله عز وجل أنزل كتباً من عنده على بعض أنبيائه ورسله عن طريق الوحي وحامله جبريل عليه السلام.

وهذه الكتب تحتوي على الأمر بعبادة الله عز وجل والإيمان برسله وتشريع وهداية لسائر الناس والكتب التي أنزلها الله عز وجل والتي يؤمن بها المسلم هي (الصحف التي أنزلت على نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والتوراة التي أنزلت على نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ، والزبور الذي أنزل على نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ، والإنجيل الذي أنزل على نبي الله عيسى عليه السلام والقرآن الذي أنزل على نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام) .

والمؤمن يؤمن بهذه الكتب جميعاً ولا ينكر واحداً منها ، ومن أنكر نزول واحداً من هذه الكتب فقد كفر وخرج من الإسلام.

ونحن نؤمن بها لأن الله عز وجل أخبرنا عنها في القرآن الكريم الذي هو كلام الله وأمرنا بالإيمان بها ، قال الله عز وجل : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

ونؤمن بوجودها لأن العقل لا ينكر ذلك فكل دولة تصنع لنفسها دستوراً تسير عليه حتى لا تسير بعشوائية وفوضى تؤدي إلى هلاك العباد والبلاد ،كذلك لله المثل الأعلى ، الله عز وجل ينزل كتباً على رسله لتكون دستوراً ومنهج حياة

يسير عليه الناس حتى يحيوا حياة طيبة كريمة ويتعرفوا من خلالها على خالقهم عز وجل وعلى الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة وما يضرهم وما ينفعهم.

ولكن للأسف هذه الكتب السابقة على القرآن قد تم تحريفها بواسطة علماء تلك الديانات السابقة وفي الفصول القادمة عند الحديث عن موقف الإسلام من نبي الله عيسى عليه السلام تذكر مجموعه من الأدلة على تحريف الكتاب ، وللأسف هذه الكتب لم يبق منها إلا ترجمات أما النسخ الأصلية التي أنزلها الله فلا وجود لها .

الركــن الربـــع
الإيمـــان بالرسل الكـــرام
عليهم الصلاة والسلام

الركن الربع من أركان الإيمان ،الإيمان بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام.

ومعنى ذلك أن المؤمن يؤمن أن الله عز وجل قد اختار جماعه من البشر اصطفاهم لحمل رسالته إلى الناس وكلفهم بأداء هذه الأمانة وأن هؤلاء الأنبياء والرسل جميعاً قد بلغوا رسالتهم وأدوا الأمانة على الوجه الذي يرضي الله .

وأن أولهم أدم عليه السلام أبو البشر وأن أخرهم محمد رسول الله ﷺ ، وأن هناك الكثير من الأنبياء الذين لا يعلم عددهم وأخبارهم وأسمائهم إلا الله عز وجل .

ولكن قصَّ الله علينا في القرآن قصص وأخبار عن خمسة وعشرين نبياً من هؤلاء الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وهم: (أدم ، نوح ، إدريس، صالح ، هود ، إبراهيم ، لوط ، إسماعيل ، أسحق ، يعقوب ، يوسف ، موسى، هارون، شعيب ، داود ، سليمان ، أيوب ، يونس ، ذا الكفل ، إلياس ، اليسع ، زكريا ، يحيى ، عيسى ، محمد -صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً- .

لكن ما معنى كلمة رسول ؟ ، وما صفاته ؟ ،وهل هناك أدلة على صحة رسالتهم ؟ ،وما الهدف من رسالتهم ؟ ،هذا ما سنجيب عليه الكلمات التالية :

■ ذكرنا في بداية هذا البحث أن الإنسان في حاجة إلى الدين ليدله الدين على خالقه ، وإلى أين مصير هذا الإنسان ؟ وما الهدف من وجوده ؟ كما أن الإنسان في حاجة إلى الدين كي ينظم له علاقته بالله تبارك وتعالى ، وكيف يتعبد الإنسان لله وكيف يتقرب إليه ، وكذلك ينظم له علاقته مع الآخرين ويضع له قوانين العدل والرحمة والمساواة والحرية ، كل ذلك عن طريق الدين.

لكن هنا سؤال هام : كيف يصل الدين الصحيح إلى الإنسان ؟ .

لن يستطيع الإنسان بعقله أن يصل إلى الدين الصحيح لأن العقول متفاوتة ثم أن العقول فيما مضى ظلت تائهة تبحث عن الإيمان وعن أسرار الكون لكنها عجزت عن أن تصل إلى حقيقة خالقها وكنه هذا الإله العظيم، إذا كيف يصل الإنسان إلى الدين الصحيح ،كيف يتعرف على خالقه وكيف يعبده ويتقرب إليه ؟.

وبما أن الله عز وجل لم يخاطب كل إنسان على حده ويخبره بتعاليمه وحقائق الدين، إذا لا بد أن يكون هناك أحد يتقبل تلك التعاليم من الله ويعلمها للناس ، كل بلسان قومه حتى يفهموا ما يريد ، فكان الرسل عليهم الصلاة السلام الذين اختارهم الله لهذه المهمة العظيمة ، فمن هو الرسول؟.

الرسول هو إنسان من البشر اختاره الله وأوحى إليه بشرع وتعاليم وأمره بتبليغها للناس ، **وهذا الرسول لا بد له من صفات معينة حتى يكون أهلاً لحمل هذه الرسالة العظيمة وهذه الصفات هي :**

[١] أن يكون بشراً :

يكون إنس كسائر الناس ولا يصح أن يكون من الملائكة لأن الإنسان لا يرى الملائكة فكيف يتلقى عنهم تعاليم الله ، فإما أن يتحول الإنسان إلى ملك أو العكس يتحول الملك إلى إنسان ، وبدلاً من عملية التحول هذه أراح الله الناس واختار رسله من جنسهم بشراً مثلهم .

وكذلك لأن الرسول سيكون قدوة يتابعه الناس ويتعلمون منه العبادة ، ولو كان الرسول ملكاً لقال الناس هذا ملك خلق مجبولاً على العبادة ونحن لا نتحمل أن، نفعل مثله ،فاقتضت حكمة الله الحكيم أن يرسل بشراً وليس ملكاً.

[٢] الصـــدق :

لا بد أن يكون الرسول صادقاً لا يكذب أبداً حتى ولو في الكلام العادي من كلام الناس ،لأنه لو كان كاذباً فكيف يأمنه الله على وحيه وشرعه؟ ، وكيف

يقبل منه الناس رسالته وهم يعلمون أنه كاذب ، فلو كان كاذباً فلن يصدقه أحد من الناس فيما يقول .

ولأن الله عز وجل قد صدقهم وأيدهم بالبرهان على صدقهم، فلو وقع منهم الكذب لنسب الكذب إلى الله لأنه هو الذي أرسله وحاشا لله أن يكون كذلك .

[٣] الأمـــانـــة :

لا بد للرسول أن يكون أميناً حتى يؤدي الرسالة كاملة على الوجه الذي أراده الله فلا يكتم منها شيئاً أو يزيد عليها شيئاً ، والخائن لا يأمنه الناس على أموالهم فكيف يأمنه الله على شرعه .

[٤] الفطنة والذكاء :

لابد أن يكون الرسول فطناً ذكياً، عنده قوة في العقل والإدراك وحسن تدبير الأمور حتى لا يقع في أخطاء تتنافي مع النبوة،ولأنه يبلغ رسالة فلابد أن يتمكن من تبليغها ويذكر الأدلة على صدقة وعلى قوله وكيف يرد شبة المنكرين في رسالته،وكيف يرسل الله عز وجل رسولاً يبلغ شرعه للناس، ويكون هذا الرسول موصوفاً بالبلادة وقلة الذكاء ولا يعرف كيف يتصرف إذا واجهته مشكلة .

■ هذه بعض صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وإجمالاً أقول أن الإنسان إذا أراد أن يرسل إنساناً آخر برسالة هامة ، فإنه ينتقي لها أحسن الناس خلقاً وصدقاً وأمانة وعدلاً وفطنه وذكاء لضمان وصول الرسالة إلى أصحابها كما أراد حتى أن الدول عندما تريد أن ترسل سفراء إلى الدول الأخرى فإنها لا ترسل أي إنسان هباءً هكذا ، وإنما تنتقي رجالها على أحسن صورة حتى يشرف بلده ويقوم بمهمته على أكمل وجه .

فما بالكم بمن يحمل أمانة الله ورسالة الله إلى الناس ليعلمهم كيف يعبدون الله ، وكيف يتقربون إلى الله ، وكيف ينظم لهم حياتهم ، لذلك اختار الله أفضل البشر خُلقاً وصدقاً وعدلاً وأمانة وثقة بين الناس، ليعلموهم شرع الله .

لذلك نجد أن أقوام هؤلاء الرسل لم يكذبوهم لشخصهم أو طعناً فيهم وإنما طعنوا فيما أتى به هؤلاء الرسل مع علمهم اليقيني أنهم صادقون ، وإنما كذبوا رسلهم عناداً واستكباراً وجحوداً وحسداً من عند أنفسهم ، قال الله عز وجل : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل : ١٤] .

ولكن حتى لا يدعي أي إنسان أنه رسول من عند الله ، كان الله عز وجل يؤيد رسله بالدليل القطعي على صدقهم ، والدليل على صدق الرسل هو ما يعرف باسم المعجزات ، والمعجزة هي أمر خارق للعادة فلا يستطيع إنسان عادي أن يأتي بهذا الأمر الخارق ، يظهره الله على يد رسول تصديقاً له في دعواه ، فليس من صنع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولكنها دليل من الله على صدق الرسول في دعواه وأنه مؤيد من الله .

فكل نبي له معجزة تؤيد صدقه وهذه المعجزة يتحدى بها كل نبي قومه بأن يأتوا بمثلها ، وما دام الرسول يتحدى بها قومه إذاً لابد أن تكون من شيء برع قومه فيه حتى لا يتحداهم في شيء يجهلونه ، وكل نبي له معجزة خاصة سأذكر بعضها فيما يلي :

أولاً : إبراهيم عليه السلام :

من المعروف أن النار إذا وضع فيها شيء فإنها تأكله حتى الحديد يوضع فيها فيذوب ، فما بالكم إذا وضع فيها إنسان ، كانت معجزة نبي الله إبراهيم عليه السلام هي النار حيث كذبه قومه ولما رأوا إصراره جمعوا له نارا عظيمة حتى قال بعض المؤرخين يوشك أن تصل إلى عنان السماء ثم وضعوه فيها ولكن لآن الله هو الذي أرسله أراد أن يؤيده ويصدقه فاوقف له خاصية الإحراق في النار فلم تمسه النار بسوء وخرج منها سليمًا معافًا بعد أن قال لها الله : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] .

ثانياً : موسى عليه السلام :

نبي كريم فأرسله الله عز وجل لدعوة بني إسرائيل لعباده الله ودعوة فرعون

مصر كذلك وحتى يخرج بني إسرائيل من مصر ويحررهم من ظلم فرعون وحتى يصدقه قومه انه رسول من عند الله كان لابد من معجزة تدل على صدقه ، وكان ينبغي أن تكون المعجزة من جنس ما برع ، فيه القوم وكان قومه قد اشتهروا بالسحر حتى بلغوا في ذلك مبلغا عظيما فجاءت المعجزة في جنس ما برعوا فيه وهو السحر ولكن ليس بسحر بل على الحقيقة ألا وهي معجزة العصى فتحولت عصى موسى إلى حيه تاكل ما يقف أمامها ، وتحولت يده السوداء إلى بيضاء من غير سوء بقدرة الله عز وجل ، فعلم قومه أن هذا ليس من السحر فأمن به بعضهم وصدقوه وعلموا انه لا ياتي بذلك إلى رسول من عند الله عز وجل .

ثالثًا : نبي الله عيسى ﷺ :

وسنذكر إن شاء الله موقف الإسلام منه بالتفصيل في فصل لكن الآن نبذة مختصرة عنه :

ثم أراد الله عز وجل أن يرسل إليهم رسول، يحدد لهم ، دينهم وعبادتهم لله عز وجل ، وهذا الرسول هو نبي الله عيسى ﷺ،وكان لابد أن يكون معه الدليل على صدق رسالته لابد من معجزة يراها الناس وكان في ذلك الزمان قد اشتهر الناس بالطب حتى بلغوا في ذلك شأنا عظيمًا ، وكانت المعجزة لابد وأن تكون من جنس ما برعوا فيه فكان للمسيح عيسى ﷺ كثير من المعجزات تبدأ بميلاده حيث خلقه الله عز وجل من أم بلا أب في قمة الإعجاز الذي لا يقدر عليه مخلوق ،وسنذكر ذلك بالتفصيل إن شاء الله في الفصل القادم ثم أيده الله بمعجزة أخرى قويه انه كان يبرئ الأكمه والأبرص ، بل وكان يحي الموتى بإذن الله عز وجل ، وهذا لا يقدر عليه إلا رسول مؤيد من الله ، وهكذا في سائر الرسل كل رسول يرسله الله عز وجل لابد أن يؤيده بما يدل على صدقه ، حتى لا يكذبه الناس، وحتى لا يجرؤ أي إنسان على دعوى أنه رسول من عند الله ، والآن اسمع لي أيها القارئ الكريم أن نعيش بشيء من التفصيل عن رسولين كريمين عظيمين

من رسل الله عز وجل وهما رسول الله محمد ﷺ .....نبذه عن حياته ، ثم الأدلة الدامغة على أنه رسول من عند الله عز وجل ، ثم رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام ونذكر موقف الإسلام منه ونثبت بالأدلة القطعية استحالة كونه إلهًا، وإثبات انه رسول بشر خلقه الله وأيده بالمعجزات، فأرجو أن تصغي لي أيها القارئ الكريم قلبك وعقلك من كل شائك ومن كل فكره مسبقة عن هذين الرسولين لتقرأ الآن الحقائق عنهما بالأدلة الصادقة الصحيحة.

محمد رسول الله ﷺ

ذكرنا فيما سبق أن الله عز وجل يختار من البشر أناسًا بصفات معينة ليكونوا رسل الله إلى الناس، وليبلغوا رسالة الله إلى البشر لكي يتعرف الناس على الله خالقهم فيعبدوه ويطبقوا بتعاليمه.

وذكرنا أن الله عندما يرسل رسولا من هؤلاء الرسل فإنه يؤيده بالدليل القاطع على صدقه حتى لا يكذبه الناس وحتى لا يدعي أي إنسان إنه رسول من عند الله. وقد حدث أن ادعى كثير من الناس أنهم رسل من عند الله ولكنهم كانوا كاذبين في دعواهم فسرعان ما انهارت دعوتهم وبقيت الدعوة الصادقة المؤيدة من الله عز وجل ومن هؤلاء الرسل الكرام محمد رسول الله ﷺ أرسله الله برسالة الإسلام إلى الناس كافه وأيده بالدليل بل بالأدلة الكثيرة القطعية والتي لا تدع مجالاً للشك على أنه رسول من عند الله، ولكن قبل أن نبدأ الحديث في الأدلة على صدق النّبي ﷺ وإثبات رسالته وإثبات أن القرآن كلام الله وليس من وضع البشر ينبغي أن نعلم أولاً شيئا عن محمد ﷺ ،من هو؟ ،وفي أي عصر كان ؟ ، واسمه ؟، وأولاده ؟ ،وزوجاته ؟ ،وكيف كانت حياته ،وأخلاقه ،ومعاملاته، حتى تتعرف على هذه الشخصية العظيمة قبل أن نثبت صدق رسالته .

نبذة مختصرة عن حياة محمد رسول الله ﷺ :

أولاً : نسبة ﷺ :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وعدنان هذا هو حفيد نبي الله إسماعيل بن نبي الله إبراهيم عليه السلام .

ثانياً : مولده ونشأته ﷺ :

ولد النَّبي محمد ﷺ في القرن السادس الميلادي سنة ٥٧١ ميلادية في عام يسمى عام الفيل في شهر ربيع الأول .

ولد محمد ﷺ يتيماً فقد مات أبوه وهو في بطن أمه ، ولما بلغ السادسة من عمرة ماتت أمه فتكفل به جدة عبد المطلب فلما بلغ الثامنة من عمره مات جده عبد المطلب فتكفل به عمه أبو طالب ، ولكن أبو طالب كان كثير العيال قليل المال، فلم يقبل محمد ﷺ أن يعيش عاله على عمه ولم يزل طفلاً صغيراً لكنه خرج إلى العمل فاشتغل في رعي الغنم لقومه في مكة في مقابل أجر يسير ، ثم بعد فترة ترك العمل في رعى الأغنام واشتغل بالتجارة .

وظل كذلك حتى بلغ الأربعين من عمره ، وعندها جاءه الوحى بالرسالة التي غيرت مجرى حياته ومجرى التاريخ كله .

ثالثاً : زواج النَّبيّ محمد ﷺ :

وأول من تزوج النَّبيّ محمد ﷺ وهو ابن خمس وعشرين عاماً من السيدة خديجة ﵂ وكان عمرها أربعين سنة، أي أكبر منه بخمس عشرة عاماً .

وظل معها ولم يتزوج غيرها مع أن ذلك كان شائعاً عند العرب ، لكنه ظل وفياً لها حتى بلغ الخمسين من عمره ، وعندها ماتت خديجة وتركت له أطفالاً صغاراً ، وكان هو مشغول في رسالته فكان في حاجة إلى امرأة ترعى شئونه وشئون أولاده .

وإلى ذلك الوقت لم يكن محمد ﷺ يفكر في تعدد الزوجات مع أنه كما قلت أمر شائع عن العرب ، لكن محمد ﷺ لما فكر في أن يتزوج أكثر من واحدة لم يكن من أجل الشهوة وإلا فإنه كان متزوجاً بامرأة أكبر منه وهو في ريعان شبابه ، ولو كان يفكر في الشهوة لتزوج بكراً أو كان عدد الزوجات وهو في سن صغير يشتهي النساء ، ولم يكن يعيب عليه أحد ذلك لكنه لم يفعل .

أما عن تعدد زوجاته فليس رغبة في النساء ولكن لأسباب هامة ، فكل واحدة من هذه الزوجات كان لسبب خاص ولكن من وجهة نظري أن هناك سبب عام لتعدد زوجات النَّبيّ ﷺ .

هذا السبب هو أن النَّبيّ ﷺ يحمل رسالة إلى الناس ويحمل تشريعاً، والرسول والقائد قدوة لمن يتبعة، فالرسول قدوة للمسلمين في كل شيء ليتعلموا منه عملياً .

فهو القدوة في مأكله ومشربه وملبسه ، وخروجه ودخوله ونومه ، قدوة لكل مسلم في كل شأن من شئون الحياة ، حتى في الزواج ، وكما اختلفت طبائع الناس وطبائع النساء على وجه الخصوص ، كان لابد من قدوة على اختلاف الصفات ، مما يعلم كل رجل من المسلمين كيف يتعامل مع زوجته عن طريق القدوة العملية محمد ﷺ .

ولتوضيح ذلك المعنى أقول :

مثلاً لو تزوج شاب امرأة أكبر منه سناً ويريد أن يعرف كيف يتعامل معها فيريد قدوة عملية صالحة ، فنقول له انظر كيف كان محمد ﷺ مع زوجته خديجة ،ولو تزوج رجل امرأة أصغر منه سناً ويريد أن يعلم كيف يتعامل معها فنقول أنظر كيف كان النَّبيّ محمد ﷺ يتعامل مع زوجته عائشة رضي الله عنها، ولو تزوج رجل امرأة بنت قائد كبير أو حاكم ويريد أن يعرف كيف يتعامل معها فنقول أنظر كيف كان محمد ﷺ يتعامل مع زوجته السيدة صفية رضي الله عنها، وهكذا في سائر نساء النَّبيّ محمد ﷺ فكل زوجه لها أسلوب معين ليكون قدوة لمن تزوج امرأة تشبهها في الصفات أو الأسلوب .

ثم أن هناك سبب آخر عام لتعدد زوجات النَّبيّ محمد ﷺ ،وهو ان محمداً ﷺ رسول وقدوة ولابد من تبليغ كل كلمة يقولها أو حركة يعملها إلى قومه لأنها تشريع في دين الإسلام، في نومه وصحوه، وغسله وأكله وشربه ، وسائر حياته .

وزوجه واحدة لا تكفي لنقل كل شيء عن حياته ، ولا تقدر زوجه واحدة على هذه المهمة الجليلة وهي رواية أحاديث وأخبار النَّبيّ محمد ﷺ .

لذلك نجد أن هناك مجموعة من الأحاديث لم يروها إلا عائشة رضي الله عنها ، ومجموعة من الأحاديث لم يروها إلا أم مسلمة ، ومجموعة أحاديث لم يروها إلا صفية وهكذا في سائر زوجاته .

والدليل الأكيد على أنه لم يتزوجهن لشهوة أن سائر زوجاته كن في سن كبير غير مشتهاه وكن متزوجات قبله ﷺ ، ولم يتزوج بكراً إلا عائشة رضي الله عنها ، فكيف برجل شهواني يترك النساء الصغيرات الأبكار ثم يتزوج الكبيرات اللاتي لم يعد لهن شهوة حتى أن واحدة من زوجاته من كبر سنها وعلمها بأنها غير أهل للشهوة وهبت يومها لامرأة أخرى من زوجاته وطلبت منه أن يبقيها زوجه ليرعاها في كبر سنها ، مما يدل على أنه لم يكن له رغبة فيها إلا رعايتها ورعاية أولادها .

وكذلك في سائر نسائه ، كل امرأة لها سبب خاص في الزواج منها ، فمن مات زوجها ولم يبق راع لها ولا لأولادها فيزوجها لرعايتها في كبر سنها ورعاية أولادها الأيتام .

أو امرأة بنت حاكم عزيزة فوقعت أسيرة فيحررها ويتزوجها ليحرر أهلها جميعاً بسبب زواجها من رسول الله ﷺ ، وهكذا كل امرأة لها سبب .

وفيما مضى يكفي لعدم ذكر الأسباب الخاصة بكل امرأة مما لا داعي للحديث فيه فالأسباب العامة الماضية أهم من الخاصة .

رابعاً : أولاد النَّبيّ ﷺ :

رُزِقَ محمد ﷺ بعدد من الأولاد الذكور وهم القاسم وعبد الله وإبراهيم وماتوا جميعاً وهم أطفال صغار لم يتجاوز عمر واحد منهم خمسة أعوام ، وكذلك رُزِقَ بعدد من البنات (زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة) ومُتْنَ جميعاً في حياته إلا فاطمة ، ماتت بعدة بستة أشهر - رضي الله عنها - .

خامساً : أخلاقه وصفاته:

كان النَّبيّ ﷺ في المدة من حياته قبل بعثته يتمتع بأفضل الأخلاق وأطيب الشمائل فلم يؤثر عنه ما يخل بمكارم الأخلاق فلم يأتي ولو مرة بما كان يأتيه بنوا قومه من الشباب أبداً .

فلم يسجد لصنم ، ولم يشرب خمراً ، ولم يلعب قماراً أو ميسراً ، ولم يستقسم بزلم ، ولم يظلم أحداً في عرض ولا مال ولا دم ، لقد كان بشهادة أعدائه وخصومه مثالياً في أخلاقه وناهيك بإجماع قريش على إضفاء لقب الأمين عليه ، هذا اللقب لم يظفر به أحد في ديارها أبداً لقد كان ﷺ أميناً في سره وفي علنه ، أميناً في قوله وفي عمله ، أميناً في غيبه وفي مشهده ، أميناً في كل شيء وعلى كل شيء [١] .

ومع أن كل هذه الأمور التي نعتبرها سيئة كانت عند العرب أمراً طبيعياً حتى الزنا كان عندهم شيئاً طبيعي لا يعاب عليه فاعله إلا أن محمداً ﷺ لم يخطر السوء على باله ، كان صادقاً أميناً ، عفيفاً كريماً، حليماً عفواً ، سمحاً شجاعاً متواضعاً ، باختصار كان الخُلق يمشي على الأرض.

وصدق النَّبيّ ﷺ حيث قال : "**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**" [٢] .

وبعد أيها القارىء الكريم هذه نبذه مختصرة عن حياة النَّبيّ محمد ﷺ ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب السيرة الذي تحدثت عن حياته بالتفصيل لترى مدى عظيم أخلاقه وآدابه ﷺ وحتى لا يقول أحد اننا نذكر ذلك تعصباً وتحيزاً لنبينا ﷺ ، اقرأ معي هذه الأقوال لبعض المستشرقين الغربيين الذين لم يؤمنوا به ولكنهم قالوا عنه كلمة الحق والعدل .

أقوال بعض الغربيين المنصفين عن رسول الله ﷺ :

هذه مجموعه من الأقوال والكلمات التي ذكرها بعض الباحثين الغربيين عن

---

(١) عقيدة المؤمن ، أبي بكر الجزائري ، ص ١٦٢ ، طبعة دار السلام للطبع والنشر والترجمة .

(٢) مالك ، الموطأ ٢ / ٦٩٠ ، طبعة دار الحديث ، بلاغاً، وقال ابن عبد البر : هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره .

محمد ﷺ وعن الإسلام على الرغم من انهم لم يدخلوا في الإسلام:

[١] **يقول بوزورت سميث :** إن محمداً بلا نزاع أعظم الصالحين على الطلاق [١].

[٢] **يقول هنري الفرنسي** في معرض الاستدلال على صدق رسالة محمد ﷺ : لسنا نحتاج في إثبات صدقه إلى أكثر مما يأتي :

﴿ أ ﴾ كان محمد أُمِّيًا لا يقرأ ولا يكتب وهذا الوصف لم يعارض فيه أحد .

﴿ ب ﴾ أنه لم يسترشد في دينه بمرشد يتقدمه.

﴿ جـ ﴾ وانه كان يفر من عباده الأوثان وتعدد الآلهه وكان يعرف بوحدانية الواحد الأحد واعتكف وحده بغار حراء.

﴿ د ﴾ ومع كونه أُمِّيًا معه قرآن يعجز فكر البشر عن الإتيان بمثله لفظاً ومعنى .

﴿ هـ ﴾ وان محمداً اتى بالقرآن دليلاً على صدق رسالته وهذا الكتاب سر من الأسرار لا يدركه إلا من صدّق بانه من عند الله .

﴿ و ﴾ أنه كان لا يميل إلى الزخارف والاستكبار والبخل فقد كان يحلب شاته بنفسه ،ويجلس على التراب ويرقع نعله بيده ،وكان قنوعاً ، ولقد خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز البر ولم تكن له حاشية ولا وزير ولا حشم، لم يرغب طول حياته في المال وكان كل ما ياتيه يتصدق به [٢].

[٣] **برناردشو يقول**: ان الإسلام دين يستحق الاحترام والإجلال لأنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات وهو خالد خلود الأبد وأني أرى كثيراً من بني قومي من العلماء قد دخلوا هذا الدين على بينه من أمرهم ، ومستقبلاً سيجد هذا الدين مجاله الفسيح في كل انحاء أوروبا ، وقد درست سيره محمد ﷺ فوجدته بعيداً عن مخاصمة المسيح ويمكن بحق أن نعتبر محمداً منقذاً للإنسانية، واعتقد أن رجلا مثله لو حكم العالم بآثاره وخلقه لجلب للعالم السلام والسعادة

---

(١) مجلة الأزهر الجزء السادس ، الثالثة والسبعون شهر جمادي الآخرة ١٤٢١هـ ، سبتمبر ٢٠٠٠م ، بتصرف ص ٨٣٥ .

(٢) نفس المصدر .

وقد برهن الإسلام من ساعاته الأولى أنه دين الأجناس جميعًا وإذ ضم سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيباً الرومي،كما اعتنقه مجموعات من النصارى واليهود وعبدة الأوثان وانصهر الجميع في بوتقة واحدة دون فرق على الإطلاق [١] .

[٤] وول ديورانت صاحب قصة الحضارة يقول :

إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس لقلنا إن محمداً كان أعظم عظماء التاريخ فقد رفع المستوى الروحي للوفاء والإخلاص من بعد أن ألقت به في ظلمات الهمجية حرارة وجدب الصحراء ، وقد نجح محمد ﷺ برسالته في ذلك نجاحا لم يدانيه أحد على مدى التاريخ لقد كبح محمد جماح التعصب وقضى على الخرافات واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائه معركة وفي قرن واحد أن ينشئ دوله عظمى وإن يبقى إلى يومنا هذا قوه ذات خطر عظيم لم يتظاهر محمد قط بأبهة السلطان بل كان يرفض أن يوجهه إليه شئ من التعظيم والتبجيل يقبل دعوه العبد الرقيق إلى الطعام ، ولا يطلب من عبد أن يقوم له بعمل يجد لديه من القوه والوقت ما يمكنه من عمله ، لم ينفق على أسرته من المال إلا القليل رغم ما كان يَرِد إليه من الفيء الكثير [٢] .

[٥] ميشيل هارت وكتابه المائة الأوائل وأعظمهم محمد ﷺ إذ يقول :

إنني وجدت أن محمداً هو صاحب الحق الوحيد في أن أعتبره صاحب أعظم أثر على الأخلاق في التاريخ الإنساني [٣] .

أكتفي بهذه الآراء الخمسة عن محمد ﷺ من قوم لم يؤمنوا به ،وإلا فأقوال المنصفين من الغرب عن محمد ﷺ ورسالته كثيرة جداً ، ولله الحمد والمنة والحق ما شهدت به الأعداء .

---

(١) نفس المصدر ص ٨٣٦ .
(٢) نفس المصدر ص ٨٣٨ .
(٣) نفس المصدر ص ٨٣٨ .

محمد رسول الله ﷺ

مقدمة

قبل الحديث أيضًا عن الأدلة على صدق النّبيّ محمد ﷺ أحب أن أعرض عليك أيها القارئ الكريم هذه المقدمة الصغيرة التي أرجو أن تعينك على فهم الأدلة التي سأذكرها .

أقول : ادعي محمد أنه رسول الله إلى الناس كافة يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل فمن الناس من آمن به ومنهم من صد عنه وكفر به ، ومن كفر به قالوا إن دعواه هذه باطلة وأن محمداً مجرد قائد عسكري ألف القرآن ، والبعض يقول ألفه له بعض الرهبان وزعم نسبته إلى الله ليتمكن من قيادة جيشه لغزو العالم .

لنفترض معك جدلا أن محمداً كذاب في دعواه هذه فهناك سؤال يدور في خاطري .لقد أخبر محمد أنه سيكون بعده كذابون دجالون يدعون النبوة وطلب منا عدم تصديقهم في دعواهم ، ومثل هذا الأمر جاء في الكتاب المقدس نفسه على لسان السيد المسيح عليه السلام أنه سيكون هناك مدعون للنبوة فلا تصدقوهم ، لكن السؤال الذي خطر على قلبي أن هؤلاء المدعون للنبوة سرعان ما انكشف كذبهم وباطلهم وانهارت دعوتهم الباطلة ولم يبق لهم أي أثر حتى الآن ، فلماذا بقيت دعوة محمد ﷺ إلى الآن ، ولم تذهب كما ذهبت الدعاوى الأخرى الكاذبة ؟ ، لماذا بقيت دعوة محمد ﷺ خمسة عشر قرنا من الزمان ؟ ، بل ويزداد أتباعه المؤمنون به كل يوم ولا ينقصون ، عكس الديانات الأخرى التي ينقص أتبعاها بدخولهم في الإسلام ؟، لو كان محمد - ﷺ - كاذبًا لانهارت دعوته وذهبت وقل أتباعه حتى تذهب دعواه كما حدث مع الآخرين، لكن الواقع أن أتباع محمد ﷺ يزيدون رغم الذي يعتري الأمة الإسلامية ، بل وكلما

أصيبت الأمة بنكبة من النكبات ازداد عدد المسلمين ، ألم يلفت نظرك أيها القارئ الكريم هذا الانتشار العظيم للإسلام والمسلمين مع ما فيه الأمة الإسلامية الآن من ضعف وهوان ، أعتقد أن السبب في انتشار الإسلام بهذه القوة هو دافع ذاتي من داخل الدين لأنه يقوم على الفطرة والعقل والحجة والبرهان ، وليس على أيدي المسلمين لأنهم مقصرون في واجب تبليغ الإسلام لضعف أمتهم .

ثم ثمة سؤال آخر يخطر على بالي إذا كان محمد كاذبًا فما الهدف من دعواه هذه ؟ ،كل رسول هدفه تبليغ الرسالة ، وكل إنسان يسعي وراء أمر لابد له من هدف يسعي إلى تحقيقه ، فما الهدف من دعوى محمد للرسالة ؟! .

ما الذي يجعل محمداً ﷺ يتحمل كل هذه المعاناة والآلام التي تحملها على أيدي أهل مكة من صور وأصناف العذاب ألوانا حتي طرد من بلده إلى بلد آخر هل كل ذلك بلا هدف ؟ إذاً ماذا كان هدف محمد ﷺ من هذه الدعوى ؟.

إذا كان محمد قائد عسكري يريد أن يحكم العالم فهدفه إذا إما المال أو الجاه أو الحكم أم القوة والسلطة والشهرة ، فلو كان محمد كاذبا فلن يخرج هدفه عن هدف من الأهداف السابقة الذكر ، لو كان محمد كاذبًا في دعواه ويريد الملك أو المال أو الحكم لكان تحقق له ذلك دون أدني معاناة أو ألم ، ما الذي يدفعه إلى أن يتحمل الألم هو وأصحابه ويترك بلده وقد أتاه الملك والمال والشهرة والحكم على طبق من ذهب ، حيث كانت قريش أهل مكة المكرمة سادة العرب وكان الناس يأتون من كل مكان لحج البيت الحرام فقد كانت لها مكانة عظيمة في قلوب الناس فلما ظهر محمدﷺ بدعواه ذهب إليه أهل مكة وعرضوا عليه هذا العرض الذي لو كان كاذبا لكان عرضًا سخيًا لا يرفضه أحد ، قالوا له : لو كنت تريد من قولك هذا مالا جمعنا لك حتي تكون أغنانا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، لكن رد محمد ﷺ عليهم ردا مازال إلى الآن يدوي في آذان الدنيا كلها قال لهم : **«والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في**

يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتي يُظهره الله ، أو أهلك دونه».

ومع هذا العرض العظيم فإن محمداً ﷺ عاش فقيراً لا يوقد في بيته نار الشهر والشهران ، ومات فقيرا ودرعه مرهون عند رجل يهودي ، إذًا فليس الهدف من دعوته جمع المال، ولم يكن قد ملك شيئا من الأرض إلا مكة والمدينة عند موته ، وقد عرض عليه قومه أن يكون ملكا عليها إذا فلم يكن أيضًا يهدف إلى الملك أو الحكم والسلطة ، إذًا فماذا كان هدفه إن لم يكن الملك والمال والشهرة والسلطة ؟!! .

أعتقد أن هناك هدف أسمي وأعلى من ذلك هو الذي دفع محمداً ﷺ أن يترك الملك والمال والشهرة ويتحمل العذاب والاضطهاد ، وهذا الهدف العظيم أنه فعلا كان يحمل رسالة عظيمة وأمانة كبيرة يريد أن يبلغها للناس ويؤديها على الوجه الذي يرضي الله ، ألا وهي رسالة الإسلام.

بعد هذه المقدمة عن محمد ﷺ والهدف من رسالته دعني أضع بين يديك أيها القارئ الكريم الأدلة القطعية التي يقبلها العقل والمنطق على صدق النَّبيّ محمد ﷺ في دعواه أنه رسول من عند الله إلى الناس كافة .

والأدلة على صدق النَّبيّ محمد ﷺ من خمسة أوجه :

الوجه الأول : بشارات الكتاب المقدس عن رسول الله ﷺ

الوجه الثاني: المعجزات الحسية التي حدثت وشاهدها الناس بأعينهم لمحمد ﷺ .

الوجه الثالث : القرآن الكريم المعجزة الكبرى والدليل الذي لا يكذب .

الوجه الرابع : أحاديث النَّبيّ محمد ﷺ ليست من قول البشر.

الوجه الخامس : الأنبياء السابقون والكعبة المشرفة والمسجد الأقصى .

ومع أن الوجه الثالث وهو القرآن الكريم هو الدليل الذي استدل به النَّبيّ محمد ﷺ على صدق دعواه، إلا أني آثرت أن أذكر الأدلة الأخرى لأسباب منها، على سبيل المثال : أن الوجه الأول وهو محمد ﷺ في الكتاب المقدس لا

يحتاج الإسلام ولا محمد ﷺ إلى هذا الدليل ، إلا أني أذكره لأن بعض النصارى يزعمون أن سبب عدم إيمانهم بمحمد ﷺ أنه لم يذكر في الكتاب المقدس ، والكتاب المقدس ذكر سائر الأنبياء فلو كان محمد نبياً لذكره الكتاب المقدس كما ذكر سائر الأنبياء ، فأردت أن أزيل شبهتهم وأذكر لهم بعض النصوص في الكتاب المقدس والتي تشير إشارة واضحة إلى النَّبيّ محمد ﷺ ، فإما أن يعودوا إلى الحق وإما أن يكون كلامهم هذا باطل ومعاند للحق.

كذلك الأمر بالنسبة إلى الوجه الثاني وهو المعجزات الحسية التي حدثت للنَّبيّ ﷺوالتي شاهدها الناس بأعينهم والتي تزيد عن ألف معجزة لا يمكن لبشر عادي أن يأتي بها ، ومع أن محمداً ﷺ لم يستدل بها على صدق دعواه إلا أني أيضًا أذكرها لأن بعض الناس من غير المسلمين يقولون : ما أرسل الله نبيا إلا أيده بالمعجزات مثل نار إبراهيم وعصي موسى فلو كان محمد نبيا لأيده الله بمعجزات حسية مثل سائر الأنبياء فأردت أن أضع بين أيديهم مجموعة من المعجزات الحسية الكثيرة جدا التي حدثت للنَّبيّ ﷺ لعلهم يعرفون الحق ويؤمنون به ، أما الدليل الأقوى والأساسي فهو القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

والآن مع الأوجه الخمسة الدالة على صدق النَّبيّ محمد ﷺ .

الوجــه الأول
محمد ﷺ في الكتاب المقدس

لقد جاءت الإشارة إلى رسول الله ﷺ في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد في عشرات الآيات .

ولكن اليهود والنصارى يلوون هذه الآيات حتى لا تنطبق على محمد ﷺ ، ولكن سأذكر هذه النصوص وأبين بما لا يدع مجالا للشك أن هذه النصوص تنطبق على النَّبيِّ محمد ﷺ وليست على أحد سواه ، وإليك هذه النصوص مع التوضيح والبيان .

أولاً: البشارات في التوراة : [١]

تعددت البشارات برسول الإسلام في التوراة وملحقاتها ، ولكن اليهود أزالوا عنها كل معنى صريح ، وصيروها نصوصاً احتمالية تسمح لهم بصرفها عنه ﷺ ومع هذا فقد بقيت بعد تعديلها وتحريفها قوية الدلالة على معناها " الأصلي " من حملها على رسول الإسلام ﷺ لأن حملها على غيره متعذر أو متعسر أو محال .

فهي أشبه ما تكون برسالة مغلقة محي " عنوانها " ولكن صاحب الرسالة قادر - بعد فضها - أن يثبت اختصاصها به ، لأن الكلام " الداخلي " الذي فيها يقطع بأنها " له " دون سواه ؛ لما فيها من " قرائن " وبينات واضحة ونعرض - فيما يلي - بعضاً منها :

« وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته » .

فقال :« جاء الرب من سيناء،وأشرق لهم من ساعير،وتلألأ من جبل فاران »[٢] .

---

(١) بحث للدكتور / محمود حمدي زقزوق على موقعة شبكة المعلومات « صيد الفوائد » آثرت ذكره كاملاً دون تدخل مني لأهميته .

(٢) سفر التثنية : الإصحاح (٣٣) الفقرات (١-٢) .

في هذا النص إشارة إلى ثلاث نبوات:

الأولى: نبوة موسى عليه السلام التي تلقاها على جبل سيناء.

الثانية: نبوة عيسى عليه السلام ساعير هي قرية مجاورة لبيت المقدس، حيث تلقى عيسى عليه السلام أمر رسالته.

الثالثة: نبوة محمد ﷺ وجبل فاران هو المكان الذي تلقى فيه - ﷺ - أول ما نزل عليه من الوحي وفاران هي مكة المكرمة مولد ومنشأ ومبعث محمد ﷺ.

وهذه العبارة ـ مرة أخرى ـ تضمنت خبراً وبشارتين:

فالخبر هو تذكير موسى عليه السلام بفضل الله عليه حيث أرسله إليهم رسولاً.

والبشارتان:

الأولى: خاصة بعيسى عليه السلام.

والثانية: خاصة بمحمد ﷺ.

وموقف اليهود منهما النفي: فلا الأولى بشارة بعيسى ابن مريم، ولا الثانية بشارة برسول الإسلام.

أما موقف النصارى فإن النفي - عندهم - حاص ببشارة رسول الإسلام. ولهم في ذلك مغالطات عجيبة، حيث قالوا: إن" فاران " هي" إيلات " وليست مكة. وأجمع على هذا " الباطل " واضعو كتاب: قاموس الكتاب المقدس، وهدفهم منه واضح إذ لو سَلَّمُوا بأن " فاران " هي مكة المكرمة، للزمهم إما التصديق برسالة رسول الإسلام، وهذا عندهم قطع الرقاب أسهل عليهم من الإذعان له.. ؟! ، أو يلزمهم مخالفة كتابهم المقدس، ولم يقتصر ورود ذكر " فاران " على هذا الموضع من كتب العهد القديم، فقد ورد في قصة إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر حيث تقول التوراة: إن إبراهيم عليه السلام استجاب لسارة بعد ولادة هاجر ابنها إسماعيل وطردها هي وابنها فنزلت وسكنت في " برية فاران " [1]، على أنه يلزم

(١) سفر التكوين (٢١-٢١).

من دعوى واضعي قاموس الكتاب المقدس من تفسيرهم فاران إيلات أن الكذب باعترافهم وارد في التوراة ، لأنه لم يبعث نبي من " إيلات " حتى تكون البشارة صادقة، ومستحيل أن يكون هو عيسى عليه السلام ؛ لأن العبارة تتحدث عن بدء الرسالات ، وعيسى تلقى الإنجيل ساعير وليس إيلات.

فليست " فاران " إلا " مكة المكرمة " وباعتراف الكثير منهم ، وجبل فاران هو جبل " النور " الذي به غار حراء ، الذي تلقى فيه رسول الإسلام ﷺ بدء الوحي ، وهجرة إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة المكرمة " فاران " أشهر من الشمس.

وفي بعض" النسخ " كانت العبارة :"واستعلن من جبل فاران "بدل"تلألأ " .

وأياً كان اللفظ فإن " تلألأ " و" استعلن " أقوى دلالة من"جاء " و " أشرق " وقوة الدلالة هنا ترجع إلى " المدلولات " الثلاثة ، فالإشراق جزء من مفهوم " المجيء " وهكذا كانت رسالة عيسى بالنسبة لرسالة موسى (عليهما السلام) .

أما تلألأ واستعلن فهذا هو واقع الإسلام ، رسولا ورسالة وأمة ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

هذه المغالطة (فاران هي إيلات) لها مثيل حيث تزعم التوراة أن هاجر أم إسماعيل عندما أجهدها العطش هي وابنها إسماعيل بعد أن طردا من وجه "سارة " طلبت الماء فلم تجده إلا بعد أن لقيا ملاك " الرب " في المكان المعروف الآن " ببئر سبع " ؟! وأنها سميت بذلك لذلك . . ؟! وكما كذبت فاران دعوى "إيلات " كذَّبت " زمزم الطهور" دعوى "بئر سبع" ؟ وستظل فاران ـ مكة المكرمة ـ وزمزم الطهور" عملاقين" تتحطم على صخورهما كل مزاعم الحقد والهوى .

ويجئ نص آخر في التوراة لا محمل له إلا البشارة برسول الإسلام ﷺ مهما غالط المغالطون .

وهو قول الله لموسى عليه السلام حسب ما تروى التوراة : " أقيم لهم نبياً من وسط

اخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه " (١) .

حدث هذا حسب روايات التوراة وعداً من الله لموسى في آخر عهده بالرسالة، وكان يهمه أمر بني إسرائيل من بعده ، فأعلمه الله - حسب هذه الرواية التوراتية - أنه سيبعث فيهم رسولاً مثل موسى عليه السلام .

ولقوة دلالة النص على نبوة محمد ﷺ ، فقد وقف أهل الكتابين - اليهود والنصارى - موقفين مختلفين هدفهما واحد ، وهو أن النص ليس بشارة برسول الإسلام .

أما اليهود فلهم فيه رأيان:

الأول : أن العبارة نفسها ليست خبراً بل هي نفي ، ويقدرون قبل الفعل " أقيم " همزة استفهام يكون الاستفهام معها " إنكارياً " وتقدير النص عندهم هكذا " أأقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك . . ؟!

بطلان هذا الرأي وهذا الرأي باطل ولن نذهب في بيان بطلانه إلى أكثر من كلام التوراة نفسها. وذلك ؛ لأنه لو كان النص كما ذكروا بهمزة استفهام إنكاري محذوفة هي في قوة المذكور لكان الكلام نفياً فعلاً . . ولو كان الكلام نفياً لما صح أن يعطف عليه قوله بعد ذلك :

" ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه " ؟! فهذا المقطع إثبات قطعاً فهو مرتب على إقامة النَّبيّ الذي وعد به المقطع الذي قبله. فدل هذا " العطف " على أن المقطع السابق وعد خبرى ثابت لا نفي. ويترتب على ذلك بطلان القول الذاهب إلى تقدير الاستفهام . . ؟!

الثاني: وقد أحس اليهود ببطلان القول بالاستفهام فاحتاطوا للأمر وقالوا لا مانع أن يكون النص خبراً ووعداً مثبتاً ، ولكنه ليس المقصود به عيسى بن مريم

(١) سفر التثنية : الإصحاح (١٨) الفقرات (١٨-١٩) .

عليه السلام ولا محمد بن عبد الله رسول الإسلام ﷺ ، بل المراد به نبي من أنبياء إسرائيل يوشع بن نون فتى موسى ، أو صموئيل..؟!

موقف النصارى:

أما النصارى فيحملون البشارة في النص على عيسى عليه السلام وينفون أن يكون المراد بها رسول الإسلام ﷺ ،وقد علمنا قبلا أن اليهود ينفون أن تكون لعيسى عليه السلام.

وللنصارى مغالطات عجيبة في ذلك إذ يقولون إن النَّبيّ الموعود به ليس من بني إسماعيل بل من بني إسرائيل. ومحمد إسماعيلي فكيف يرسل الله إلى بني إسرائيل رجلاً ليس منهم ؟! ، كما قالوا: إن موسى أتى بمعجزات ومحمد لم يأت بمعجزات، فكيف يكون مثله.

الحق الذي لا جدال فيه:

والواقع أن كل ما ذهب إليه اليهود والنصارى باطل..باطل، ولن نذهب في بيان بطلانه إلى أبعد من دلالة النص المتنازع عليه نفسه، أما الحق الذي لا جدال فيه فإن هذا النص ليس له محمل مقبول إلا البشارة برسول الإسلام ﷺ وإليكم البيان:

إن النص المتنازع عليه يقيد البشارة بالنَّبيّ الموعود به فيه بشرطين:

أحدهما: أنه من وسط اخوة بني إسرائيل.

وثانيهما: أنه مثل موسى عليه السلام صاحب شريعة وجهاد لأعداء الله وهذان الشرطان لا وجود لهما لا في يوشع بن نون ، ولا في صموئيل كما يدعي اليهود في أحد قوليهم. ولا في عيسى عليه السلام كما يدعي النصارى.

أما انتفاء الشرط الأول فلأن يوشع صموئيل وعيسى من بني إسرائيل وليسو من وسط إخوة بني إسرائيل.

ولو كان المراد واحداً منهم لقال في الوعد: أقيم لهم نبياً منهم.. ؟! هذا هو منهج الوحي في مثل هذه الأمور كما قال في شأن النَّبيّ ﷺ: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ** ﴾ [الجمعة :٢] ، وكما جاء على لسان إبراهيم وإسماعيل

(عليهما السلام) ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة :١٢٩].

وأما انتفاء الشرط الثاني ، فلأن : لا صموئيل ولا يوشع ولا عيسى بن مريم كانوا مثل " موسى " عليه السلام .

فموسى كان صاحب شريعة ، ويوشع صموئيل وعيسى وجميع الرسل الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام من بني إسرائيل لم يكن واحداً منهم صاحب شريعة ، وإنما كانوا على شريعة موسى عليه السلام .

وحتى عيسى ما جاء بشريعة ولكن جاء متمماً ومعدلاً فشريعة موسى هى الأصل. إن عيسى كان مذكراً لبني إسرائيل ومجدداً الدعوة إلى الله على هدي من شريعة موسى عليه السلام !! فالمثلية بين هؤلاء ـ وهي أحد شرطي البشارة ـ وبين موسى عليه السلام لا وجود لها ؟! .

الشرطان متحققان في رسول الإسلام ﷺ وبنفس القوة والوضوح اللذين انتفي الشرطان بهما عمن ذكروا من الأنبياء ثبت ذلك الشرطان لمحمد بن عبد الله ﷺ :

فهو من نسل إسماعيل ، وإسماعيل أخو إسحاق ، الذي هو أبو يعقوب المسمى إسرائيل. فهو من وسط اخوة بني إسرائيل ـ بنو عمومتهم ـ وليس من إسرائيل نفسها. وبهذا تحقق الشرط الأول من شرطي البشارة.

ومحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ صاحب شريعة جليلة الشأن لها سلطانها الخاص بها ـ جمعت فأوعت ـ مثلما كان موسى ـ أكبر رسل بني إسرائيل ـ صاحب شريعة مستقلة كانت لها منزلتها ، التي لم تضارع فيما قبل من بدء عهد الرسالات إلى مبعث عيسى عليه السلام.

وبهذا يتحقق الشرط الثاني من شرطي البشارة وهو " المثليه " بين موسى ومحمد (عليهما صلوات الله وسلامه) ، فعلى القارئ أن يتأمل ثم يحكم.

في المزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام وردت كثير من العبارات التي لا يصح حمل معناها إلا على رسول الإسلام، ومن ذلك قول داود كما تروي التوراة:

" أنت أبرع جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار، جلالك وبهاؤك. وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة.. بتلك المسنونة في قلب أعداء الملك - يعني الله - شعوب تحتك يسقطون.. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك " (١) .

اسمعي يانيت وأميلي أذنك، وانسى شعبك وبيت أبيك، فيشتهي الملك حسنك؛ لأنه هو سيدك فاسجدي له. وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية. كلها مجد ابنة الملك في خدرها. منسوجة بذهب ملابسها مطرزة، تحضر إلى الملك في إثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن إلى قصر الملك. عوضاً عن آبائك يكون بنوك نقيمهم رؤساء في كل الأرض اذكر اسمك في كل دور فدور من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد " وقفة مع هذا الكلام في المقطع الأول (أ) لا تنطبق الأوصاف التي ذكرها داود إلا على رسول الإسلام ﷺ. فهو الذي قاتل بسيفه في سبيل الله وسقطت أمامه شعوب عظيمة كالفرس والروم.

وهو الممسوح بالبركة أكثر من رفقائه الأنبياء؛ لأنه خاتم النَّبيِّين، ورسالته عامة خالدة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

ولم يترك رسول هدى وبيانًا مثلما ترك رسول الإسلام في القرآن الحكيم، وفي أحاديثه وتوجيهاته، التي بلغت مئات الآلاف، وتعددت المصادر التي سجلتها، وفيها من روائع البيان، وصفاء الألفاظ، وشرف المعاني ما ليس في غيرها.

أما المقطع الثاني (ب) فهو أوصاف للكعبة الشريفة، فهي التي تترضاها الأمم بالهدايا، وهي ذات الملابس المنسوجة بالذهب والمطرزة، وهي التي يذكر اسمها في كل دور فدور وتأتيها قوافل" الحجيج " رجالاً ونساءً من كل مكان فيدخل

(١) المزمور (٤٥)، الفقرات (٢-١٧) مع الحذف اليسير.

الجميع في " قصر الملك " ويحمدها الناس إلى الأبد ؛ لأن الرسالة المرتبطة بها رسالة عامة: لكل شعوب الأرض الإنس والجن. بل والملائكة ، وفي مواسم الحج يأتيها القاصدون من جميع بقاع الأرض مسلمين ، ورعايا مسلمين من بلاد ليست مسلمة.

خالدة ، لم ينته العمل بها بوفاة رسولها ، كما هو الحال فيما تقدم ، وإنما هى دين الله إلى الأبد الأبيد.

وأشعيا وسفره من أطول أسفار العهد القديم ملئ بالإشارات الواضحة التي تبشر برسول الإسلام ﷺ ، ولولا المنهج الذي أخذنا به هنا وهو عدم التطويل لذكرنا من ذلك الكثير ؛ ولذا فإننا نكتفي بهذا المقطع لدلالته القوية على ما نقول:

" قومي استنيري ؛ لأنه قد جاء نورك ، ومجد الرب أشرق عليك.. لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يرى. فتسير الأمم في نورك ، والملوك في ضياء إشراقك.

ارفعي عينيك حواليك وانظري. قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك. يأتي بنوك من بعيد ، وتحمل بناتك على الأيدي ، حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع ؛ لأنه تحول إليك ثروة البحر ، ويأتي إليك غنى الأمم تغطيك كثرة الجمال بكران مديان ، وعيفة كلها تأتي من شبا ، تحمل ذهبا ولبانا ، وتبشر بتسابيح الرب ، كل غنم قيدار تجتمع إليك ، كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحي ، وأزين بيت جمالي.

من هؤلاء الطائر ون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها ، إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش في الأول لتأتي من بعيد ، وفضتهم وذهبهم معهم لا سم الرب إلهك ... [١].

وبنو الغريب يبنون أسوارك ، وملوكهم يخدمونك.. وتفتح أبوابك دائما

(١) مكان النقط هنا كلام لم نذكره هو « قدوس إسرائيل لأنه مجدك » ؟! ، وهذا مقطع مضاف بكل تأكيد والهدف منه صرف الكلام عن معناه الظاهر !!.

نهاراً وليلاً لا تغلق ، ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم... [١] .

دلالة هذه النصوص:

بلا أدنى ريب فإن هذا الكلام المنسوب إلى أشعيا وصف لمكة المكرمة وكعبتها الشامخة.

فالمقطع الأول إنما هو حديث عن موسم الحج المبارك فيه يجتمع بنوها حولها من كل مكان وفيه لمحة قوية جداً إلى نحر الهدي صبيحة العيد . ألم يشر النص إلى غنم قيدار ، قيدار هو ولد إسماعيل عليه السلام الذي تشعبت منه قبائل العرب، ثم ألم ينص على المذبح الذي تنحر عليه الذبائح؟ كما أشار النص ثلاث إشارات تعد من أوضح الأدلة على أن المراد بهذا النص مكة المكرمة. وتلك الإشارات هي طرق حضور الحجاج إليها. ففي القديم كانت وسائل النقل: ركوب الجمال، ثم السفن، أما في العصر الحديث فقد جدت وسيلة النقل الجوي "الطائرات" .

وبشارة أشعيا تضمنت هذه الوسائل الثلاث على النحو الآتي :

[١] الجمال ، قال فيها: تغطيك كثرة الجمال ؟!.

[٢] السفن ، قال فيها: وسفن ترشيش تأتي ببنيك من بعيد ؟!.

[٣] النقل الجوي ، وفيه يقول: من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها ؟!!.

أليس هذا أوضح من الشمس في كبد السماء.

ومنها أن خيرات الأمم تجبى إليها من كل مكان ، والقرآن يقرر هذا المعنى في قول الله تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ . [القصص : ٥٧] .

ومنها أن بني الغريب (يعني غير العرب) يبنون أسوارها. وكم من الأيدي العاملة الآن ، وذوي الخبرات يعملون فيها ويشيدون قلاعها فوق الأرض وتحت

---

(١) سفر أشعياء الإصحاح (٦٠) ، الفقرات (٤-١٢) مع حذف يسير .

الأرض ومنها أنه ما من عاصمة من عواصم العالم إلا دخلت في محنة من أهلها أو من غير أهلها إلا هذه " العاصمة المقدسة " فظلت بمأمن من غارات الغائرين وكيد الكائدين ، ومثلها المدينة المنورة.

ومنها كثرة الثروات التي مَنَّ الله بها عليها ، أليس البترول من ثروات البحر العظمى التي تفجرت أرض الحجاز وشبه الجزيرة منه عيوناً دفاقة بمعدل لم تصل إليه أمة من الأمم ، أضف إلى ذلك سبائك الذهب والفضة.

والحديث عن مكة المكرمة حديث عن رسول الإسلام ؛ لأن مجدها لم يأت إلا على يدي بعثته ﷺ.

هذه الحقائق لا تقبل الجدل. ومع هذا فإن أهل الكتاب (وخاصة اليهود) يحملون هذه الأوصاف على مدينة " صهيون " ولهذا فإنهم عمدوا إلى النص وعدلوه ليصلح لهذا الزعم.

ولكننا نضع الأمر بين يدي المنصفين من كل ملة، أهذه الأوصاف يمكن أن تطلق على مدينة " صهيون ".

لقد خرب " بيت الرب " في القدس مراراً وتعرض لأعمال شنيعة على كل العصور. أما الكعبة الشريفة والمسجد الحرام فلم يصل أحد إليهما بسوء ، ثم أين ثروات البحر والبر التي تجبى إلى تلك المدينة وأهلها (إلى الآن) يعيشون عالة على صدقات الأمم.

وأين هي المواكب التي تأتي إليها براً وبحراً وجَوّاً ، وهل أبوابها مفتوحة ليلاً ونهاراً ، وأين هم بنوها الذين اجتمعوا حولها.

وما صلة غنم قيدار وكباش مدين بها. وأين هو التسبيح الذي يشق عنان السماء منها.. وأين.. وأين..؟ ، إن هذه المغالطات لا تثبت أمام قوة الحق ، ونحن يكفينا أن نقيم هذه الأدلة من كتبهم على صدق الدعوى ، ولا يهمنا أن يذعن القوم لما نقول فحسبك من خصمك أن تثبت باطل ما يدعيه أمام الحق

الذي تدافع عنه. والفاصل بيننا - في النهاية - هو الله الذي لا يُبدل القول لديه.

وتنسب التوراة إلى نبي يدعى " حقوق " من أنبياء العهد القديم، وله سفر صغير قوامه ثلاثة إصحاحات.

تنسب إليه التوراة نصوصاً كان يصلي بها، تضمنها الإصحاح الثالث من سفره، وهذا الإصحاح يكاد يكون كله بشارة برسول الإسلام ﷺ، وإليكم مقاطع منه: " الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران - سلاه - جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه وكان لمعان كالنور له من يديه شعاع، وهناك استتار قدرته.

قدامه ذهب الوبأ، وعند رجليه خرجت الحمى، وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية، وخسفت آكام القوم.

مسالك الأزل يسخط دست الأمم، خرجت لخلاص شعبك ...سحقت رأس بيت الشرير معرياً الأساس حتى العنق ... سلكت البحر بخيلك.. [١].

دلالات هذه الإشارات:

لا يستطيع عاقل عالم بتاريخ الرسالات ومعاني التراكيب أن يصرف هذه النصوص على غير البشارة برسول الإسلام ﷺ، فالجهتان المذكورتان في مطلع هذا المقطع وهما: تيمان: يعني اليمن، وجبل فاران: يعني جبل النور الذي بمكة المكرمة التي هي فاران، هاتان الجهتان عربيتان، وهما رمز لشبه الجزيرة العربية التي كانت مسرحاً أولياً لرسالة محمد ﷺ.

فليس المراد إذن نبياً من بني إسرائيل؛ لأنه معلوم أن رسل بني إسرائيل كانت تأتي من جهة الشام شمالاً، لا من جهة بلاد العرب، وهذه البشارة أتت مؤكدة للبشارة المماثلة، التي بيد أن بشارة التثنية شملت الإخبار بمقدم موسى عليه السلام والتبشير بعيسى عليه السلام وبمحمد ﷺ، أما بشارة حبقوق فهي خاصة برسول

(١) (٣-٣-١٥) مع الحذف.

الإسلام ﷺ ، ولو لم يكن في كلام حبقوق إلا هذا "التحديد" لكان ذلك كافياً في اختصاص بشارته برسول الإسلام ﷺ ، ومع هذا فقد اشتمل كلام حبقوق على دلائل أخرى ذات مغزى :

منهـا: الإشارة إلى كثرة التسبيح حتى امتلأت منه الأرض . . ؟! .

ومنها : دكه ﷺ لعروش الظلم والطغيان وقهر الممالك الجائرة .

ومنها: أن خيل جيوشه ركبت البحر ، وهذا لم يحدث إلا في ظل رسالة الإسلام .

على أن كلام حبقوق مليئ بالرمز والإشارات مما يفيدنا في هذا المجال ولكننا نتجاوزه لأمرين :

أحدهما: أن في الإشارات الصريحة غناء عنها .

وثانيهما: عدم التطويل ـ هنا ـ كما اتفقنا .

بشاراته ﷺ في العهد الجديد أسفار العهد الجديد (الأناجيل والرسائل) حافلة بالنصوص التي يتعين أن تكون " بشارات " برسول الإسلام ﷺ .

تلك البشارات تعلن أحياناً في صورة الوعد بملكوت الله أو ملكوت السماوات، وأحيانا أخرى بالروح القدس، ومرات باسم المُعَزِّى أو الفارقليط ، وهي كلمة يونانية سيأتي فيما بعد معناها ، تلك هي صورة البشارات في الأناجيل في صيغها المعروفة الآن .

ففي إنجيل متَّى وردت هذه العبارة مسندة إلى يحيى عليه السلام ، المسمى في الأناجيل : يوحنا المعمدان .

وفيها يقول : " توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات " (١) .

فمن هو ملكوت السماوات الذي بشر به يحيى ؟! هل هو عيسى عليه السلام - كما يقول النصارى . . ؟!

---

(١) الإصحاح (٣) الفقرة (٢) .

هذا احتمال.. ولكن متَّى نفسه يدفعه حيث روى عن عيسى عليه السلام نفس العبارة: " توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات "(١).

فلو كان المراد بملكوت السماوات - هذه - عيسى عليه السلام لما وردت هذه " البشارة " على لسان عيسى ؛ إذ كيف يبشر بنفسه ، وهو قائم موجود ، والبشارة لا تكون إلا بشيء محبوب سيأتي ، كما أن الإنذار - قسيمه - لا يكون إلا بشيء " مكروه " قد يقع. فكلاهما: التبشير والإنذار - أمران مستقبلان.

إن ورود هذه العبارة عن عيسى نفسه تخصيص لذلك العموم المستفاد من عبارة يحيى عليهما السلام.

فدل ذلك على أن المراد بملكوت السماوات رسول آخر غير عيسى، ولم يأت بعد عيسى - باعتراف الجميع - رسول غير رسول الإسلام ﷺ.

فدل ذلك على أنه هو المراد بملكوت السماوات في عبارة عيسى عليه السلام - قولاً واحداً - وباحتمال أرجح في عبارة يحيى ،إذ لا مانع عندنا - أن يكون يحيى عليه السلام قد بشر بها بعيسى عليه السلام ، أما بشارة عيسى فلا موضع لها إلا الحمل - القطعي - على رسول الإسلام ﷺ.

وفي صيغة الصلاة التي علمها المسيح لتلاميذه - كما يروي مَتَّى نفسه - بشارة أخرى بنبي الإسلام. وهذا هو نص مَتَّى في هذا " فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك "(٢).

ووردت هذه الصيغة في إنجيل لوقا هكذا:

" متى صليتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك.. "(٣).

ويذكر لوقا أن المسيح جمع تلاميذه ، وعلمهم كيف يقهرون الشياطين ،

(١) الإصحاح (٤) الفقرة (١٧).
(٢) الإصحاح (٦) الفقرة (٩-١٠).
(٣) الإصحاح (١١) الفقرة (٢).

ويشفون الأمراض ثم قال: " وأرسلهم ليكرزوا - أي يبشروا - بملكوت الله " (١).

أما مرقص فيسند هذه البشارة إلى المسيح نفسه إذ يقول: " جاء يسوع إلى الجبل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله " (٢).

فهؤلاء ثلاثة من التلامذة يتفقون على أن يحيى وعيسى (عليهما السلام) قد بشرا بملكوت الله الذي اقترب.

فمن المراد بملكوت الله إذا لم يكن هو رسول الإسلام ﷺ ؟ وأكاد أجزم بأن عبارة " المسيح ، قد كمل الزمان " لا تعني سوى انتهاء عصر الرسالات الموقوتة وإقبال الرسالة الخالدة..!

أما يوحنا صاحب رابع الأناجيل. فإنه يذكر هذه البشارات في مواضع متعددة من إنجيله. ومن ذلك ما يرويه عن المسيح عليه السلام "الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي، والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني، بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزى (اسم فاعل من الفعل المضعف العين عزى) (٣). الروح القدس ، الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بما قلته لكم " (٤).

كما يروي يوحنا قول المسيح - الآتي - مع تلاميذه: " إنه خير لكم أن انطلق. إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعَزِّى ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية ، وعلى بر وعلى دينونة " (٥).

ويروي كذلك قول المسيح لتلاميذه: " وأما إذا جاء ذاك روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية ".. ؟ (٦).

فمن هو المُعَزِّى أو روح القدس أو روح الحق الذي بشر به المسيح عليه السلام

(١) الإصحاح (٩) الفقرة (٢).
(٢) الإصحاح (١) الفقرة (١٤-١٥).
(٣) هذا إيضاح وليس من النص.
(٤) الإصحاح (١٤) الفقرة (٢٤- ٢٦).
(٥) الإصحاح (١٦) ، الفقرتان (٧ - ٨).
(٦) الإصحاح (١٦) الفقرة (١٣).

حسبما يروى يوحنا..؟!

إن المسيح يقول: إن ذلك المُعَزِّى أو الروح القدس، لا ياتي إلا بعد ذهاب المسيح، والمسيح - نفسه - يُقرُّ بأن ذلك المُعَزِّى أو الروح أَجَلُّ منه شأنًا، وأعم نفعاً وأبقى أثراً، ولذلك قال لتلاميذه: خير لكم أن أنطلق، إن لم أنطلق لا ياتيكم المُعَزِّى.

وكلمة " خير " أفعل تفضيل بمعنى أكثر خيراً لكم ذهابي لياتيكم المُعَزِّى ولو كان " المُعَزِّى " مساويا للمسيح في الدرجة لكانا مستويين في الخيرية ولما ساغ للمسيح أن يقول خير لكم أن أنطلق.

ومن باب أولى لو كان " المُعَزِّى " أقل فضلاً من المسيح. فعبارة المسيح دليل قاطع على أنه بشر بمن هو أفضل منه، لا مساوٍ له ولا أقل.

ثم يصف المسيح ذلك المُعَزِّى أو الروح بأوصاف ليست موجودة في المسيح نفسه عليه السلام. **ومن تلك الأوصاف:**

[أ] إنه يعلم الناس كل شيء، وهذا معناه شمول رسالته لكل مقومات الإصلاح في الدنيا والدين. وذلك هو الإسلام.

[ب] إنه يبكت العالم على خطية، والشاهد هنا كلمة " العالم " وهذا معناه شمول الإسلام لكل أجناس البشر، عربًا وعجماً، في كل زمان ومكان. ولم توصف شريعة بهذين الوصفين إلا الإسلام.

[ج] إنه يخبر بأمور آتية، ويذكر بما مضى. وقد تحقق هذا في رسالة محمد ﷺ.

فأخبر بأمور آتية لم يخبر بها من سبقه أو أخبروا ولكن ليس على وجه التفصيل والتأكيد الذي كان على يديه ﷺ فكم في القرآن من أمور أخبر بها قبل أن تقع فوقعت كما أخبر، وكم فيه من الإخبار بما سيكون في الحياة الآخرة من أوصاف الجنة، والنار، والبعث، وعلامات الساعة، وتخاصم أهل النار،

وحوار أصحاب الجنة مع " رجال الأعراف " ، وندم من باعوا دينهم بدنياهم.. إلخ.. إلخ.

وذكر بما مضى من أحوال الأمم ، وقيام الحضارات ثم سقوطها وأحوال المرسلين وما بلغوا به أقوامهم والشهادة لهم بالصدق والأمانة والإخلاص والوفاء ، ومسلك بعض الأقوام من رسلهم والصراع الذي دار بين المحقين وأهل الباطل ، وعاقبة بعض المكذبين.. إلخ.. إلخ.

ثم استوعبت رسالته الحياة كلها فارست قواعد الاعتقاد الصحيح وسنت طرق العبادة المثمرة ،ووضعت أصول التشريع في كل ما هو متعلق بالحياة عاجلها وآجلها ، ووضحت العلاقة السليمة بين المخلوق والخالق ، وبين الناس بعضهم بعضاً، وحررت العقول ، وطهرت القلوب ورسمت طريق الهدى لكل نفس ولكل جماعة ولكل أمة. أي أنها أرشدت إلى كل شيء، وعلمت كل شيء مما يحتاج تعلمه إلى وحى وتوقيف..!. ذلك هو الإسلام ، ولا شيء غير الإسلام.

وشهدت - فيما شهدت - للمسيح ﷺ بانه رسول كريم أمين أدى رسالته وبشر وأنذر بني إسرائيل.

وانه عبده ورسوله ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [مريم : ٣٤] .

وشهادة رسول الإسلام لعيسى ﷺ منصوص عليها في بشارات عيسى نفسه به ﷺ ، فاسمع إلى يوحنا وهو يروي عن المسيح ﷺ قوله الآتي : " ومتى جاء المُعَزِّى الذي سأرسله " أنا " إليكم من الأب روح الحق من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي.. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء " (١).

روح القدس هذا ، أو المُعزِّى ، أو روح الحق لا يمكن أن يكون عيسى ﷺ ؛ لأن عيسى ﷺ لم يبشر بنفسه ، وهو كان موجوداً ساعة قال هذا ، ولا يمكن

(١) الإصحاح (١٥) ، فقرتا (٢٦-٢٧) .

أن يكون المراد به نبياً بعد عيسى غير محمد - ﷺ - لأننا متفقون على أن عيسى لم يأت بعده نبي قبل رسول الإسلام ﷺ.

فتعين أن يكون روح القدس، أو المُعَزِّي، أو روح الحق تبشيراً بمحمد ﷺ، إذ فيه تجتمع تلك الأوصاف، كما يتحقق فيه معنى "الأفضلية" إذ هو خاتم النَّبيِّين، الذي جاء بشريعة خالدة عامة، وعلى هذا حملنا قبل قول عيسى: خير لكم أن أنطلق. إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعَزِّي "، وهذا إقرار من عيسى عليه السلام بأن المبشر به أفضل من المُبَشِّر وكفي بذلك شواهد.

أما البشارة باسم " الفارقليط " فقد خلت منها الترجمات العربية المعاصرة للكتاب المقدس، ومعلوم أن الكتاب المقدس خضع للترجمات وطبعات متعددة؛ لدرجة أن الترجمات العربية لتختلف من نسخة إلى أخرى اختلافًا بيناً.

وتحت يدي - الآن - نسختان من الطبعات العربية كلتاهما خاليتان من كلمة الفارقليط، وموضوع مكانها كلمة المُعَزِّي.

بيد أنني وجدت أن ابن القيم، وابن تيميه، كل منهما قد نقل عن نسخ خطية كانت معاصرة لهما نصوصاً فيها التصريح باسم " الفارقليط " كما أن الشيخ رحمت الله الهندي (رحمه الله) نقل في كتابه " إظهار الحق « نصوصًا »، عن ترجمات عربية ترجع إلى أعوام: ١٨٢١ - ١٨٣١ - ١٨٤٤ م، وتمت في لندن معنى « الفارقليط ».

كلمة يونانية معناها واحد مما يأتي: الحامد - الحماد - المحمود - الأحمد.

أو معناها كل ما تقدم. فمعنى " فارقليط " يدور حول الحمد وجميع مشتقاته المشار إليها.

وكل واحد منها يصح إطلاقه على رسول الإسلام ﷺ فهو الحامد والحمّاد والمحمود والأحمد، والمحمد. وفي الطبعات - اللندنية - المتقدم ذكرها ورد النص هكذا: " إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم

فارقليط آخر ، ليثبت معكم إلى الأبد " . " الفارقليط " روح القدس الذي يرسله الآب باسمي هو يعلمكم كل شيء ، وهو يذكركم كل ما قلته لكم " (١) .

ومقارنة هذين النصين بالنص المقابل لهما الذي نقلناه آنفا عن إنجيل يوحنا من الطبعات العربية الحديثة تريك أن الطبعات الحديثة حذفت كلمة " الفارقليط " ووضعت مكانها كلمة " المُعَزِّى " كما تريك أن الطبعات الحديثة حذفت جملة : " ليثبت معكم إلى الأبد "وهو نص على خلود الإسلام على أنهم عادوا واعترفوا بأن كلمة " المُعَزِّى " التي في الطبعات الحديثة للكتاب المقدس أصلها مترجم عن كلمة يونانية لفظاً ومعنى وهى " باراكليتس "ومعناها المُعَزِّى ، وليست " فارقليط " أو " بارقليط " التي معناها الحماد والحامد ... والتي يتمسك بها المسلمون . . ؟! .

وهذه المحاولات مردودة لسببين:

أولهما: ليس نحن ـ المسلمين ـ الذين قاموا بعمل بالطبعات القديمة التي فيها " الفارقليط " وإنما طبعها النصارى قديماً ، فعملهم حجة على الطبعات الحديثة وهم غير متهمين في عملهم هذا .

وثانيهما: ولو كانت الكلمة " هي : الباراكليتس " فلماذا خلت منها الطبعات القديمة والنسخ المخطوطة ، بل ولماذا خلت منها الطبعات الحديثة . . ؟! .

وأيا كان المدار: فارقليط ، أو باراكليتس ، أو المُعَزِّى ، أو الروح القدس فنحن لا نعول على الكلمة نفسها بقدر ما نعول على الأوصاف التي أجريت عليها . مثل يعلمكم كل شيء ـ يمكث معكم إلى الأبد .

فهذه الأوصاف هي لرسول الإسلام ﷺ ومهما اجتهدتم في صرفها عنه فلن تنصرف .

---

(١) انظر كتاب « إظهار الحق » ، ص ٥٢٨ للشيخ/ رحمت الله الهندي ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا . نشر دار التراث .

الوجــه الثاني
المعجــزات الحسيــة
التي حدثت لرسول الله محمد ﷺ

الوجه الثاني المعجزات الحسية التي حدثت لرسول الله محمد ﷺ مما يدل على صدق دعواه ،وقبل أن أبدأ الحديث عن المعجزات الحسية أحب أن أنبه على أمر هام وهو أن جميع المعجزات الحسية التي حدثت لجميع الأنبياء والمرسلين قد انتهت وانتهى عصرها ولم نرها بأنفسنا أونحسها بإحدى حواسنا،ولكنها نقلت إلينا عن من سبقنا ، وهم بدورهم عن من سبقهم وهكذا عن من رآها بعينه .

لكن بالنسبة لنا نحن المسلمون يتأكد لنا صدق هذه المعجزات لأنها ذكرت في القرآن الكريم ونقلت إلينا بالسند الصحيح المتصل إلى رسول الله ﷺ .

والمعجزات الحسية التي حدثت لرسول الله ﷺ والتي شاهدها كثير من الناس تزيد على الألف معجزة نكتفي منها بما يلي:

أولا معجزة انشقاق القمر :

من المعجزات الحسية التي حدثت لرسول الله معجزة انشقاق القمر ، ومضمونها أن أهل مكة طلبوا من النَّبيِّ ﷺ معجزة حسية يرونها بأعينهم تكون دليلاً على صدق رسالته ، فطلبوا منه أن ينشق القمر نصفين ويروا ذلك بأعينهم فقال رسول الله ﷺ وإن حدث أتؤمنون؟ ، قالوا : نعم ، فدعا رسول الله ربه تبارك وتعالى فانشق القمر إلى نصفين ، ورآه أهل مكة بأعينهم وهو نصف إلى اليمين ونصف إلى الشمال، فازداد المؤمنون إيمانًا وآمن بعض الناس، لكن أهل مكة معظمهم عاند واستكبر ، وقالوا : إن محمداً قد سحرنا ، ولكن معلوم لأهل الخبرة والعقل أن السحر لا يمكن أن يفعل ذلك ، وسجل القرآن الكريم تلك المعجزة ، قال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِن**

يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ [القمر : ١-٢] [١] .

وبعد سنوات طويلة يأتي العلم الحديث ليؤكد لنا أن القمر بالفعل قد انشق نصفين يقول أحد البريطانيين الذين أسلموا وسمى نفسه (داود موسى) أنه قرأ آية انشقاق القمر في القرآن فلم يؤمن ولم يصدق، ذلك حتي سمع في الإذاعة الأمريكية أن ثلاثة من رواد الفضاء الأمريكان تحدثوا عن اكتشافاتهم فوق سطح القمر ، وقالوا في حديثهم : أنهم اكتشفوا حزامًا من الصخور المتحولة يخترق القمر من جوفه إلى سطحه ويلتحم بطول القمر ، مما يشير إلى أن القمر انشق قبل ذلك وعاد إلى الالتحام [٢] .

مما يؤكد حقيقة انشقاق القمر ومما يدل على صدق النَّبيّ محمد ﷺ

ثانيًا : من المعجزات الحسية لرسول الله ﷺ بكاء الشجر من أجل فراق النبيّ ﷺ :

كان النَّبيّ ﷺ يخطب في المسجد على جذع نخلة فقال رجل : لو صنعنا لك منبرًا يا رسول الله تخطب عليه ؟، قال: نعم ، فصنعوا له واحدا فترك النَّبيّ ﷺ الجذع وذهب إلى المنبر ، فلما صعد المنبر بكي الجذع وسمع ذلك الصحابة الموجودون في المسجد وسمعوا له أنينًا كأنين الطفل ولم يهدأ حتى وضع النَّبيّ ﷺ يده عليه وقال: « **بكي لما كان يسمع من الذكر** » [٣] .أليس هذا دليلا ؟ .

ثالثا : من المعجزات الحسية لرسول الله ﷺ شهادة الشجر له :

ويشاهد ذلك مجموعة من أصحابه الكرام كانوا معه في أحد أسفاره فجاء أعرابي من الصحراء فلما دنا قال رسول الله ﷺ : (تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) ، قال الأعرابي ومن يشهد على ما تقول؟ فقال رسول الله ﷺ هذه السلمة (شجرة من شجر البوادي) فدعاها رسول الله ﷺ وهو بشاطئ

---

(١) البخاري ٤٨٦٧ ،كتاب تفسير القرآن ، باب سورة القمر ، ج٢ ، ص ٥٠٣ ، ومسلم ٢٨٠٢ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر ١٨ / ٢٨٣ ، والترمذي ٣٢٨٦ في سُننه كتاب تفسير القرآن ، باب من سورة القمر ٥ /٣٩٧ .

(٢) مواقف وإعجازات وقدرة الله البديع محمد حسن قنديل ، ص ٤٦ بتصرف .

(٣) البخاري ٣٥٨٣ ،كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ج٢ ،ص ١٩١، والترمذي ٥٠٥،، ١٤١٧ كتاب أبواب الصلاة ، باب ما جاء في الخطبة على المنبر ٢ /٣٧٩.

الوادي فأقبلت تخد الأرض (تشق الأرض) حتى قامت بين يديه فاستشهدها (طلب منها أن تشهد) ثلاثا (ثلاث مرات) فشهدت أنه رسول الله ﷺ ثم رجعت إلى منبتها [١] . أليس هذا دليلا ؟! .

رابعاً : من المعجزات الحسية التي حدثت لرسول الله ﷺ نبع الماء من بين أصابعه:

وهذه أيضا معجزة من المعجزات الحسية التي رآها جم غفير وجمع كثير من أصحاب رسول الله ﷺ وكان معه خمس عشرة مائة من الرجال في بعض الأسفار ففقدوا الماء فلم يجدوا ماء لطعامهم أو شرابهم أو وضوءهم فطلبوا من النَّبيّ ﷺ الماء وقد نفد منهم فوضع النَّبيّ ﷺ يده في الإناء ففار الماء من بين أصابعه ﷺ فشربوا جميعا وتوضئوا وبقي الماء كما هو [٢] ، وهذا الموقف تكرر كثيراً في أسفار النَّبيّ ﷺ ونقله لنا أصحابه ، أليس هذا دليلا ؟ .

خامسا : من المعجزات الحسية التي حدثت لرسول الله ﷺ تكثير الطعام بين يديه ﷺ:

ومفاد هذه المعجزة أن الطعام يكون قليلا لا يكفي حتي لرجل واحد ومع ذلك يضع النَّبيّ ﷺ يده في الطعام فيكفي المئات من الناس ويبقى الطعام كما هو ببركة النَّبيّ ﷺ ، ففي غزوة الخندق صنع جابر رضي الله عنه طعامًا لرسول الله ﷺ وطلب منه أن يحضر وحده ولا يخبر أحداً إلا صاحب أو اثنين على الأكثر ، لأن الطعام لا يكفي ، ولكن الرسول ﷺ دعا كل من يشارك في حفر الخندق وكانوا أكثر من ألف رجل ، ثم وضع النَّبيّ ﷺ يده في الطعام ودعا الله فأكلوا جميعًا وبقي الطعام كما هو [٣] ، وحدث ذلك مرات كثيرة مثل ما حدث مع أبي هريرة رضي الله عنه عندما كان جائعًا ولم يكن هناك طعام فذهب مع النَّبيّ ﷺ إلى بيته فلم

---

(١) الترمذي ٣٦٢٨ كتاب المناقب ، باب إثبات نبوة النبي ﷺ وما خصه الله به ٥ / ٥٩٤ بمعناه .

(٢) البخاري ٣٥٧٦ كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ٢ / ١٨٩ ، ومسلم ٢٢٧٩ كتاب الفضائل ، باب الماء ينبع من بين أصابعه ١٥ / ٤٣٩ ، والترمذي ٣٦٣١ كتاب المناقب باب نبوة النبي ﷺ ٥ / ٥٩٦ .

(٣) البخاري ٤١٠٢ ، كتاب المغازي باب غزوة الخندق وهي الأحزاب ٢ / ٣٠٦ ، ومسلم ٢٠٣٩ ، كتاب الأشربة باب جواز استتباع غيره إلى دار من وثق برضاه ١٣ / ١٨٧ .

يجد إلا إناء من لبن ومع ذلك أمره رسول الله ﷺ أن يحضر أهل الصفة وكانوا أربعمائة رجل فشربوا جميعا وبقي اللبن كما هو ببركة النَّبيّ ﷺ [١] .

سادساً : من المعجزات الحسية التي حدثت لرسول الله ﷺ شفاء الأمراض التي لا يقدر عليها إلا الله:

مثل شفاء عين عليّ ابن أبي طالب في غزوة تسمى غزوة خيبر أعطى النَّبيّ ﷺ الراية لأكثر من قائد من قادة المسلمين ، ومع ذلك لم يستطع أحد منهم أن ينتصر .

فقال النَّبيّ ﷺ : **« لأعطين الراية غداً رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه »** فلما جاء الغد سأل عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا إن عينه مريضة وهو يشتكي منها فأرسل إليه فلما جاء بصق النَّبيّ ﷺ في عينه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع [٢] ، وكذلك رد عين قتادة رضي الله عنه وهو واحد من المسلمين ضربت عينه وخلعت من مكانها حتى سقطت على وجنتيه فدعاه النَّبيّ ﷺ وأمسك عينه ووضعها في مكانها فأصبحت أفضل من الأخرى السليمة [٣] .

أكتفي بهذا القدر من المعجزات الحسية ومنها الكثير والكثير مما أفرد له البحث في كتب كثيرة فليرجع إليه من أراد المزيد من المعجزات الحسية ، أليس هذا دليلا على صدق النَّبيّ محمد ﷺ .

---

(١) البخاري ٦٤٥٢ كتاب الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه ، وتخليهم من الدنيا ٣/٢٣٧، والترمذي ٢٤٧٧ ، كتاب صفة القيامة باب ٣٦ ، ج ٤ / ٦٤٨ .

(٢) البخاري ٣٧٠١ ، كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عليّ بن أبي طالب ج ٢ ، ص ٢١٧ ، ومسلم ٢٤٠٦ كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عليّ ١٥/ ٥٥٢ .

(٣) البداية والنهاية ٣/ ٢٩١ ، وعزاه للبيهقي في دلائل النبوة .

الوجه الثالث من الأدلـــة
على صدق النبيّ ﷺ القرآن الكريم

القرآن الكريم هو أكبر دليل وأقواه على صدق النَّبيّ محمد ﷺ في دعواه النبوة ، بل هو المعجزة الوحيدة التي اعتمد عليها محمد ﷺ في بيان صدقه مع أنه أوتي معجزات كثيرة إلا أنه لم يستند في دعواه إلى شيء من ذلك وإنما اعتمد اعتمادا كليا على معجزته الأساسية ودليله الأكبر ألا وهو القرآن الكريم .

والقرآن هو ذلك الكلام الموجود بين دفتي المصحف والذي يبدأ بسورة الفاتحة وينتهي بسورة الناس ، وهو مكون من أربعة عشر ومائة سورة .

علمنا فيما سبق أن كل رسول يرسله الله إلى الناس يؤيده الله بمعجزة تدل على صدقه ومحمد ﷺ رسول كغيره من الرسل إذا لابد من معجزة تدل على صدقه، ومعجزة محمد التي استدل بها هي القرآن الكريم ، قال محمد ﷺ معجزتي ودليل صدقي هو القرآن الكريم .

وهو معجزة كلامية معنوية وليست حسية ، لأنه كما قلنا أن معجزة الرسول ينبغي أن تكون من جنس ما برع فيه قومه حتي يعجزوا أن يأتوا بمثله فيعلموا أنه مؤيد من الله ، ولما كان العرب قد نبغوا في اللغة والفصاحة والبلاغة والبيان كانت معجزة محمد ﷺ من جنس ما نبغوا فيه فكانت معجزته القرآن الكريم .

قال محمد : أنا رسول الله إليكم وإلى الناس جميعا والدليل هذا القرآن الذي أوحاه الله إلى لهداية الناس ودعوتهم لعبادة الله ، إذا فالسؤال هل القرآن كلام الله حقا أوحاه إلى محمد ﷺ أم هو من تأليف محمد ونسبه كذبًا إلى الله ؟ .

إذا ثبت أن القرآن كلام الله إذا فهو حق وصدق وكل ما جاء فيه حق وصدق ومحمد رسول الله حق وصدق ، والإسلام دين الله حق .

وإذا ثبت أن القرآن من كلام محمد إذًا فقد بطلت دعواه .

اسمح لي أيها القارئ الكريم أن أناقش معك هذا الأمر بعقل وهدوء لنصل سويا إلى الحق دون عناد أو كبرياء، لكن لي رجاء أولاً قبل أن تقرأ هذه الكلمات أن تكون هادئًا غير منشغل البال حتى تستطيع أن نتحاور معًا لنصل جميعًا إلى الصواب ، وقبل أن نبدأ الحديث اسمح لي أن أذكرك بحقيقة ، وهي أن محمداً ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، وهذا ثابت تاريخيًا لا يستطيع أحد أن ينكره .

الأدلة على أن القـــرآن كـــلام الله :

الدليل الأول : طريقة تأليفه وترتيبه :

وبيان ذلك أن القرآن لم ينزل جملة واحدة وإنما نزل مفرقًا منجما على ثلاث وعشرين عاما حسب الوقائع والدواعي المتجددة وكان رسول الله ﷺ كلما نزل عليه نجم من تلك النجوم (آية من الآيات) قال ضعوه في مكان كذا من سورة كذا وهو بشر لا يدري طبعا ما ستجيء به الأيام ولا يعلم ما سيكون في مستقبل الزمان ثم مضى العمر الطويل والرسول ﷺ على هذا العهد وإذا كان القرآن كله بعد ذلك يكمل ويتم وينظم ويتآخى ويأتلف وينسجم ولا يؤخذ عليه شيء من التخاذل والتفاوت بل كان من ضروب إعجازه ما فيه من انسجام وحدة وترابط حتى أن الناظر فيه دون أن يعلم بتنجيم (تفريق) نزوله لا يخطر على باله أنه نزل منجما (مفرقا)، وحتى أنك مهما أمعنت النظر فيه وبحثت لا تستطيع أن تجد فرقًا بين السور التي نزلت جملة والسور التي نزلت مفرقة من حيث إحكام الربط في كل منها ، فقل لي بربك هل يجوز في عقل عاقل أن يكون هذا القرآن كلام محمد ﷺ أو غير محمد مع ما علمت من الانفصال الزماني البعيد بين أول ما نزل وآخره؟ ومع ما علمت من ارتباط كل نجم (آية) بحادثة من أحداث الزمن ووقائعه ومع ما علمت من أن ترتيب هذه النجوم في القرآن ليس على ترتيب النزول [١] .

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزرقاني ٢ / ٣٤٠ ، دار إحياء التراث العربية ، عيسى الحلبي .

الدليل الثاني : التحدي العظيم :

قال محمد ﷺ : أن القرآن كلام الله أوحاه إلي فإن كنتم تكذبوني وتقولون أنه ليس كلام الله وأنه من تأليفي أنا وكلامي أنا؟ ، وأني بشر مثلكم عربي منكم ومع هذا لا أستطيع أن أقرأ أو أكتب ولم يثبت لكم أني كنت أقول الشعر وأنتم أهل الشعر والفصاحة والبيان ، والقرآن كلام عربي مكون من الكلمات والحروف العربية التي تتكلمون بها الألف واللام والميم وغيرها من الحروف فاتوا بمثل هذا القرآن فأنتم أهل الفصاحة والبيان .

لو أن كاتبًا أو أديبًا ألَّف كتابًا أو قصة ثم طلب من الناس ان يأتوا بمثلها لجاءت عشرات الكتب والقصص .

فالقرآن كتاب عربي فاتوا بمثل هذا القرآن إن كنتم صادقين،بل يصل التحدي من محمد ﷺ لقومه وللناس جميعا أنه أخبرهم أنهم لو اجتمعوا جميعًا إنس وجن ، فلن يستطيعوا أن ياتوا بمثل هذا القرآن ، قال تعالى : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** (٨٨) ﴾ [الإسراء : ٨٨] ، وبالفعل ومع هذا التحدي العظيم يعجز العرب وتعجز الدنيا كلها أن تاتي بمثل هذا القرآن .

ومع أنهم من أشد أعداءه وفي أشد الحاجة إلى إثبات كذبه لكنهم لازموا الصمت أمام هذا التحدي لعلمهم بعجزهم وعجز الدنيا كلها .

ولكن القرآن يشتد معهم في التحدي لأكثر من ذلك فيقول إن كنتم تقولون أن محمد ﷺ قد افتراه وألفه وقد عجزتم أن تأتوا بمثله فاتوا بعشر سور فقط من مثل هذا القرآن ، فيقول القرآن ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** (١٣) ﴾ [هود : ١٣] .

ومع هذا الإصرار والتحدي العظيم عجز العرب وعجزت الدنيا كلها أيضًا أن تاتي بعشر سور مثل القرآن ، فاشتد التحدي أكثر فيقول لهم: فاتوا ولو بسورة

واحد من مثله ، بل الأكثر من ذلك أنه قال لهم لن تستطيعوا أن تأتوا حتى ولو بسورة واحدة فيقول في تحدٍ عجيب وإصرار رهيب، قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾ [البقرة : ٢٣-٢٤].

أبعد هذا التحدي تحد لن تستطيعوا أن تأتوا بمثله ، ومازال التحدي قائمًا منذ أربعمائة عام وألف وإلى يومنا هذا ، ولم يستطع أحد أن يأتي بمثل هذا القرآن ولو بسورة واحدة قصيرة فقط .

فإذا كان القرآن من عند محمد ﷺ فلماذا عجز الناس جميعًا على مدار هذه السنوات أن يأتوا بمثله ، مع أنهم لو أتوا بسورة واحدة مثله لكان انتهى أمر محمد ﷺ وانتهت دعواه ، وإذا ثبت عجزنا وعجز الدنيا كلها ومازال التحدي قائما فلا مفر إذًا أن نسلم أن القرآن ليس من كلام محمد ﷺ وإنما من كلام رب محمد وأن محمداً ﷺ مؤيد من الله .

الدليل الثالث : كثرة علوم القرآن الكريم ومعارفه:

هذا الدليل يثبت لذوي العقول والألباب أن القرآن يستحيل عقلاً أن يكون من كلام محمد ﷺ ، بل ولا حتى من كلام البشر جميعًا ولوا اجتمعوا لتأليفه ، كيف ذلك؟ .

اسمح لي أيها القارئ الكريم أن أناقش معك هذا الدليل بعقل واعٍ ، وفكر متبصر ، وقلب سليم.

إذا سلمنا جدلاً أن القرآن ليس من كلام الله وإنما من كلام البشر، فإنه يستحيل أن يكون من كلام محمد ﷺ وحده، بل ينبغي أن يشاركه في ذلك البشر الموجودون في زمانه جميعا بل ويحتاج إلى علماء عصرنا بل ويحتاج إلى الجن والملائكة ، يجتمع كل البشر والجن والملائكة ومنهم علماء عصرنا في كل

التخصصات لتأليف القرآن ، وأيضًا حتى لو اجتمعوا فلن يستطيعوا تأليفه أو أن يأتوا بسورة من مثله ، لماذا ؟ ، لأن القرآن يحتوي على أمور لا يمكن للعقل أن يقبل أن محمد ﷺ كان يعلمها فيحتاج إلى غيره من البشر ليخبره بها ، وأموراً عن الجن فيحتاج إلى مجموعات من الجن لتخبره عنها ، وأمور لا يعلمها البشر ولا الجن فيحتاج إلى الملائكة لتخبره بها ، وأمور تعجز الملائكة عن علمها فيحتاج إلى من هو أكبر من الملائكة ، ولا يوجد أكبر من الملائكة إلا الله ، اسمح لي أن أوضح لك ذلك .

أقول إذا نظرنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أن القرآن يتكلم في أمور كثيرة جدا لا حصر لها ، فهو يتكلم عن الله عز وجل فيدعوا الناس إلى الإيمان بالله ويثبت بالدليل العقلي أن الله واجب الوجود وأنه خالق هذا الكون وأنه المستحق للعبادة، ويتكلم عن أسماء الله وصفات الله وإثبات وحدانيته وقدرته وعلمه وسمعه وبصره وحكمته وإعجازه في خلقه ، ثم يتطرق إلى الحديث عن الملائكة، ويذكر بعض أسمائهم وصفاتهم ووظائفهم ، ثم يتطرق عن الحديث عن اليوم الآخر وما فيه ويصف أحداثه وصفًا دقيقًا كأنك تراه أمام عينك ، ويدعوا الناس إلى الإيمان به ويثبت لهم في منتهى العقل والحكمة والبرهان والدليل على حتمية وجود اليوم الآخر والحساب والجزاء ، ثم يتطرق للحديث عن الأمم السابقة وأخبارهم وأحوالهم وبلدانهم وعن الأنبياء والمرسلين السابقين ويذكر أسمائهم وقصصهم ومواقفهم مع أممهم ويخبر عنهم كل ما تحتاجه أنت الآن في حياتك ، وكأنك كنت موجوداً معهم في أسلوب عظيم من الروعة والبيان ، وكأنك أعظم مؤرخ ويطرق الآذان بقوله لمحمد ﷺ ﴿ **وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ** ﴾ [آل عمران : ٤٤] ، ﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ** ﴾ [القصص : ٤٢] ، هكذا .

وليس هذا فحسب بل يتطرق القرآن للحديث عن جميع العلوم والمعارف سواء كانت المعروفة في زمان محمد ﷺ أو حتى العلوم التي تم اكتشافها في

العصور المتأخرة .

ومع أن القرآن ليس كتابًا علميًا وإنما كتاب هداية، إلا أنه تحدث عن هذه العلوم ليثبت ويظهر للناس عظمة الله الخالق .

فمثلاً نجد القرآن يتكلم في علوم الفلك والفضاء والنجوم وكأنه على متن سفينة فضاء ، أوفي معمل من معامل العلماء التجريبية ، ويتكلم عن علوم الجيولوجيا والأرض والجغرافيا وعلوم التاريخ ، وعلوم الحساب ، وعلوم المنطق والعقل ، والحوار والبلاغة والأدب ، وعلوم الطب، وعلوم الحيوانات ، بل والأحياء البرية والمائية ، علوم البحار والأنهار والأسماك ، والعلوم التي تتعلق بالإنسان منذ لحظة الخلق وعلم الأجنة وحتى لحظة الموت ، وتحليل الإنسان بعد موته ، وكذلك يتكلم عن بداية الكون وكيف نشأ ؟ ، وعن خلق السماوات وما فيها ، وعن الأرض وما فيها ، والعلوم الاجتماعية ، والعلوم النفسية ، وعلوم أمراض المجتمع، وكيفية علاج جميع الأمراض والمشكلات التي تواجه الإنسان في الحياة، لا تكاد تجد علمًا إلا والقرآن قد تكلم فيه في أعظم بيان وأفضل أسلوب ، بل لم يقتصر الأمر على ذلك بل وصل الأمر إلى أن تكلم القرآن عن العلوم والقوانين التي تنظم علاقة الإنسان بالله من عبادات وتشريعات تربط الإنسان بربه.

وتكلم القرآن عن الديانات الأخرى والآلهة المتعددة وأبطل حجتها ووضح الزيغ الذي تشتمل عليه ، حتي اليهودية والنصرانية تعرض لها ونقدها وبين الحق والباطل فيها وأمر بأخذ الحق وترك الباطل ، وكذلك وضع القوانين التي تنظم حياة الإنسان مع نفسه،ومع أبويه ، ومع أولاده ، ومع زوجته ، ومع جيرانه ، ومع أصدقائه ، ومع أعدائه، بل وضع قوانين الأحوال الشخصية، والقانون المدني ، والجنائي ، والعسكري، وبين كيف تكون المعاهدات والمواثيق الدولية ، وقوانين التجارة والمعاملات المادية من بيع وشراء وأمور الصناعة والزراعة وغيرها من المعاملات .

ما ترك شيئا يتعرض لحياة الإنسان منذ لحظة الميلاد وإلى الوفاة أوعلمًا من

العلوم إلا تعرض له وتكلم فيه .

والعجيب أننا إذا أردنا مثلا أن نضع مادة واحدة في قانون من القوانين فإننا نجمع خبراء القانون وخبراء في علوم النفس والاجتماع والسياسة ، يناقشون هذه المادة هل تصلح للناس أم لا ؟ وإيجابياتها وسلبياتها ، ثم تعرض على البرلمان وتناقش هل تقبل أم لا ؟ .

ثم يعتذر واضعوا هذه المادة عن السلبيات التي تطرأ عليها ويقولون هذا ما استطعنا أن نصل إليه، وبعد فترة من الزمن لا تصلح هذه المادة ويجتمع الخبراء مرة أخرى لتغييرها ووضع مادة أخرى مكانها ، وإذا أرادت أمة من الأمم وضع دستور لها شكلت لجنة من العلماء والخبراء يضعون هذا الدستور ثم يناقش ثم يعرض على الناس للاستفتاء إما أن يقبلوه أو يرفضوه،وقد تصلح هذه المواد لأناس ولا تصلح لآخرين في مكان آخر فيعترضون عليها، وهكذا في سائر القوانين .

فكيف استطاع محمد أن يضع كل تلك العلوم والقوانين التي تصلح لكل الناس على اختلاف طباعهم وأجناسهم ولغاتهم وتصلح لكل زمان دون عيب أو تقصير أو خلل أو نسيان كيف استطاع كل ذلك وحده دون أن يعاونه أحد .

اسمح لي أيها القارئ الكريم في ختام هذا الدليل أن أذكر لك هذا الكلام الثمين لعالم من علماء المسلمين وهو الشيخ عبد العظيم الزرقاني لعل الله يشرح صدرك به للحق .

يقول الشيخ عبد العظيم الزرقاني : (وبيان ذلك أن القرآن قد اشتمل على علوم ومعارف في هداية الخلق إلى الحق بلغت من نبالة القصد ونصاعة الحجة وحسن الأثر وعموم النفع مبلغا يستحيل على محمد ﷺ وهو رجل أمي نشأ بين الأميين أن يأتي بها من عند نفسه بل يستحيل على أهل الأرض جميعاً من علماء وأدباء وفلاسفة ومشرعين وأخلاقين أن يأتوا من تلقاء أنفسهم بمثلها ، هذا هو التنزيل الحكيم تقرأه فإذاً بحر من العلوم والعارف متلاطم زاخر وإذا روح

الإصلاح فيه قوى قاهر ثم إذا هو يجمع الكمال من أطرافه فبينما تراه يصلح ما أفسده الفلاسفة بفلسفتهم إذ تراه يهدم ما تردى فيه الوثنيون بشركهم ، وبينما تراه يصحح ما حرفه أهل الأديان في ديانتهم إذ تراه يقدم للإنسانية مزيجاً صالحاً من عقيدة راشدة ترفع همة العبد ، وعباده قوية تطهر نفس الإنسان وأخلاق عالية وأحكام شخصية ومدنية واجتماعية تكفل حماية المجتمع من الفوضى والفساد تضمن له حياة الطمأنينة والسلام والنظام والسعادة دينياً قيمًا يوائم الطبيعة ويشبع حاجات القلب والعقل ويوفق بين مطالب الروح والجسد ويؤلف بين مصالح الدين والدنيا ، ويجمع بين عزة الآخرة والأولى ، كلُ ذلك في قصد واعتدال وبراهين مقنعة تبهر العقل وتملك اللب[1] .

هل يستطيع واحد من البشر مهما أوتى من الفصاحة والبيان والعلم أن يضع كل هذه العلوم والحقائق والقوانين وتظل على مدار ألف وأربعمائة عام قائمة لا يستطيع بشر أن يقول هذه المعلومة خطأ أو يقول أن هذا القانون ظالم لفئة من الناس.

وهذه القوانين العظيمة هل يمكن لبشر أن يضع كل هذه العلوم والقوانين وحده دون خطأ أو تقصير أو سهو أو نسيان أو ظلم لأحد ، أين هذا البشر إلا إذا كان مؤيد من الله عز وجل خالق الكون ؟ .

والعجيب أن هذه القوانين تصلح لكل زمان ومكان فهي كانت صالحة في وقت تشريعها على لسان محمد ﷺ وأصحابه ثم الزمان الذي يليه وحتى زماننا هذا بلا تغيير أو تحريف هي بنصها كما جاءت .

مع أن القوانين تتغير كل فترة من الزمن حسب حاجة الناس ، وتتغير من مكان لمكان حسب طبيعة الناس إلا أن قوانين القرآن صالحة لكل زمان ولكل مكان حسب اختلاف طبائع الناس وألوانهم وألسنتهم وعاداتهم .

كيف استطاع محمد ﷺ أن يضع كل هذا وحده إلا إذا كان وحياً أوحاه الله إليه .

---

(١) مناهل العرفان ٣٤٢ ، جـ٢ .

الدليل الرابع : توجيه الخطاب الشديد اللهجة :

هذا الدليل من أقوى الأدلة التي تبين أنه لا يمكن أن يكون القرآن من كلام محمد ﷺ إذ يوجد بعض الآيات التي توجه خطاباً شديد اللهجة إلى محمد ﷺ مما يبين أن الله لا يحابي أحداً ولو كان رسولاً .

وهناك الكثير من الأمثلة التي توجه فيها خطاب عتاب شديد اللهجة لمحمد ﷺ وتحذير شديد الخطورة من ذلك :

﴿ أ ﴾ قال العرب أن القرآن شعراً، وقالوا أساطير الأولين أكتبها وقالوا كهانه ، وقالوا سحر،وقالوا افتراه محمد ،فنزلت آيات كريمة ترد عليهم هذه الأقوال وتبين أن القرآن كلام الله ولوأن محمداً ﷺ افتراه لكان العذاب الشديد، فتقول الآيات **﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) ﴾** [الحاقة: ٤١-٤٧] .

هذا التهديد الشديد هل يستطيع محمد ﷺ أن يوجه لنفسه هذا الكلام ولماذا يهدد نفسه بذلك ؟، وما الهدف ؟ ، أعتقد أنه لا يقبل عقل أن يكون هذا الخطاب توجيه من محمد لنفسه .

﴿ ب ﴾ من المعلوم أن القاضي الذي يحكم بين خصمين يحكم عن طريق البراهين والأدلة والشهود فإذا ظهر له بالدليل أن الحق مع فلان حكم له ، فإذا انتهت القضية بالحكم على شخص ما ثم بعد انتهاء القضية تبين للقاضي أنه قد أخطأ وأن هذه القضية خدع فيها وأن المحكوم عليه قد ظُلم ، فإن القاضي إما أن يسكت لأن القضية انتهى أمرها ، أو أن يعيد فتحها ويعتذر للمظلوم ويخبره أنه أخذ بالأدلة ولم يكن أمامه سوى ذلك ثم يعيد الحق إلى أصحابه وانتهى الأمر .

هذا مع عامة القضاة لكن مع محمد ﷺ فالأمر مختلف،انظر إلى هذا الموقف .

أحد المسلمين سرق درعاً من رجل آخر ووضع هذا الدرع عند رجل يهودي

فجاء صاحب الدرع يبلغ عن سرقة درعه ، وبالبحث تبين أن الدرع عند يهودي مع أنه بريء لم يسرق،كان محمد ﷺ كغيره من القضاة يأخذ بالأدلة والبراهين فوجد أن الأدلة كلها تشير إلى اليهودي ، فحكم محمد ﷺ أن اليهودي هو السارق .

وانتهى أمـر هذه القضية بالحكم على اليهودي ، ولكن فجأة يظهر ما لم يكن متوقعاً ، محمد ﷺ يرسل إلى اليهودي ويعلن براءته أمام الناس جميعاً ويعلن السارق الحقيقي فلان .

كان من الطبيعي أن ينتهي الأمـر بذلك لكن تنزل آيات من القرآن بخطاب شديد اللهجة إلى محمد ﷺ تخاطبه وتأمره بالعدل بين الناس ، فتقول الآيات : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) ﴾ [النساء : ١٠٥] .

هل يعقل أن يكون محمد ﷺ هو الذي وجه لنفسه هذا الخطاب .

﴿ جـ ﴾ جاء أهل مكة من ساداتها إلى محمد ﷺ يمدحون فيه وفي دينه ولكن قالوا لا يدخل فيه إلا الفقراء ونحن سادة ولا نجلس مع الفقراء فاطردهم من عندك أو اجعل لهم يوم ولنا يوم وسنتبع دينك ، فاراد محمد ﷺ أن يجعل يوماً للفقراء ويوماً للأغنياء لعل الإيمان يدخل في قلوبهم فيتركوا هذا الكبر ويصبحوا مؤمنين صادقين .فتنزل آيات شديدة اللهجة بعدم طرد هؤلاء الفقراء والانصياع إلى أوامر الأغنياء ، فتقول الآيات : ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) ﴾ [الأنعام : ٥٢] .

فهل يعقل أن يكون محمد ﷺ هو الذي يوجه لنفسه هذا الكلام بل يؤكد القرآن هذا المعنى في آية أشد تهديداً وأقوى لهجة وخطاباً إذ تقول ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلا أَن

ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤) إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) ﴾ [الإسراء : ٧٣-٧٥]

هل يعقل أن يوجه محمد ﷺ لنفسه هذا الخطاب شديد اللهجة.

الدليل الخامس : كسر حجاب الغيب :

من أقوى الأدلة على أن القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله ﷺ أن القرآن الكريم كسر حجاب الغيب بأنواعه الثلاث ، غيب الماضي ، وغيب الحاضر ، وغيب المستقبل .

لنوضح هذا الأمر بهذه الأمثلة:

(١) مثال على غيب الماضي :

أخبر القرآن الكريم عن أحداث فيما مضى قبل تزول القرآن وقبل ميلاد محمد ﷺ بمئات بل آلاف السنين ، أخبر القرآن عنها بكل تفاصيلها وذكر بعض أسماء الأشخاص والبلدان إذا كان في ذلك منفعة ويأتي الخطاب لمحمد ﷺ أنك لم تكن موجود وقتذاك ولا كنت تعلم عنها شيئاً لا أنت ولا قومك.

فمثلاً قصة نوح عليه السلام مع قومه حدثت قبل ميلاد محمد ﷺ بآلاف السنين قصها الله عليه في القرآن ثم جاء الخطاب لمحمد ﷺ : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) ﴾ [هود : ٤٩] .

أي أن قصة نوح عليه السلام كانت من الماضي لم تعلم عنها شيئاً أنت ولا قومك، ومع ذلك لم يستطع أحد من قومه ان يقول أنا كنت أعلمها ولا قام واحد ولو كذباً وقال كنت أعلمها وكنت أعلم أخبارها،وإذاً لبطلت دعوة محمد ﷺ ،فمن الذي أخبر محمداً بهذه الأحداث ثم من الذي صرف عقول هؤلاء القوم فلم يقم واحد منهم ويكذب ليثبت بطلان دعوى محمد ﷺ "يقول: أنا كنت أعلمها من الذي صرف قلوبهم وعقولهم وألسنتهم عن ذلك، أليس هو الله ؟ "

(٢) غيب الحاضر

هناك أشياء تحدث في نفس الوقت الذي يعيش فيه محمد ﷺ ولكنها في بلاد بعيدة عنه ولم تكن عنده فضائيات ولا شبكة معلومات لينقل الخبر على الهواء ولكن محمداً ﷺ كان يخبر قومه ببعض الأحداث وعلى الهواء مباشرة في وقت حدوثها ، فمن الذي أخبره بها وأطلعه عليها ، أليس هو الله ؟ لنضرب مثلاً لذلك في غزوة تسمى غزوة مؤتة وهي معركة حربية بين بعض المسلمين وبعض جيوش الروم في مدينة مؤته قرب الشام وكان يقود المسلمين فيها ثلاثة من القادة، إذا قتل الأول تولى القيادة الثاني وهكذا ، فقتل الأول وهو زيد بن حارثة ثم الثاني وهو جعفر بن أبي طالب ثم الثالث وهو عبد الله بن رواحه فتشاور المسلمون فيما بينهم واختاروا خالد بن الوليد فقام النَّبيّ ﷺ في نفس الوقت وهو في المدينة والمعركة على حدود الشام، وأخبرهم بمقتل الثلاثة وتولى خالد بن الوليد وذكر لهم أحداث المعركة كأنه يراها أمام عينه ، فمن الذي أخبره بذلك وأطلعه عليها أليس هو الله ؟! .

(٣) غيب المستقبل :

اكتفيت بهذين المثالين عن غيب الماضي وغيب الحاضر ، وسأذكر بعض الأمثلة لغيب المستقبل لأن غيب الماضي قد يعلمه المؤرخون ، وغيب الغيب الحاضر قد يطلع عليه بعض الناس ، لكن غيب المستقبل لا يعلمه إلا الله خالق السماوات والأرض ، فإذا تكلم القرآن عن غيب المستقبل وحدث ما أخبر به كما قال القرآن إذاً يستحيل أن يكون القرآن من كلام البشر ، وإنما من كلام رب البشر الذي لا يعلم الغيب إلا الله :

﴿ أ ﴾ في القرن الذي ولد في محمد ﷺ كانت هناك حضارتان هما أقوى الحضارات هما حضارة الفرس والروم وكانت بينهما صراعات وحروب دامية وكانت الحرب الأخيرة بينهما بانتصار الفرس وهزيمة الروم وأخذ الفرس الصليب من الروم وهزموهم هزيمة منكرة ، ففرح المشركون بذلك لأن الفرس وثنيون والمشركون

وثنيون ولكن المسلمين حزنوا لهزيمة الروم لأن الروم أهل كتاب سماوي .

فنزلت آيات تطيب خاطر المسلمون وتخبرهم أن الروم سينتصرون على الفرس وتكون لهم الغلبة في بضع سنين أي أقل من عشر سنين .

أسألكم بالله هل يمكن لأي قائد أوخبير عسكري أن يحدد مصير معركة ضخمة بين قوتين عظمتين ، ويحدد من الذي سينتصر ومتى ذلك ؟، بل ويخبر أن المهزوم في المرة الأولي هم الذين ستكون لهم الغلبة ، ثم مَن مِن أعظم قادة العالم يستطيع أن يحدد ذلك ؟.

إذا بالقرآن يخبر بقيام حرب ثانية بين الفرس والروم وسينتصر فيها الروم ويحدد المدة الزمنية ، لو كان القرآن كلام محمد ﷺ كيف استطاع تحديد ذلك ثم يأتي الواقع الغيبي ليصدق مقولته .

أعتقد لا يقدر على ذلك إلا الله وصدق من قال : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾ [الروم : ١-٦] .

إن كان الله هو الذي أخبر محمداً ﷺ ، إذاً محمد رسول الله ﷺ ، وإن كان الذي أخبر محمداً غير الله ، فمن هو وما الدليل ؟! .

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] .

هل آمن محمد ﷺ على نفسه أن يعيش بضع سنين ليشهد هذه المعركة ؟ ، وماذا يمكن أن يحدث لو أنه لم تحدث هذه المعركة ، أو أنه حدثت معركة وهزم فيها الروم؟، أكان بعد ذلك يصدق أي إنسان في القرآن ؟، أو يؤمن بالدين الجديد؟ ، ثم إذا كان القرآن من عند محمد فما الذي يجعله يدخل في قضيه غيبيه كهذه ، لم يطلب منه أحد الدخول فيها ؟ ، أيضيع الدين من أجل مخاطرة لم يطلبها أحد؟ ، ولم يتحداه فيها إنسان ؟ ، ولكن القائل هو الله

والفاعل هو الله ومن هنا كان الأمر يقيناً سيحدث لأن قائله ليس عنده حجاب الزمان وحجاب المكان ولا أي حجاب وهو الذي يقول ما يفعل ومن هنا حدثت المعركة وانتصر فيها الروم على الفرس كما أخبر القرآن (١) .

﴿ ب ﴾ وليس فقط اخترق القرآن حجاب الغيب ولكنه وصل إلى أعماق النفس البشرية ويذكر في تحدٍ عجيب لقوم غير مؤمنين ويهمهم هدم الإسلام ، يذكر ما في نفوسهم وما يدور في أذهانهم ولا يستطيع واحد منهم أن يكذب القرآن .

يقول القرآن الكريم : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [المجادلة :٨] .

ما معنى هذا الكلام؟ معناه إمعان في التحدي فالقرآن لا يقول لهم ساهتك حاجز المكان وأخبركم بما يدور في بقعة لا ترونها بل يقول ساهتك حاجز النفس وأخبركم بما في أنفسكم، بما في داخل صدوركم ، بل بما تهمس به شفاهكم وكان يكفي لكي يكذبوا محمداً أن يقولوا لم تحدثنا أنفسنا بهذا لولم يقولوها بالفعل داخل أنفسهم لكان ذلك أكبر دليل لكي يكذبوا محمداً ﷺ ويعلنوا أنه يقول كلاماً غير صحيح ، إذاً فالقرآن هتك حجاب المكان داخل إلى أعماق النفس البشرية وإلى داخل نفوس من ؟ داخل نفوس غير المؤمنين الذين يهمهم هدم الإسلام وقال في كلام متعبد بتلاوته لن يتغير ولن يتبدل .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨) ﴾ .

[المجادلة : ٨] .

قال ما يدور في أنفس غير المؤمنين فهل هناك أكثر من هذا تحدياً لحجاب

(١) معجزة القرآن ، فضيلة الشيخ / محمد متولي الشعراوي -رحمه الله- ، ص ٢٥ .

المكان ، إنه تحد فوق قدرة كل الاختراعات البشرية التي وصل إليها العلم الآن لاختراق حجب المكان [١] .

﴿ جـ ﴾ أنبأنا القرآن بأن الله عاصم رسوله ﷺ وحافظة من الناس لا يصلون إليه بقتل ولا يتمكنون من اغتيال حياته الشريفة وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

وقد تحقق نبوءة القرآن هذه ولم يتمكن أحد من أعداء الإسلام أن يقتله عليه الصلاة والسلام مع كثرة عددهم ووفرة استعدادهم ومع أنهم كانوا يتربصون به الدوائر ويتحينون الفرص للإيقاع به والقضاء عليه وعلى دعوته ، وهو أضعف منهم استعداداً واقل جنوداً فمن الذي يملك هذا الوعد وتنفيذه إذن الله الذي يغلب ولا يُغلب والذي لا يقف شيء في سبيل تنفيذ مراده .

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام : ١٨] .

﴿ د ﴾ هناك أعجب من ذلك ، هل يستطيع إنسان أن يحدد أن واحداً من الناس سيموت ويحدد الطريقة التي سيموت بها والمكان الذي سيصاب من جسده الذي سيكون سبباً في الوفاة .

لا يمكن لإنسان أن يحدد مصيره هو بعد ساعة واحدة ولا أو أقل من ذلك ، فكيف يحدد مصير إنسان آخر ، أعتقد أنه لا يفعل ذلك إلا من يقدر على ذلك ، ولا يقدر على ذلك إلا الله .

الموقف التالي ، رجل من أشد وألد أعداء محمد ﷺ ، آذى محمداً ﷺ وأصحابه أشد أنواع الإيذاء ، وكان المسلمون في مكة قلة ، وضعاف لا يستطيعون حماية أنفسهم ، يأتي القرآن ليقول أن هذا الطاغية الذي يؤذي المسلمين وهو الوليد بن المغيرة سيُقتل وسيكون قتله عبارة عن ضربة بالسيف

(١) معجزة القرآن ، فضيلة الشيخ / محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - ، ص ١٧ .

على أنفة فتقضي عليه ويموت ، يقول عنه القرآن بعدما وصفه الله بعشر آيات ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾ [القلم : ١٦] .

وبالفعل بعد حوالي عشر سنين تقريباً يهاجر المسلمون من مكة إلى المدينة وتحدث معركة بين المسلمين وأهل مكة ويُقتل هذا الرجل بضربه بالسيف على أنفه فيموت .هل يمكن أن يحدد محمد ﷺ الوضع الذي سيقتل منه هذا الرجل والعجيب أنه يحدد ذلك ويحدث بعدما يقرب من عشر سنين ، هل يستطيع بشر أن يحدد مصير إنسان آخر وبعد عشر سنين ويحدث ما قال بالفعل .

أعتقد لا يقدر على ذلك بشر وإنما يقدر على ذلك من أنزل القرآن ، وهو الله عز وجل .

﴿ هـ ﴾ كذلك من الأمثلة على كسر القرآن لحجاب غيب المستقبل ، ما يعرف الآن باسم الإعجاز العلمي وهي أمور تم اكتشافها في العصر الحديث من علوم كونية لم تكن موجودة فيما مضى ولم تظهر للعلماء إلا في العصر الحديث عن طريق التجارب المعملية،وأصبحت الآن اكتشافات علمية أبهرت العالم كله ، وإذا بالقرآن يشير إليها منذ ألف وأربعمائة عام ، وقبل اكتشاف المعامل والآلات الحديثة مما يتأكد أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون أبداً من كلام محمد ﷺ لأنه لم يكن عالماً وليس معه أي آلات حديثة .

هناك أمثلة كثيرة على ذلك منها :

[١] النجوم :

كان الناس فيما مضى يظنون أنهم عندما ينظرون إلى السماء فإنهم يرون النجوم ، وظل هذا الاعتقاد سائداً إلى وقت قريب جداً حيث اكتشف العلماء أننا لا نرى النجوم ولا يمكن أن نراها لأن النجوم تنطلق وتتحرك في الكون بسرعات هائلة ولكن الذي نراه هو مواقع النجوم وآثار ضوئها ومن أمثلة ذلك نجم السماك الرامح الذي تقدر سرعته بثلاثمائة وسبعين ميلاً في الثانية ونوره ثمانية

آلاف ضعف نور الشمس ، وهناك نجوم لا ترى بالعين المجردة لكنها في الحقيقة أكبر وأسطع من شمسنا الهائلة ، مما سبق يتضح لنا أن الإنسان لا يرى النجم بذاته بل يرى موقعه وإلا فقد بصره [١] .

هذا الأمر أصبح الآن اكتشافا علميًا ومن الحقائق العلمية . فمن أخبر محمداً ﷺ من أربعمائة عام وألف هذه الحقيقة العلمية ؟، ليقول في القرآن الكريم ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الواقعة : ٧٥] ، هل كان يملك سفينة فضاء ومعدات وأجهزة وصور ذلك المشهد ثم أخبر عنه، أم أن الذي قال ذلك هو من يعلم ما هو كائن وما سيكون وهو الله العليم الحكيم .

[٢] اكتشف العلماء أن الشمس تبعد عنا حوالي ١٥٠ مليون كم ، وضوءها يصلنا بعد ثماني دقائق وعندها تكون قد انتقلت إلى مكان آخر فهي تجري نحو برج يسمى (برج النسر) وكذلك الكواكب والأقمار السيارة حولها وهذا البرج يبعد كثيراً عن الشمس ولن تصل إليه حتى يأذن لها الله عز وجل بهذا المستقر ثم يلحق بها القمر،وعندها يجمع الشمس والقمر وبقية الكواكب، وهذا الأمر لا يرى بالعين المجردة .

هذه الحقيقة العلمية التي اكتشفت حديثا من الذي أخبر عنها محمداً ﷺ ليقول في القرآن ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ . [يس : ٣٨] .

[٣] قال العلماء : أي جرم في السماء عندما ينفجر تخرج منه ألسنة من اللهب فيصير كالوردة التي تتفتح تمامًا حيث يتحول قلبه وأطرافه إلى اللون الأحمر وتكون ألسنة النار المنبعثة شكلا يشبه الوردة في مظهرها ولونها،هل كان محمد ﷺ يملك تلسكوب أو سفينة فضاء ليقول في القرآن الكريم ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرحمن : ٣٧] ،والدهان هو اللون

---

(١) مواقف وإعجازات وقدرة الله البديع ، محمد حسن قنديل ، ص ٢٥ ، بتصرف .

الأحمر ، ألست معي أن الذي أخبر محمداً ﷺ هو الله العليم الحكيم.

[٤] لقد وجد العلماء أن مني الرجل هو الذي يحدد نوع الجنين ذكراً أم أنثى ، وكانوا من قبل يعتقدون أن المرأة هي المسئولة عن نوع الجنين حيث أنهم قد وجدوا أن الخلية بها (٢٣) زوج من الكروموسومات التي تحمل الصفات الجسمية وهي متشابهة في الذكر والأنثى ، ولكن الزوج الرابع والعشرين يختلف في الذكر عن الأنثى لأنه المسئول عن تحديد الجنس ولقد رمزله في الأنثى(X) ورمزوا له في الذكر بالرمز (Y) ولا يكون المولود ذكراً إلا اجتمع (Y) من الذكر (X) من الأنثى فيكون الناتج (X . Y) أي يكون المولود ذكرا .إذا فالرجل هو المسئول عن تحيد نوع الجنين وهذا الآن حقيقة علمية ثابتة .

السؤال من الذي أخبر محمداً ﷺ منذ أربعمائة عام والف عن تلك الحقيقة ؟. مع أنه لم يدخل معملا ولم يدرس في الجامعات وليس عنده آلات ليقول في القرآن ﴿ **أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩)** ﴾ [القيامة : ٣٧-٣٩] ،أي أن الإنسان يتحدد نوعه من مني الرجل وليست المرأة المسئولة عن ذلك ، ألست معي أن الذي أخبر محمداً ﷺ هو الذي يعلم السر وأخفى ألا وهو الله العليم الحكيم .

[٥] لم يكتف القرآن بذلك فقط بل بين حقيقة خلق الإنسان الأول آدم وأنه خلقه من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ، ثم من صلصال ثم نفخ فيه الروح ، وينتقل من مراحل خلق الإنسان إلى مراحل خلق الجنين في بطن أمه من نطفة ، ثم من علقة ثم من مضغة ، ثم تكون العظام ثم يكسى العظام لحماً،ثم ينفخ فيه الروح ، فيأتي العلم الحديث ليثبت هذه المراحل كما أخبر عنها القرآن، سواء مراحل خلق الإنسان الأول أم خلق الجنين في بطن أمه ، بعد عشرات السنين من البحث والدراسة والتجربة ، فأين وجد محمد ﷺ، هذه المعلومات ليقول في القرآن : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ**

﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون : ١٤] .

ألست معي أنه لا يعلم ذلك قبل اكتشاف العلم الحديث لها إلا الله عز وجل. هو الذي خلق الإنسان وهو الذي أنزل القرآن .

[٦] (كان العلماء فيما مضى يظنون أن الذرة هي أصغر شيء في الوجود ولكن منذ وقت قريب وفي معامل العلماء ونتيجة للبحث العلمي والتجربة اكتشف العلماء أن الذرة تتفتت وأن هناك ما هو أصغر من الذرة ، فهل كان محمد ﷺ مع هؤلاء العلماء الذين اكتشفوا هذه الحقيقة المذهلة ليقول في القرآن : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس : ٦١] .

أكتفي بهذا القدر من الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن وعن غيب المستقبل الذي تحدث عنه القرآن في أكثر من آية مما يؤكد في وضوح لا يقبل مجالا للشك أن هذا القرآن لا يمكن أبدا أن يكون من كلام البشر ، مما دفع كثيراً من العلماء والباحثين إلى الاعتراف بأن وجود هذه الحقائق في القرآن يؤكد لذوي العقول والألباب أن القرآن كلام الله أنزله على محمد ﷺ، هذا ومن أراد المزيد من الإعجاز العلمي في القرآن فليرجع إلى المراجع والكتب التي تحدثت في هذا الموضوع باستفاضة فهي كثيرة جداً ، ولله الحمد والمنة .

الدليل السادس : صرف القلوب والألسنة عن معارضة القرآن :

ومعنى ذلك أن القرآن يتحدى أناس في أمور معينة وفي استطاعتهم أن يعارضوا القرآن فيثبتوا بطلان دعوى محمد ﷺ، ولكن العجيب أنه لا يجرؤ واحد منهم أن يعارض القرآن ، فمن الذي صرف قلوبهم وعقولهم وألسنتهم عن معارضة القرآن ؟ .

ولكي يتضح هذا الكلام لابد من الأمثلة على ذلك :

[١] تحدي القرآن لأعدائه من اليهود في شيء يظهر أنه سهل وبسيط وأنه كان في متناول قدرتهم وفي دائرة استطاعتهم ومع ذلك انصرفوا عنه وعجزوا فدل هذا التحدي مع الانصراف والعجز على أن القرآن كلام من يستطيع تصريف القلوب وتحريك الألسنة وهو الله وحده.أما محمد ﷺ فمحال أن يقامر بنفسه وبدعوته ويتحدي بهذا الأمر الظاهر سهولته وهو بشر لا يعلم الغيب ولا يستطيع أن يقلب القلوب، ولا أن يعقد الألسنة وبيان ذلك أن اليهود زعموا أنهم شعب الله المختار من بين شعوب الخلق وادعوا أن الدار الآخرة وقف عليهم وخالصة لهم من دون الناس فخاطب الله رسوله في القرآن ليرد عليهم ويتحداهم بقوله : ﴿ **قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥)** ﴾ [البقرة : ٩٤-٩٥] ، فأنت ترى هذا النظم الكريم يبطل مزاعم اليهود بطلب يبدو ولكل ناظر أنه هين وهو أن يتمنوا الموت لو كانوا صادقين في ادعائهم ، أن نعيم الآخرة وقف عليهم ، لقد كان في مقدور اليهود في العادة أن يقولوا بالسنتهم نحن نتمنى الموت كي تنهض حجتهم على محمد ﷺ ويكذبوه ، لكنهم صرفوا فلم يقولوا ولم يستطع أحد أن يقول أني أتمنى الموت وعلى ذلك قامت عليهم ببيان كذبهم في كبرياءهم وغرورهم [١].

هل يتصور عاقل أن محمداً ﷺ وهو في موقف الخصومة الشديدة من اليهود تطوع له نفسه أن يتحداهم هذا التحدي من عنده في لغة الواثق الذي لا يتردد والآمن الذي لا يخاف المستقبل؟ وهل كان يأمن أن يرد عليه واحد منهم فيقول إني أتمني الموت ؟، وهنا تكون القاضية فتنقطع لا قدر الله حجة الرسول ﷺ ، ويظهر عجزه وتفشل دعوته أمام قوم هم من أشد الناس عداوة للذين

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢ / ٣٧٨) .

آمنوا ، ومن أحرصهم على إفحام الرسول وتعجيزه (١) .

ثم أما بعد أيها القارئ الكريم هذه ستة من الأدلة على أن القرآن لا يمكن أن يكون من كلام البشر وإنما هو من كلام رب البشر سبحانه وتعالى وكل دليل منها تحته مجموعة من الأمثلة واعذرني إن كنت قد أطلت عليك في هذا الوجه وهو الاستدلال بالقرآن على صدق محمد ﷺ ، لأن هذا الدليل هو أقوى الأدلة وهو معجزة محمد الكبرى والخالدة إلى يوم القيامة ، وهذا الذي ذكرته ما هو إلا نقطة في بحر القرآن الكريم لأن القرآن كلام الله وكلامه صفته ، وصفته لا حد لها ، وكل آية في القرآن تدل على أنه كلام الله ، وكل حرف ينطق ويصرخ بأعلى صوته أنه ليس من كلام البشر بل ويستحيل أن يكون من كلام البشر .

وقبل أن أختم هذا الموضوع في الاستدلال بالقرآن على صدق رسول الله ﷺ

أقول : أن القرآن له بعض المميزات التي تميزه عن كلام البشر مهما كان نبوغ هذا البشري.

وعلمه وذكائه من ذلك مثلاً :

■ القرآن له ميزة تيسير الحفظ ، يقول الله في القرآن الكريم ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴿٢٢﴾ ﴾ [القمر: ٢٢] ، إن القرآن ميسر لمن أراد أن يقرأه أو يحفظه ،ومن العجيب أن ما يحدث مع القرآن لا يمكن أن يحدث مع غيره فهل يعقل أن يأتي طفل لا يتجاوز عمره ست سنوات ويحفظ القرآن كاملاً عن ظهر قلب ، يوجد طفل وغيره كثير لم يتجاوز عمره ست سنوات ولا يتكلم العربية ومع ذلك يحفظ القرآن كاملا بأرقام السور والآيات وترتيبها والمكي والمدني وأرقام الصفحات ، هل يحدث ذلك مع غير القرآن أعتقد لا يحدث ذلك إلا مع القرآن لأنه كلام الله .

وهناك ميزة عجيبة للقرآن لا تحدث مع غيره من الكتب ، أنت إذا قرأت كتاباً

(١) المصدر السابق .

واعجبك ذلك الكتاب فإنك تقرأه مرة أو مرتين أو أكثر قليلاً ، ثم تمل من قراءته وتتركه ، أما القرآن فكلما قرأت كلما ازداد حبك وإعجابك وانجذابك لهذا الكتاب الكريم وكلما قرأت تجد لكلماته وقع كبير في قلبك، وكان نوراً نزل من السماء فاخترق أذنك وسمعك ووصل إلى قلبك مباشرة ، وكلما أعدت القراءة تجد معلومة جديدة لم تكن تعلمها ، وكلما تعمقت في القراءة ازدت علمًا وارتباطًا به، فهو شجرة لا ينقطع ثمرها .

وأخيراً أقول : لو أن هذا القرآن لم يقل محمد أنه كلام الله ، ولو وجدناه ملقى في الصحراء لعلمنا أنه كلام الله ، فهو كلام يشمل على روعة البيان، وجمال الأسلوب والأداء ، وصدق في الأخبار ، وكثرة في العلوم ، كتاب حافل شامل لجميع أنواع العلوم التي وجدت فيما مضى والعلوم التي تكتشف الآن ، وهو كتاب منظم منسق لا تجد فيه خطئًا واحداً من ناحية اللغة ولا المعلومات التي ذكرت فيه .

هذا الكتاب الذي يأخذك في رحلة عظيمة في الأفاق يحدثك عن خالق هذا الكون وصفاته وأسمائه وكيف خلق السماوات والأرض والإنسان ويذكر آياته وآلائه الدالة على وحدانيته ويدعوا للإيمان بهذا الإله العظيم ثم يطوف مع الأنبياء السابقين فيذكر قصصهم مع أممهم وكيف واجهوهم .

ثم يطوف بك عن مراحل خلق الإنسان ثم مصيره بعد الموت ويتحدث عن اليوم الآخر وما فيه ويذكر الأدلة العقلية المقنعة لذوي العقول على ضرورة وجود اليوم الآخر والإيمان بــه .

ثم إن هذا القرآن لا يأمر إلا بما فيه خير للإنسان ولا ينهى إلا عن ما فيه شر ، فإن القرآن يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، ولرعاية الأبناء ، وحق الجيران ، وحق الإنسان ، والحرية ، والمساواة ، والشورى والديمقراطية ، والرحمة والمودة ، والمحبة والسلام ، والإخاء والتعاون على البر

والتقوى وصدق الحديث ، ووفاء الوعد ، وأداء الأمانة ، ونصر المظلوم ، ورعاية الفقراء واليتامى والمساكين وذوي الاحتياجات الخاصة ، ويدعوا إلى العلم والعمل الصالح ، وإعطاء كل ذي حق حقه وتوقير الكبير ، ورعاية المسنين ، والرحمة بالصغار والضعفاء خلاصة الأمر أن القرآن لا يأمر إلا بما فيه خير .

وينهى عن الفحشاء والمنكر ،والبغي، والظلم ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والاعتداء على الناس ولو كانوا غير مسلمين ،وينهى كذلك عن الغد ، والخيانة ، والغش ، والكذب ، وشهادة الزور ، وقول الزور ، وأكل أموال اليتامى ، وينهى كذلك عن انتهاك حرمات الناس ، وإظهار العورات والغيبة والنميمة ، والبهتان ، وينهى كذلكم عن قتل النفس إلا بالحق .

باختصار أيضا ينهى عن كل شر ،كتاب جاء بكل هذا الخير وينهى عن كل ذلك الشر ألا يدل ذلك على أنه كلام الله ، ومحمد هذا الرسول الكريم ﷺ ألا يدل كل ذلك على أنه رسول من الله جاء بالرحمة للعالمين ، لو لم يكن محمد ﷺ نبيًا لاستحق أن يكون نبيًا .

وأخيراً : فإني أشفق على هؤلاء الذين حرموا أنفسهم من سعادة الدنيا والآخرة ، حرموا أنفسهم من دخول الجنة في الدنيا قبل الآخرة ، فإن أمتع شيء وألذ شيء هو قراءة القرآن والاستماع إليه ، أو صلاة ركعتين والسجود بين يدي الله ومناجاته ، وإني أدعوا الدنيا كلها إلى قراءة القرآن والاستمتاع به ليعلموا أنه كلام الله رب العالمين.

الوجه الرابع من الأدلة على صدق محمد ﷺ السنة النبوية

من الأوجه التي يستدل بها على صدق محمد ﷺ في أنه رسول من عند الله السُّنَّة النبوية المشرفة ، وأقصد هنا السُّنَّة القولية فقط ، بل ومن السُّنَّة القولية السُّنَّة التي تتحدث عن الغيب المستقبل.

أحاديث النبي محمد ﷺ كثيرة جداً ، وفيها عشرات إن لم يكن مئات أو آلاف الكلمات التي تدل لكل عاقل على أنه يستحيل أن يكون هذا الكلام الذي نطق به محمد ﷺ جاء به من عند نفسه وإنما هو دليل وبرهان ساطع على أن الذي أخبره بذلك هو الله .

واسمح لي أيها القارئ الكريم أن أذكر لك جملة من هذه الكلمات التي قالها محمد ﷺ واحكم بنفسك دون تعصب أو هوى هل يستطيع بشر مهما أوتي من العلم والثقافة والذكاء أن يأتي بهذه الأخبار فضلاً عن رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب يعيش في الصحراء .وهذه الأخبار التي ذكرها النبي محمد ﷺ منها ما حدث بالفعل كما قال بعد يوم أو يومين ومنها ما حدث كما أخبر تماما بعد بضعة أشهر قليلة ومنها ما حدث بعد سنوات قليلة ومنها ما حدث بعد سنين طويلة بل ومنها ما لم يكتشف إلا في العصر الحديث ومنها ما سيحدث ولم يحدث حتى الآن ، وقد اخترت لكم مجموعة من هذه الأخبار فيها الدليل والحق على صدق محمد ﷺ ومنها على سبيل المثال وليس الحصر :

[١] هل يمكن لإنسان مهما أوتي من العلم والخبرة في حالة حرب أن يحدد من سيقتل من الأعداء وأين المكان الذي سيموت فيه هل يمكن لبشر فعل ذلك إلا إذا كان مؤيدا من الله ، ففي غزوة بدر التي جاء المشركون من أهل مكة إلى

المدينة للقضاء على رسول الله ﷺ وقبل المعركة بيوم واحد جلس النبي ﷺ مع أصحابه ليعدهم بالنصر ويطمئن قلوبهم فامسك بعصى صغير وأخذ يشير إلى أماكن ويقول : (**هنا سيقتل فلان من الأعداء ، وهنا سيقتل فلان**) .

يقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أحد الذين شاركوا في المعركة وسمعوا هذا الكلام من رسول الله ﷺ (١) ، فوالذي بعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ .

[٢] هل يمكن الإنسان أن يعرف في حالة مرضه أن هذا مرض موته ويحدد من سيموت بعده من أهله .

في مرض رسول الله ﷺ الذي مات فيه نادى على ابنته فاطمة وأخبرها بسر فبكت ثم أخبرها بسر آخر فضحكت فلما مات سألتها عائشة رضي الله عنها ماذا قال لك رسول الله ﷺ حتى بكيت وماذا قال حتى ضحكت، قالت : «**أخبرني أنه سيموت في مرضه فبكيت وأخبرني إني أول أهله لحوقاً به فضحكت** » (٢) وبالفعل ماتت فاطمة بعد النَّبيّ ﷺ بستة أشهر... من أخبر محمداً ﷺ أنه لن يموت أحد من أهل بيته قبل أبنته ويتحقق قوله كما قال ﷺ .

[٣] حدد النَّبيّ ﷺ لبعض أصحابه أنه سيموت مقتولاً وبالفعل يتحقق الأمر بعد موت النَّبيّ ﷺ بسنوات ، من يملك تحديد مصير الآخرين غير الله عز وجل، قال النَّبيّ ﷺ لعمار بن ياسر أحد أصحابه « **تقتلك الفئة الباغية**» (٣) .

[٤] وكذلك في نفس المعنى تحديد مصير عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأنهما سيموتان مقتولان ،ذات يوم صعد النَّبيّ ﷺ على جبل أُحد ومعه أصحابه أبو بكر وعمر وعثمان فارتجف بهم الجبل، فضربه النَّبيّ ﷺ بقدمه

---

(١) مسلم ٢٨٧٣ ، كتاب الجنة ، وصفة نعيمها ، وأصلها عند إثبات عذاب القبر والتعوذ منه ١٨/ ٢٣٦.

(٢) البخاري ٣٦٢٦ ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ٢ / ١٩٩ .

(٣) مسلم ٢٩١٦ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ،باب علامات قيام الساعة ١٨ / ٣٥٩ ، والترمذي ٣٨٠٠ كتاب المناقب ، باب مناقب عمّار بن ياسر ٥ / ٦٦٩ .

وقال: « **اثبت أحد فإن عليك نبي وصديق وشهيدان** »[١] ، النَّبيّ هو محمد والصديق أبو بكر والشهيدان أي اللذان سيموتان مقتولان هما عمر وعثمان ، من أخبر محمداً أنهما سيموتان مقتولان ، ويتحقق الأمر فيقتل عمر بعد موت النَّبيّ ﷺ باثني عشر عاماً ويقتل عثمان بعد موت النَّبيّ ﷺ باثنين وعشرين عاماً تقريباً.

[٥] من الممكن إذا رأيت طفلاً صغيراً عمره خمس سنوات أن أتنبأ له بانه سيكون عبقرياً في علم من العلوم أو سيكون له مستقبل بارع ، لكن هل يمكن الإنسان أن يتنبأ لطفل عمره خمس سنوات أنه ستقوم معركة كبيرة بعد سنوات وسيكون هذا الطفل الصغير هو السبب في حسم هذه المعركة والصلح بين المتصارعين، ذات يوم رأى النَّبيّ ﷺ حفيده الحسن وكان عمره خمس سنوات فأخذ ينظر إليه مرة ومرة إلى الناس ويقول : « **ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين** »[٢] ، من أخبر محمداً ﷺ وأن هذا الطفل سيصلح بين فئتين متقاتلين ، ويحدث ما قال محمد ﷺ بعد موته بأكثر من ثلاثين سنه.

[٦] هل يمكن لبشر أن يتنبأ لإنسان أنه يتزوج ويرزق بمولد ويكون هذا المولود له أولاد يحاربون ويقاتلون تحت أسم الإسلام والإسلام منهم برئ ، هذا ما حدث عندما جاء رجل إلى النَّبيّ ﷺ فلما ولي قال رسول الله ﷺ : « **يخرج من ضئضئي هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد** »[٣] .

---

(١) البخاري٣٦٢٦ ، كتاب المناقب ، باب منا قب عثمان بن عفان ٢ / ٢١٥ ، والترمذي ٣٦٩٧٠ كتاب المناقب باب مناقب عثمان ٥ / ٦٢٤ .

(٢) البخاري ٣٧٤٦ ، كتاب المناقب ، باب مناقب الحسن والحسين ٢ / ٢٢٥ ، والترمذي ٣٧٧٣ في سُننه ، كتاب المناقب باب مناقب الحسن والحسين ٥ /٦٥٨ ، وأبو داود ٣٦٦٢ كتاب السُنة ، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة ٤ /٢١٥ .

(٣) البخاري ٧٤٣٢ ، كتاب التوحيد ، باب قول الله ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ ٣ /٤٥٦ ، ومسلم ١٠٦٤ كتاب الزكاة ،باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه ، بيان الخوارج وأحكمهم ٧ /١٣٢ .

وبالفعل يتحقق ما قال رسول الله ﷺ بعد موته بحوالي خمسه وعشرين عاماً ، من أخبره بذلك ؟.

[٧] هل يمكن لبشر أن يتنبأ أن رئيس دولة كبرى في كيانها إذا هلك هذا الحاكم فلن يأتي بعده أحد وستنهار دولته ، هل يمكن لبشر تحقيق ذلك هذا ما قاله محمد ﷺ عن حاكمين لأكبر دولتين آنذاك ألا وهي دولتي الفرس والروم ، قال رسول الله ﷺ : « **إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله** »(١) ، وبالفعل يتحقق ما قاله رسول الله ﷺ بعد موته ببضع سنوات يموت كسرى وقيصر ولا يأتي بعدهما أحد وتفتح دولتهما وتنفق أموالهما في سبيل الله .

[٨] هل يمكن لبشر أن يحدد أن دولة أخرى بعد موته ستنفتح وستكون ملكاً لخلفائه من بعده ، ويؤكد ذلك ليس مجرد تنبأ بل تأكيد ويتحقق ما قال بالفعل ، قال رسول الله ﷺ : « **إنكم ستفحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحماً** »(٢) .

وبالفعل تفتح مصر وتتحول إلى دولة إسلامية بعد موت محمد ﷺ بعشر سنوات ، بربك من أخبر محمداً بفتح مصر بعد موته .

[٩] ومن ذلك أيضاً أمور عن مدن وقرى فيها قطاع طرق وكفرة ومع ذلك يخبر النَّبيّ ﷺ أن هذه ستصبح أمن وأمان وسيعمها الإسلام وليس على سبيل التوقع بل على التأكيد ولندع واحداً من أصحاب النَّبيّ ﷺ كان نصرانياً وأسلم وحدثه النَّبيّ ﷺ ببعض الأمور التي أثارت دهشته ولنتركه يحدثنا شخصياً عن هذه الأمور ألا هو عدي بن حاتم الطائي .

قال عدي بن حاتم الطائي بينما أنا عند النَّبيّ ﷺ إذا أتاه رجل فشكا إليه

---

(١) البخاري ٣١٢٠ كتاب فرض الخُمس ، باب قول النبي ﷺ « أحلت لكم الغنائم » ، ج٢ ، ص ٨٧ ، مسلم ٢٩١٨ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب علامات قيام الساعة ١٨ / ٣٦٠ .

(٢) مسلم ٢٥٤٣ كتاب فضائل الصحابة ، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر ١٦ / ٤٦ .

الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل (أي طريق) فقال النَّبيّ ﷺ :**«يا عدي هل رأيت الحيرة** (إحدى المدن) قال لم أراها ولكن أنبئت عنها ، **قال فإذا طالت بك حياة لترين الظعينة** (المرأة) **ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحد إلا الله** ، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذي سعروا البلاد (أي قطاع الطرق الذين أخافوا البلاد) ثم قال النَّبيّ ﷺ : **ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى ابن هرمز ؟** ، قال نعم كسرى بن هرمز ، **ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملئ كفه من ذهب أو فضه يطلب من يقبله منه ولا يجد أحداً يقبله منه** ، قال عدي فرأيت الظعينه ترتحل على الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت ممن فتح كنوز كسرى ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النَّبيّ ﷺ » (١) .

وبالفعل يتحقق الأمر الثالث وهو خروج الرجل بالمال لينفقه فلا يجد من يأخذه منه بعد موت النَّبيّ ﷺ بما يقرب من ثمانين عاماً في خلافة عمر بن عبد العزيز ، بربك أيها القارئ الكريم من أخبر محمداً بذلك وتحقق ما قاله تماماً .

[١٠] قال النَّبيّ ﷺ " **والله ليتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون** " (٢) ، وبالفعل تحقق ما أخبر به .

[١١] خرج النَّبيّ ﷺ من بلده مهاجراً ليلاً حتى لا يراه أحد والمسلمون في حالة ضعف شديد واضطهاد من أهل مكة فلما خرج مهاجراً ذهب وراءه رجل من المشركين يسمى سراقة بن مالك يريد قتل النَّبيّ ﷺ ليفوز بجائزة عرضها أهل مكة لمن يقتل رسول الله ﷺ ، فلما اقترب سراقة من النَّبيّ ﷺ ثبتت قدم فرسه في الأرض ، فعلم أنه لن يستطيع أن ينال من رسول الله ﷺ فذهب إليه ووعده أنه لن يتعرض له بسوء .

---

(١) البخاري ٩٥-٣٥ ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ج٢ ، ص ١٩٣ .

(٢) البخاري ٣٦٢١ كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ج٢ ، ص ١٩٦ .

فقال له رسول الله وقد نظر إلى ذراعيه : «**كأني بك يا سراقة وقد لبست سواري كسرى** ، قال سراقة سواري كسرى بن هرمز، **قال : نعم** »[١] .

في هذا الحديث بشارات منها إسلام سراقة ومنها فتح بلاد الفرس ومنها أن سراقة سيأخذ سواري كسرى ، وبالفعل بعد هذا الموقف بأكثر من عشر سنين وبعد موت النَّبيّ ﷺ تفتح الفرس ويسلم سراقة ويلبس سواري كسرى ، بربك من أخبر محمداً ﷺ بذلك ؟!! .

[١٢] هل يمكن لبشر أن يخبر عن مدة الحكم من بعده على نفس منهاجه ثم يتغير الحكم بعد ذلك ، هل يمكن أن يضمن بشر مهما كان ومهما أوتي من علم وخبره أن من بعده سيحكم بحكمه ، ويحدد المدة ثم يخبر بما سيحدث بعد ذلك .

هذا ما أخبر به محمد ﷺ حيث قال : " **الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك** " [٢] .

وبالفعل بعد موت النَّبيّ ﷺ يتولى الخلافة من بعده أربعة من أصحابه تظل خلافتهم ثلاثون سنة خلافة شورى ثم تحول الأمر بعد ذلك إلى ملك يتوارثه الأبناء بعد الآباء .

من أخبر محمداً بما سيحدث بعده بثلاثين سنة ، ألست معي أنه لا يقدر على ذلك إلا الله !! .

[١٣] هل يمكن لبشر أن يخبر عن مجيء إنسان بعد موته من دوله أخرى لم يره ولم يعرفه بل ولم يعرفه أحد من أهل بلده فيذكر اسمه وصفاته .

بمعنى مثلاً هل يمكن لأحد من مصر أن يخبر عن مجيء رجل من أوروبا لا يعرفه المصرى،ولا أحد من أهل مصر ثم يذكر اسمه وبلده وحرفته دون أن يعرف

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ص ٢٥٩١ ، وأعلام النبوة لأبي الحسن الماوردي ص٩٠ ، ط. دار الكتب العلمية .

(٢) الترمذي ٢٢٢٦ ، ٤٦٤٦ ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في الخلافة ٤ / ٥٠٢ .

به ، هل يمكن ذلك ؟ ، هذا ما قاله محمد ﷺ حيث قال : « **يأتي عليكم أويس ابن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو اقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل** » [١] .

وبالفعل بعد موت النَّبيّ ﷺ يأتي أهل اليمن فيسألهم عمر عن أويس بن عامر ويذكر صفاته حتى يصل إليه ويطلب منه عمر أن يستغفر له ، بالله عليك أخبرني كيف يصف محمد صفات رجل ليس في بلده ولم يره ويخبر عنه باسمه وصفاته ثم يكون ما أخبر به محمد ﷺ .

[١٤] مضى من أحاديث حدثت بعد موت النَّبيّ ﷺ بأيام أو شهور أو سنوات طويلة أما الأحاديث التالية فلم تحدث إلا في العصر الحديث ورأيناها بأعيننا ولم تكن توجد فيما مضى وإنما أكتشفت مؤخراً مما يؤكد أنها لم تكن مجرد توقعات وإنما هي أخبار من الله لرسوله محمد ﷺ وأخبر بها محمد ﷺ وحدثت كما أخبر ، من ذلك أيضاً على سبيل المثال :

﴿ أ ﴾ لم يكن فيما مضى يعرف الناس عامة والعرب خاصة المباني الشاهقة وناطحات السحاب ، وإذا بمحمد ﷺ في صحراء مكة يخبره أنه سيأتي يوم على العرب يتطاولون في البيان يبنون العمارات الشاهقة ، ولم يحدث ذلك إلا في العصر الحديث .

قال رسول الله ﷺ في حديث طويل يعرف بحديث جبريل عندما جاء يعلم الناس أمور دينهم وجاء على صورة بشر وسأل رسول الله ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ثم سأله عن يوم القيامة وعلاماتها ، فقال النَّبيّ ﷺ : « **من أماراتها أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان** » [٢] ، وبالفعل بعد ثلاثة عشر قرنا أو ما يزيد من بعد موت محمد

---

(١) مسلم ٢٥٤٢ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أويس القرني ١٦ / ٧٤ .
(٢) مسلم ١ ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان ، القدرية والإحسان ، ١ / ١٣١ .

ﷺ يأتي العرب الحفاة العراة رعاة الشاة ويبنون العمارات الشاهقة والمباني الضخمة ، بربك كيف يعلم محمد ﷺ ما يحدث بعده بثلاث عشر قرناً من الزمان .

﴿ ب ﴾ كانت الخمر فيما مضى من زمان تعرف باسم الخمر ولم تكن تعرف أسماء أخرى للخمر كالويسكي والشمبانيا والوين إلا في العصر الحديث ، ولكن محمداً ﷺ منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرناً من الزمان يخبر أنه سيأتي على الناس زمان يشرب الناس الخمر ويسميها بغير اسمها، فيقول ﷺ : « **لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب فيه طائفة من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها** » [١] . من أخبر محمداً بذلك بعد موته بأربعة عشر قرناً .

﴿ جـ ﴾ كان النساء فيما مضى ترتدي ملابس متقاربة في الشكل وكان النساء يغطين رءوسهن ويرتدين ملابس تعلوها الحشمة والوقار أو ما يسمى بالحجاب والخمار ، ولم تكن تعرف الناس حرية ارتداء الملابس كالبنطال وإبداء شيء من أجسادهن وبيوت الموضة إلا في العصر الحديث.

ولكن محمداً ﷺ منذ أربعة عشر قرناً من الزمان يخبر بذلك اسمع معي إلى ما قال :

قال رسول الله ﷺ : «**صنفان من أهل النار لم أرهما** ـ أي ليسوا في زمان محمد ﷺ ولم يراهم وإنما يأتون بعده ـ **قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها يوجد من مسيرة كذا أو كذا** » [٢] .

أي نساء يرتدين ملابساً تظهر شيئاً من أجسادهن فكأنها كاسية عارية تستر

---

(١) أبو داود ٣٦٨٨ كتاب الأشربة ، ٣/٣٢٨ ، والنسائي ٨/٣١٢ كتاب الأشربة باب منزلة الخمر ٨/٣١٢ ، وابن ماجة ، كتاب الأشربة ، باب الخمر يسمونها بغير اسمها ٢/١١٢٣ .

(٢) مسلم ٢١٢٨ ، كتاب اللباس والزينة ، باب النساء الكاسيات العاريات ١٤/٢٩١ .

بعض البدن وفي شعرها مثل صنم الجمل وهو ما تقوم به النساء عند حلاق الشعر أو ما يعرف باسم (الكوافير) ، من أخبر محمداً ﷺ بذلك .

﴿ د ﴾ فيما مضى لم تكن يعرف الناس شيئاً عن علم الحشرات وخاصة الذباب ولم تكن توجد أجهزة وميكروسكوبات للتدريب على علوم الحشرات والميكروبات إلا في العصر الحديث.

ولكن محمداً ﷺ قبل أربعة عشر قرناً من الزمن يقول : «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن أحد جناحيه شفاء وفي الأخر داء**»[١].

وبالفعل يأتي العلم في العصر الحديث ليقوم بعمل دراسات وأبحاث على الذباب فيجد فعلاً أن في أحد جناحيه داء وفي الجناح الآخر دواء وعلاج ، بالله عليك هل كان محمد عنده معامل وأجهزة ليسبق العالم كله بأربعة عشر قرناً ليخبر بهذه الحقيقة العلمية التي لم يعرفها العالم إلا في العصر الحديث ؟ ، ألست معي أن الذي أخبره هو الذي يعلم الغيب وهو الله عز وجل.

﴿ هـ ﴾ هل كان محمد معه أجهزة ومعدات ليدرس لعاب الكلب ليعرف ما فيه من مكروبات ثم يحذرنا من الكلاب وولوغها في إناء الطعام والشراب يقول النَّبيّ ﷺ : « **إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب**»[٢].

وبالفعل يأتي بعض العلماء في العصر الحديث ويقوم بعمل بعض الدراسات على لعاب الكلب ويحاول غسله عشرات المرات بالماء والمساحيق ولكنه يجد

---

(١) البخاري ٥٧٨٢ كتاب الطيب ، باب إذا وقع الذباب في الإناء، جـ٣ ، ص ٩٥ ، وأبو داود ٣٨٤٤، كتاب الأطعمة ، باب الذباب يقع في الطعام ٣ / ٣٦٤ ، وابن ماجة ٣٥٠٥ ، كتاب الطيب ، باب يقع الذباب في الإناء ، ٢ / ١١٥٩ .

(٢) مسلم ٢٨٠ ، ٧٣ كتاب الطهارة ، باب ولوغ الكلب في الإناء ٣ / ٥٢٠ ، والنسائي ١ / ٥٤ كتاب الطهارة باب تغفير الإناء الذي ولغ فيه الكلب ١ / ٥٤ ، وابن ماجة ٣٦٤ كتاب الطهارة وسُننها ، باب غسل الإناء من ولوغ الكلب ١ / ١٣٠ .

الآلاف من البكتريا الضارة ما زلت موجود في الإناء ، ولكن لما غسلها سبع مرات إحداهما بالتراب قضى على كل تلك البكتريا ، من أخبر محمداً بهذه الحقيقة العلمية منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

﴿ و ﴾ وأخيراً مع الإكتشاف الخطير وهو عالم السيارات لم يكن يعرف العالم فيما مضى إلا الإبل والخيل والبغل والحمير أما السيارات فلم تكتشف إلا في القرن الماضي.

ولكن محمداً يسبق الدنيا كلها ويخبر منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان أنه سيأتي وقت تخترع فيه السيارات ويذهب فيها الناس إلى المساجد لأداء الصلاة، يقول النبيّ محمد ﷺ : « **سيكون في أخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال ، ينزلون بها على أبواب المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهم البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات** »[1]، قال العلماء السروج في هذا الحديث هي السيارات .

بربك أيها القارئ الكريم أخبرني كيف يعلم محمد ﷺ باختراع السيارات ويخبر عنها ؟ أليس من أخبره هو الذي يعلم المستقبل وما فيه وهو الذي بيده الأمر وهو على كل شئ قدير وهو الله جل وعلا .

أخيراً أيها القاريء الكريم : ما ذكرته لك من أحاديث تتكلم عن المستقبل وحدثت كما أخبر محمداً ﷺ ما ذكرته إلا نقطة في بحر كبير من الأحاديث الغيبية التي ذكرها محمد ﷺ مما لا يدع مجالاً للشك أنها لا يمكن أن تكون من بشر عادي وإنما من بشر مؤيد من الله ولا يكون ذلك إلا لرسول من رسل الله ومحمد ﷺ من رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) مسند الإمام أحمد .

الوجه الخامس من أدلــة صدق محمد ﷺ
الأنبياء السابقين والكعبة والمسجد الأقصى

هذا الوجه من الأمور المهمة التي لا ينتبه لها كثير من الناس وهي من أقوى الأدلة على صدق النبيّ محمد ﷺ ولكن كيف ذلك؟ اسمع لي أن أوضح لك .

من المسلم به والذي لا يقبل مجالاً للشك أنه هناك أنبياء كثيرون قبل محمد ﷺ بل قبل موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ، ومن هؤلاء الأنبياء على سبيل المثال نوح وإدريس وهود وصالح ولوط وإسحاق ويوسف ويعقوب .

هؤلاء الأنبياء كانوا قبل موسى عليه السلام بمئات السنين وبالطبع قبل عيسى عليه السلام .

السؤال ماذا كان دين هؤلاء الأنبياء ؟ :

بالطبع الذي يقبله كل عاقل أنهم لم يكونوا يهوداً لأن اليهود أتباع موسى عليه السلام وهؤلاء قبل موسى ، وبالطبع ليسوا نصارى لأن النصارى أتباع نبي الله عيسى عليه السلام وهؤلاء كانوا قبل عيسى عليه السلام ، إذاً السؤال مازال قائماً ، ما دين هؤلاء الأنبياء الذين جاءوا قبل موسى وعيسى ؟ .

أعتقد أنه لا يوجد في الكتاب المقدس إجابة عن هذا السؤال وهذا في حدود ما قرأت في الكتاب المقدس أنه لم يخبرنا عن دين هؤلاء الأنبياء .

لكن الإسلام أجاب عن هذا السؤال وقال إن هؤلاء الأنبياء كانوا على دين الإسلام وهو قول لا إله إلا الله ولكن تختلف الشرائع حسب الزمان والمكان لكل نبي ولكن الدين واحد وهو الإسلام ، والدليل على هذا القول وجود الكعبة وبيت المقدس أو المسجد الأقصى ، كيف ذلك ؟ .

اسمح لي أيها القاريء الكريم أن أوضح وأقول :

من الحقائق المعروفة و المشهورة والتي لا مجال للشك فيها أن الكعبة هي

المسجد الحرام مسجد للمسلمين وقبلتهم يتوجهون إليها. وكذلك المسجد الأقصى المبارك مسجد للمسلمين بل هو أولى القبلتين. ولم يقل أحد من أي دين آخر أن الكعبة أو المسجد الأقصى تخص دينه بل هما من خصائص دين الإسلام.

السؤال من الذي بني الكعبة ومن الذي بني المسجد الأقصى ؟ :

بالطبع لم يقم محمد ﷺ ولا المسلمون الأوائل ببناء الكعبة لأنها موجودة قبل ميلاد محمد ﷺ بآلاف السنين وكذلك المسجد الأقصى .

فالذي بنى الكعبة هو نبي الله إبراهيم عليه السلام وهذا كان أمراً مشهوراً حتى عند العرب قبل الإسلام وكانوا يعظمونها ويطوفون من حولها ، فالذي بناها هو إبراهيم وابنه إسماعيل ، والمسجد الأقصى الذي بناه هو نبي الله يعقوب وأعاد نبي الله سليمان بناء المسجد الأقصى مرة أخرى.

وهنا أسأل سؤالاً لماذا بني إبراهيم عليه السلام وكذلك يعقوب عليه السلام مسجداً للمسلمين الذين سيأتون من بعده بآلاف السنين إذا كانوا على غير دين الإسلام ؟.

لماذا يكلف نفسه معاناة بناء مسجد على غير دينه ؟

أعتقد أن الإجابة إذاً واضحة وهي أن إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل وابنه إسحاق ويعقوب بن إسحاق وحفيد إبراهيم عليهم جميعاً الصلاة والسلام كانوا على دين الإسلام لذلك بنوا هذين المسجدين لعبادة الله على دين الإسلام .

وإذا ثبت هذا بالدليل الذي ذكرناه وتبين أنهم كانوا على دين الإسلام ، فإن محمداً ﷺ صادق في دعواه ، حيث قال : أن الأنبياء جميعاً من لدن أدم إلى بعثة محمد ﷺ كانوا على دين واحد هو الإسلام ، ولكن تختلف الشرائع حسب مكان كل نبي وزمانه .

وصدق القرآن حيث قال : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩] .

وصدق محمد حيث قال أنه جاء بما جاء به الأنبياء السابقون ،أنه خاتم الأنبياء والمرسلين .

موقف الإسلام من السيد المسيح عليه السلام

قبل أن نبدأ بذكر موقف الإسلام من السيد المسيح عليه السلام نذكر صورة عامة عن مواقف الأمم الأخرى من السيد المسيح عليه السلام . ونرد عليهم رداً سريعاً وليس تفصيلاً إلا في بعض النقاط لأن هذا ليس موضع رد على الملل الأخرى ، وإنما هي إشارات بسيطة تفتح القلوب والعقول أمام طالبي الحق ، ولمن أراد المزيد فليرجع إلى المراجع الأم ، ما أكثر ها في الحديث عن هذا الموضوع.

ولد السيد المسيح عليه السلام ميلاداً عجيباً معجزاً غير باقي الناس ، حيث أنه قد ولد من أم فقط وهي السيدة العذراء البتول الطاهرة (مريم بنت عمران) عليها السلام .

وليس له أب كعامة الناس ، لذلك اختلفت نظرة الناس إلى السيد المسيح عليه السلام ولأمه الطاهرة ، وكان أول من وقف منها ومن السيد المسيح هم اليهود ، قومها الذين كانت تعيش معهم فإن اليهود قوم ماديون يقيسون كل الأمور بالمادة ، لذلك كان من المستحيل عليهم تصديق أن يولد إنسان من غير أب ، فاتهموا السيدة العذراء بجريمة الزنا وقالوا إن المسيح عليه السلام ابن زنا وحاشاه .

وهؤلاء لا يرد عليهم لأنهم كانوا يعلمون الحق فأعرضوا عنه ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ [النمل : ١٤] ، فكانوا يعلمون أنه حق ولكن كانت تخفي قلوبهم ما لم تظهر ألسنتهم ، والدليل على ذلك لم يرجموها مع أن شريعة اليهود رجم الزاني .

وهناك نظرة أخرى إلى السيد المسيح عليه السلام وهي نظرة الشيوعية ،المادية الملحدة التي تنفي وجود الإله ، فهم يقولون لا إله ، والحياة مادة ،والكون خُلق بالصدفة ،ولا يوجد شيء اسمه المسيح ، وأن هذا من مسك الخيال ، وقد اخترع

هذه الفكرة مجموعة من القساوسة لأخذ أموال الناس بالباطل، وقالوا لا يوجد دين ، والدين هذا أفيون الشعوب ، فلا وجود للسيد المسيح عندهم إلا في مسك الخيال .

وهؤلاء كمن جاء في وسط النهار في يوم شديد الحرارة والشمس ساطعة ثم قال : أن الشمس غير موجودة ، فهل يقبل هذا الكلام أحد؟!! .

ينكرون شيئاً واقعياً قامت الأدلة والبراهين على جوده .

على العكس من هؤلاء طائفة أخرى أمنت بالسيد المسيح لكن وصلت إلى درجه المغالاة فيه حتى جعلوه إلهاً يعبد من دون الله وهم النصارى أتباع السيد المسيح عليه السلام ولكنهم انقسموا إلى فرق وطوائف ، فرقة تقول أنه أي السيد المسيح هو الله ، وأن الله كان بيننا ثم صعد إلى السماء ، وفرقة أخرى تقول : أن السيد المسيح ابن الله ، وفرقه ثالثة تقول: أن السيد المسيح ثالث ثلاثة .الأب ـ الابن ـ الروح القدس.

وكل فرقه من هؤلاء الفرق تحكم على الأخرى بالكفر والخروج من المسيحية ولكن هناك أمر هام ذات يوم كنت أتحاور مع أحد القساوسة على شبكة المعلومات فقال لي هذا القس أن هذه النظرة إلى العقيدة المسيحية هى نظرة خاطئة من وجهة نظر الإسلام وقال بأنهم لا يختلقون هذا الاختلاف وان جميع فرق النصارى تؤمن أن المسيح هو الله ، وجميع فرق النصارى تؤمن أن المسيح هو ابن الله ، وجميع فرق النصارى تؤمن أن الله ثالث الثلاثة .

قلت : وكيف تؤمنون أن الأب هو الابن ، وأن الله هو الأب ، وهو الابن في نفس الوقت، فشرح لي الأمر بهذه الصورة وأحسست أنه يشرح شيئاً غامضاً لا يفهمه هو ولا غيره ، وإنما هى عقيدة يؤمنون بها وحاول أن يشرح لي فقال أن الله نزل من السماء فكان هو الأب ثم دخل في مريم وخرج فكان هو الابن فهو الأب وهو هو الابن ، عقيدة غامضة لا يفهمها وحاول إقناعي بها لكن هيهات .

قلت له وما الاختلاف إذاً بين الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستنت ؟ ، فقال هذا خلاف في نظام الكنيسة وليس في العقيدة .

ولكن في الحقيقة لم يستطيع أن ينكر أن هناك خلاف قوى حاد بين النصارى في طبيعة السيد المسيح عليه السلام هل هو له طبيعة واحدة أم طبيعتان ؟ ، وأن القائلين بأن السيد المسيح له طبيعة واحدة يكفرون من يقول بأن له طبيعتان والعكس صحيح ، وقد دارت بينهم حروب سنوات طويلة ، كل أمه تحكم على الأخرى بأنها كافرة وخارجة عن دين المسيح ، وقد ذكرت طرفاً من الحديث عن الحروب التي دارت بين الطائفتين عند الحديث عن حالة العالم قبل الإسلام في هذا الكتاب .

المهم أن النصارى يعتقدون أن المسيح عليه السلام هو الله وهو ابن الله وهو ثالث ثلاثة ، ويعتقدون أنه المخلص وأنه صلب ليكفر الخطيئة الكبرى وظل في قبره ثلاثة أيام ثم صعد وجلس عن يمين الرب وأنه سيعود قبل يوم القيامة ليخلص أتباعه ، هذا موجز لعقيدة النصارى .

ونرد عليهم كما قلت رداً سريعاً بسيطاً مجرد إشارات ومن أراد المزيد فليرجع إلى الكتب والمراجع الأصلية الخاصة بهذا الموضوع .

أقول هناك بعض الأمور التي تدور في ذهني والتي أدعوا القارئ الكريم أن يشارك معي :

أولاً : أقول مثلاً أن شخصاً على دين أخر وعقيدة غير هذه العقيدة وأراد أن يدخل في عقيدة النصارى فعلى أي عقيدة يدخل في ذلك الدين وهو على كل صورة سيعد كافراً ويجب حربه وليس من المؤمنين بالمسيح وليس من أهل الجنة .

دعني أوضح لو دخل إنسان في هذا الدين فهو أمام أحد عقيدتين إما أن يقول المسيح عليه السلام له طبيعة واحدة أو يدخل في العقيدة التي يقول أن له طبيعتان فإن أعتقد أن له طبيعة واحدة فإنه في نظر الفريق الأخر كافر ولم يدخل

في المسيحية ولم يؤمن بالمسيح بل يجب عليه أن يعتقد أن له طبيعتان إلا فالحرب بينهما .

وإن اعتقد أن السيد المسيح له طبيعتان، فهو في نظر الأخرى كذلك كافر ، ولم يؤمن بالمسيح ويجب أن يحاربه حتى يؤمن أن للسيد المسيح طبيعتان .

إذاً فهو على أي عقيدة ، منها كافر في وجهة نظر الأخرى ، فماذا يجب على من أراد أن يدخل في هذا الدين أن يعتقد ؟ .

ثانياً : من المعلوم أن الدعوى لابد لها من برهان أو دليل يؤيدها وأسباب ذلك .

فلنسأل هؤلاء الذين يقولون أن المسيح هو الله ، أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة ، ما الأسباب التي دفعتكم لذلك وما الدليل على ما تقولون ؟

من خلال محادثاتي الكثيرة مع كثير من النصارى وجدت أن الأسباب هي نفسها الأدلة وهي ما يلي :

[١] أن المسيح عليه السلام جاء من أم بلا أب وهذا أمر خارق لا يقدر عليه إلا الله .

[٢] أن المسيح عليه السلام كان يعلم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله .

[٣] أن السيد المسيح عليه السلام كان يحيي الموتى ويشفي المرضى ، ولا يقدر على ذلك إلا الله .

[٤] أن الإنجيل كلمة الله الذي أوحاه إلى رجاله القديسين والإنجيل لا يكذب لأنه كلام الله وقد قال أن المسيح هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة .

هذه هي مجمل الأسباب والدلائل التي بسببها يعتقد النصارى ألوهية السيد المسيح عليه السلام .

ولكن هذه الأسباب مع الفكر العقلي المستنير تذهب هباءً ولنناقش ذلك بهدوء :

أولاً : دعوى أن السيد المسيح ولد بغير أب من أم فقط ولا يقدر على ذلك إلا الله .

أقول لنضرب مثلاً ولله المثل الأعلى مع فارق التشبيه لما جاء أحد العلماء

وأخذ خليه حية من النعجة دوللي وعمل منها نسخة أخرى ، قال الناس أن هذا أمر عجيب ، ألست معي أنه لو جاء عالم آخر وأنشأ نعجة من غير خلية بل من لا شيء أصلاً ، أليس بأعجب وأعظم من أمر النعجة دوللي .

دع هذا المثل واذكر معي ما يأتي :

إذا كان السيد المسيح هو الله لأنه جاء من أم بلا أب ، أليس وجود آدم بلا أب ولا أم أعظم وأولى أن يكون هو الإله .

لذلك يقول القرآن الكريم ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾** ﴾ .

[آل عمران : ٦٠] .

ثانيًا : مسألة أن السيد المسيح كان يعلم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله .

هذه دعوى أقل من الأولى فمثلاً هناك بعض البشارات التي تكلم بها موسى عن رسول يأتي بعده وذكره في الكتاب المقدس ، نحن المسلمون نرى أنها تنطبق على محمد ﷺ والنصارى ترى أنها تنطبق على السيد المسيح .

لكن بغض النظر ، هل تنطبق على محمد ﷺ أو السيد المسيح ، ألست معي أن موسى قد تكلم عن غيب المستقبل، فهل تقول أن موسى أيضًا هو الله لأنه كان يعلم الغيب ، بل أن محمداً ﷺ في عشرات الأحاديث تكلم عن غيب المستقبل وذكرت طرقاً منها عند اوجه الاستدلال على نبوة محمد ﷺ ، فهل تقول محمد هو الله لأنه يعلم الغيب . بالطبع هذا كلام لا يعلمه إلا أولوا الألباب ؟.

ثالثاً : مسألة أن السيد المسيح عليه السلام كان يحيي الموتى ويشفي المرضى ولا يقدر على ذلك إلا الله .

إذا كان الأمر كذلك فإن هناك عشرات الأمثلة لأناس أحيوا الموتى ومع ذلك لم تتخذوهم آلهة ، فلماذا ؟!! ، من ذلك :

لماذا لم تتخذوا (إيليا) وقد أحيا الميت بإذن الله وجاء ذلك في سفر الملوك

الأول (٤ : ٣٢ ـ ٥٠) وصرخ إلى الرب وقال أيها الرب إلهي إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ على الرب وقال يا رب إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه ، فسمع الرب إلى صوت إيليا ، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش .

ولماذا لم تتخذوا (إليشع) إلهاً وقد أحيا الميت بإذن الله وجاء ذلك في سفر الملوك الثاني (٤ : ٣٢ـ ٣٥) ودخل (إليشع) البيت وإذا بالصبى ميت ومضطجع على سريرة ودخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب ثم صعد واضطجع فوق الصبي ووضع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه فسخن جسد الولد ثم عاد وتمشي في البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هنا وصعد وتمدد عليه فعطس الصبي سبع مرات ثم فتح الصبي عينه ، بل وأكثر من هذا أيضًا فقد أحيا إليشع وهو ميت ميتاً وجاء ذلك في سفر الملوك الثاني (١٣ : ٢٠ـ ٢١) "ومات إليشع فدفنوه وكان غزاة مؤاب تدخل على الأرض عند دخول السنة وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر إليشع فلما نزل الرجل ومس عظام إليشع عاش وقام على رجليه " .

ولماذا لم تتخذوا (حذقيال) إلهاً وقد أحيا آلاف الأموات بإذن الله وجاء ذلك في سفر حذقيال (٣٧ : ٧ ـ ١٠) فتنبأت كما أمرت وبينما أنا أتنبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه ونظرت إذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح فقال لي تنبأ بالروح تنبأ يا بن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً " [1] .

ألا يستحق حذقيال أن يكون إلهاً أو نصف إله أو ربع إله ؟! .

---

(١) الكتاب المقدس في الميزان صـ ٥٠ .

رابعاً :أما عن مسألة أن الإنجيل كلمة الله وكلمة الله لا تكذب وأن الإنجيل أو الكتاب المقدس عموماً قد ذكر ألوهية السيد المسيح .

فاسمح لى أيها القارىء الكريم أن أبسط لك القول في هذه المسألة لأوضح لك الحق ولتحكم بنفسك ؟.

نقول لهم أنتم تقولون أن الكتاب المقدس وخاصة العهد الجديد قد ذكر ألوهية السيد المسيح ، نرجو من سيادتكم أن تخرجوا لنا نصاً واحداً من الإنجيل يقول فيه المسيح أنا الله ، أو أنا ابن الله، أو أنا إله ، أو اعبدوني ، أن أريد كلمات عيسى ، ماذا قال عيسى عليه السلام ليفيد أنه إله أو أنه يطلب من الناس أن يعبدوه ، أروني نصاً واحداً قال فيه عيسى أنا إله أو قال اعبدوني ، تعالوا نتأمل ما قاله عيسى عليه السلام عن نفسه وفق رواية الإنجيل ذاته .

(إنجيل متّى ١٩ : ١٦-١٧) "وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية، فقال له عيسى عليه السلام لماذا تدعوني صالحاً ، ليس أحد صالح إلا واحد هو الله " .

إن عيسى عليه السلام يرفض أن يصفه أحد بانه صالح " GOOD " كيف يُعقل بأن يقبل بان يصفه أحد بانه إله " GOD " (١).

بل أن صيغة التثليث التي كانت موجودة في رسالة يوحنا " ٧/٥ " فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس تم حذف هذه الجملة باعتبار أنها كانت تزييفاً يلزم التخلص منه(٢).

وجاء في ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت ١٩٧٠-١٩٨٣ نسخة الآباء اليسوعيين ١٩٨٦ (ريجارد واطس) ١٨٣١ و "ويليم واطس" ١٨٦٦ ونسخة الملك جيمس المعتمدة ، صيغة التثليث في رسالة يوحنا "فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد " قامت

(١) مناظرتان في استكهولم لأحمد ديدات ـ رحمه الله ـ صـ ١٣٨ بتصرف ط دار الفضيلة .
(٢) المصدر السابق بتصرف صـ ٦٦ .

نسخة البروتستنت ذات الشواهد ١٩٨٣ وكتاب الحياة ١٩٨٨ بوضع صيغة التثليث بين هلالين فإن الذين يشهدون " في السماء " هم ثلاثة (الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد) .

وقال المسئولون عن هاتين الترجمتين في المقدمة والعبارة للأولى والهلالان يدلان على أن الكلمات التي بينها ليست لها وجود في أقدم النسخ وأصحها ، أي أن صيغة التثليث هذه فقرة مزيفة من عمل كاتب مجهول واختفت صيغة التثليث من ترجمة الرهبانية اليسوعية ١٩٨٦ والقياسية المراجعة والفرنسية المسكونية لوى سيجو وقالت الرهبانية اليسوعية في الحاشية السفلى (في بعض الأصول الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد لم يرد ذلك في الأصول اليونانية المعول عليها والأرجح أنه شرح أدخل إلى المتن في بعض النسخ)[١].

إذا فلا يوجد نص صحيح صريح في الكتاب المقدس يزعم ألوهية السيد المسيح أو التثليث فمن أين جاءت هذه العقيدة ؟ .

ثم أنه قد جاء صيغة التثليث أيضًا في خاتمة إنجيل متَّى (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس)[٢] ، ولكن هذه الجملة انفرد بها متَّى عن غيره من الأناجيل واعترف علماءهم بأن هذه زيادة لا توجد في الأصول .

ومما يدل على كذب متَّى في نسبته هذا القول للمسيح أن التثليث وألوهية المسيح لم يتقرر في عقيدة النصارى ، إلا في نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي بموجب قرارات مجمع نيقية الذي تم عقده في ٣٢٥ م بأمر قسطنطين إمبراطور الدولة الرومانية أما ألوهية الروح القدس فلم تتقرر هي الأخرى إلا في مجمع قسطنطينية ٣٨١ م الأمر الذي يقطع بأن هذه فقرات مصطنعة ألحقت

(١) الكتاب القدس في الميزان صـ١٣٢ ، بتصرف نقلاً عن الكتاب المقدس العهد الجديد صـ٩٤٣ .
(٢) إنجيل متى الخاتمة.

وأضيفت بعد ذلك إلى إنجيل متَّى [١] .

هذا على فرض صحة الأناجيل الموجودة وعدم تحريفها أنه لا يوجد فيها نص واحد صريح يدعوا إلى ألوهية المسيح فما بالكم وقد ثبت بالأدلة اليقينية العقلية التي لا تدع مجالا للشك أن هذه الأناجيل محرفة وباطلة وتنسب زورا إلى الله .

واليك البيان بالتفصيل :

يعتقد النصارى أن الإنجيل ليس وحياً من الله وإنما هو وحي من الروح القدس إلى رجال الله القديسين ، ويعترفون أن الرجال هم الذين كتبوه ولكن بوحي من الروح القدس .

وقبل أن نبدأ النقاش بالتفصيل هناك نقطتان هامتان أحب أن ألفت نظر القارىء الكريم إليهما وهما :

النقطة الأولى : هي أن الكتاب المقدس يتكون من التوراة وهي ما يسمي بالعهد القديم والإنجيل وهو ما يسمى بالعهد الجديد والإنجيل ليس إنجيلاً واحداً بل أربعة أناجيل (إنجيل متَّى وإنجيل يوحنا وإنجيل مرقص وإنجيل لوقا) ، وهذه الأناجيل الأربعة هي المعترف بها عند النصارى ، ولكن من الثابت أن هناك أناجيل كثيرة غير هذه الأربعة ،ولكن في مجمع نيقية ٣٢٥ م تم الاعتراف بهذه الأربعة فقط ، وأن ما عداها فهو باطل .

وهذا الأمر يثير عندي سؤالين وهما :

السؤال الأول : على أي أساس تم اختيار هذه الأربعة فقط ؟ ،وما الدليل على صحتها دون ما سواها ؟.

السؤال الثاني : ما مصير هؤلاء النصارى الذين كانوا يتعبدون على الأناجيل الأخرى قبل مجمع نيقية واختيار هذه الأربعة دون ما سواها؟،حقيقة لا أعلم الإجابة على هذين السؤالين ،ومن كان لديه إجابة فليخبرني لكن بالدليل الصحيح .

(١) حولية كلية أصول الدين ٣٨٣ .

النقطة الثانية : وهي أهم من الأولى عن أي إنجيل نتحدث ؟ يقول الناس بوجه عام أنه يوجد إنجيل واحد ، لكن بالفعل يوجد أكثر من إنجيل ، إنجيل الروم الكاثوليك وإنجيل سكوفيلد المقدس ، إن العلامة سكوفيلد بمعاونة ثمانين من علماء المسيحية قد اضطلع بمهمة تنقيح الإنجيل ، وإنجيل الملك جيمس ، وهناك نسختان من ا لإنجيل تحملان نفس العنوان ونفس الشكل ونفس الغلاف عنوان كل منهما هو الطبعة المنقحة من الإنجيل (R.S.V) ولكن محتوى كل منهما يختلف عن الآخر في أمور معينة بالغة الأهمية ، أيهما تقبلون أنه كلام الله ؟

أود أن تقول لي : أنا أقبل الطبعة المنقحة من الإنجيل ، أو تقول لي أنا أقبل طبعة الملك جيمس ، أو تقول لي أنا أقبل طبعة الروم الكاثوليك [١] .

مع العلم أن من يقبل منهم أي من فرق النصارى المختلفة طبعة فإنه لا يؤمن بالطبعات الأخرى ويعتبرها باطلة ولا يعترف بها :

فعن أي إنجيل نتحدث مع أننا لو أخذنا أي طبعة نتحدث عنها فإنها في نظر طائفة من طوائف النصارى باطلة ومزيفة وليست كلمة الله .

والآن دعني عزيزي القارىء الكريم أثبت لك بالأدلة اليقينية من الكتاب المقدس ذاته ومن أقوال علماءهم ما يثبت تحريف الكتاب المقدس المزعوم هذا .

أولاً : هذه مجموعة من أقوال علماء النصاري تثبت اعتقادهم في تحريف الكتاب المقدس "

[١] (يقول الأستاذ سهيل أديب المسيحي في أسف بالغ (إذا ما استمر الفرسيون في تنقيح الكتاب المسيحيين المقدس فلن يبقى من ذلك الكتاب الجليل سوى هيكل مهلهل جائع) [٢].

[٢] يقول ميشيل هارت صاحب كتاب العظماء مائة وأعظمهم محمد ﷺ : (لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل وبقي حروفه كاملاً دون تحريف

---

(١) مناظرتان في استكهولم صـ١٨ .

(٢) كتاب المقدس في الميزان صـ١١ نقلاً عن التوراة تاريخها .

كل هذا الزمن سوى القرآن الذي نقله محمد الأمر الذي لا ينطبق مثلاً على التوراة أو الإنجيل [١] .

[٣] يقول القس الدكتور فهيم عزيز (إن العهد الجديد كتاب كنسي كتب في الكنيسة وبواسطتها و لأجلها .... إنه كتب لمواجهة حاجات الكنيسة المتنوعة ومواقفها المختلفة فالرسائل والأناجيل والأعمال والرؤيا كلها كتبت لتسد حاجة الكنيسة الصارخة [٢] .

[٤] ويمكن أن نعتمد في موضوعنا شهادة عالم الدين المسيحي الشاب العلامة هانز كومب الذي كان البابا جون قد اختاره رئيساً للجنة التي شكلت بدولة الفاتيكان لدراسة الإنجيل ، فقرر أننا لا نستطيع أن نجد أي دليل على أن الإنجيل ينحدر مباشرة عن الله .

ولقد قدم هانز كومب الأدلة الصريحة على أن الإنجيل هو من كلام البشر مستدلاً على ذلك بما ورد بصدر إنجيل القديس لوقا إذ يقول القديس لوقا بصدر الإنجيل المنسوب إليه (إذا كان الكثيرون قد أخذوا " بتأليف قصة " في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البد معاينين وخداما للكلمة " رأيت أنا أيضًا "إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به (لوقا ١ : ١-٤) هاكم القديس لوقا يحدد بنفسه الطريقة التي كتب بها الإنجيل لا بتكليف من الله ولا بتكليف من الروح القدس ولكن بتكليف من نفسه ويتضح ذلك بما لا يدع مجالاً للشك من قوله " رأيت أنا " إنه هو الذي رأي أن يكتب إلى ثاوفيلس وهو الذي حدد مصادره التي استقى منها معلوماته متمثلة فيمن سبقوه إلى الكتابة في هذا الموضوع الذي ارتأى هو أيضًا أن يكتب فيه [٣] .

(١) مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٤٢١ سبتمبر ٢٠٠٠ صـ ٨٣٩ .
(٢) الكتاب المقدس في الميزان صـ ٧٤ نقلاً عن المدخل إلي العهد الجديد .
(٣) مناظرتان في استكهولم صـ ٢٧ .

ثانيا : وصف الله في الكتاب المقدس :

الكتاب المقدس يصف الله بصفات لا تليق بجلال الله عز وجل ويستحيل أن يكون الله بهذه الصفات أو يكون هو الذي قال هذا الكلام .

ففي الكتاب المقدس أن الله الذي خلق السماوات والأرض ،الإله العظيم ينزل من السماء ويمشي على الأرض بين الناس ويأكل ويشرب وينام ويقضي حاجته مثل الناس ويتعب ويستريح من تعبه ويندم على أفعاله بل هناك أشياء يجهلها ولا يعلم حقيقتها مثل عندما أخذه إبليس وجربه ،وكذلك لا يعلم ميعاد يوم القيامة بل هل تصدق أن الإله ينزل من السماء ويدخل أورشليم راكباً لكن ترى ماذا ركب؟، اسمع إلى العجائب إنه يركب على حمارين في وقت واحد (جحشين) ودخل عليهما إلى أورشليم ، ويقول الكتاب المقدس إن الله على صورة الإنسان وشكله، لا تعجب أيها القارىء من ذلك فهناك أعجب هل تصدق أن الرب ينزل من السماء ويدخل في جولة مصارعة مع نبيه يعقوب والعجيب أن يعقوب هو الذي انتصر في المصارعة وركب على الرب فضربه الرب على حقوه .لا إله إلا الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. بل إن الرب في الكتاب المقدس إما كذاب أو جاهل وحاشا لله اقرأ معي ذلك الموقف واحكم بنفسك.

جاء على لسان المسيح ﷺ أن إيليا قد ظهر ففهم التلاميذ أنه يحدثهم عن يوحنا المعمدان (نبي الله يحيى) (متَّى ١١ - ١٧ - ١٣) فذهبوا إلى يوحنا المعمدان وسألوه هل أنت إيليا ؟ ، قال : لا . . . .قالوا هل أنت المسيح ؟ ، قال : لا . . . . قالوا : هل أنت النَّبي ؟، قال : لا. . . .(يوحنا ١٩:١) هذا النص يحمل أموراً يجب أن نقف معها :

أولا : المسيح يذكر أن إيليا هو يوحنا ويوحنا يقول :لا لست أنا .

وهنا ثلاثة احتمالات :

[١] أن يكون الرب كاذبا فقد كذب وقال إيليا هو يوحنا ، أو جاهلاً لا

يعلم أن إيليا ليس هو يوحنا أو يكون يوحنا هو إيليا وهو الذي كذب .

ولكني أرى احتمالا رابعًا وهو أن الذي كذب هو الكتاب المقدس هو الذي افترى هذا الكلام ونسبه إلى السيد المسيح عليه السلام وإلى يوحنا عليه السلام .

[٢] لما ذهب التلاميذ إلى يوحنا قالوا : أنت إيليا ، ثم قالوا أنت المسيح ، ثم قالوا أنت النبي ، وفي الثلاث حالات ينفي ، ولكن المسيح معروف وإيليا معروف فأين النبي الذي ورد في سؤالهم ؟! .

أترك لك عزيزي القارىء الكريم الجواب .

وفي الكتاب المقدس أن الرب يبكي وينوح قال الرب : (لهذا أنوح وأولول وأمشي حافيًا عريانًا) (سفر ميخا ٢-٨) والعجيب أن الشمس تشرق وتغرب من نفس المكان الذي طلعت منه (سفر الجامعة -٥) .

[٣] من المعروف أن الأنبياء حملة الرسالة إلى الناس وهم القدوة وحملة الهداية لكن اسمع ماذا قال عنهم الكتاب المقدس

- نوح عليه السلام زعموا أنه سكر وتعرى وهذى ، وجاء ذلك في سفر التكوين " ٩ : ٢٠-٢٧" .
- إبراهيم عليه السلام نسبوا إليه الكذب والتفريط في العرض حرصاً على الحياة وطمعاً في المال وجاء ذلك في سفر التكوين "١١:١٢-"٢٠ وتكرر ذلك أيضًا في " سفر التكوين ٥:٢٠-١٣ "
- لوط عليه السلام افتروا عليه فقالوا إنه زني بابنتيه الكبرى والصغرى ، وورد ذلك في سفر التكوين (٣٠-٣٨)

يعقوب عليه السلام اختلفوا في حقة المحال فقالوا : إنه اختلس النبوة وورد ذلك في سفر التكوين (٢٧) بل وزادوا في الضلال فقالوا إنه صارع الرب في حلبة المصارعة وصرعه ولجأ الرب إلى حيلة غير رياضية فضرب يعقوب على حقوه. فخذه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وجاء ذلك في سفر التكوين (٣٢ :٢٤ - ٣٠) .

وهارون رسول الله ﷺ تخرصوا عليه فقالوا إنه صنع العجل الذهبي ثم صاح في بني إسرائيل غداً عيد للرب وذكر ذلك في سفر الخروج (٣٢ : ١-٦) .

داود ﷺ شنعوا عليه فقالوا : أنه زنى وغدر وسفك دم البرىء البار وثبت هذا في سفر صموئيل الثاني (١١ : ٢-٢١) .

سليمان رسول الله ﷺ تطاولوا عليه فقالوا : إنه كان أشد من فرعون شهوة وضلالاً ، عاشر ألف امرأة ، نعم ألف امرأة فقط لا غير وسجد لآلهتهن وشيد المعابد للأصنام وذكروا ذلك في سفر الملوك (١١ : ١-٩) (١) .

هل يعقل أن يكون الله قد أوحى بهذا الكلام عن أنبياءه .

النقطة الرابعة : أن الكتاب المقدس مليء بالكلمات والجمل التي يستحيل أن تكون من وحي الله مثل :

جاء بسفر التثنية نقرأ ما يلي بالحرف الواحد : (فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء مقابل بيت رفغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم) .

ومعنى ذلك أن الكاتب "أي كاتب هذا النص" ينبهنا إلى أن أحداً لم يعرف قبر موسى إلى ذلك اليوم أي اليوم الذي ينشأ فيه الكاتب هذا الكلام ، كلام من؟ ، من الذي ينشئ الكلام ويقول لم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ؟ ، إنه شخص ثالث ، ليس الله ، ليس سيدنا موسى ﷺ ، ويستطرد الكاتب قائلاً بنص التوراة (وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نظارته فبكى بنو إسرائيل في عربات موآب ثلاثين يوماً فكملت أيام بكاء مناحة موسى) تثنية (٣٤ : ٥-٨) .

هل هذا الكلام وحي من الله لموسى بعدما مات ؟ .

كيف قال موسى هذا الكلام عند موته ودفنه وعدد أيام المناحة بعد موته

---

(١) الكتاب المقدس في الميزان ٧٥ .

وعدم استدلال أحد على قبره ؟ ، ليس هذا الكلام كلام الله وليس هذا الكلام قول موسى ، إن شخصاً آخر قد كتبها ، أي تلميذ في مدرسة يستطيع أن يدرك ذلك [١] .

أما عن نشيد الإنشاد فحدث ولا حرج عما فيه من فضائح جنسية ، كيف يقبل إنسان أن تكون هذه من كلمات الرب ، مما جعل بعض علمائهم يعترض على وجود هذا النشيد في الكتاب المقدس .

يقول ول ديورانت في كتاب قصة الحضارة: "مهما يكن من أمر هذه الكتابات الغرامية فإن وجودها في العهد القديم سر خفي ولسنا ندرى كيف عقل أو تغافل رجال الدين عما في هذه الأغاني من عواطف شهوانية وأجازوا وضعها في الكتاب المقدس[٢] .

النقطة الخامسة:

أن الكتاب المقدس الذي من المفروض أنه وحى الله لهداية البشر إذ به يعمل على غواية البشرية ونشر الرذيلة فإنه يحوي على أمور جنسية خطيرة لا نسمع عنها أو نراها إلا في القنوات الفضائية الفاضحة ولن أذكر لحضراتكم نماذج من ذلك حتى أحفظ لسان القارىء الكريم من ذكر هذه الألفاظ التي لا تليق بإنسان محترم فضلاً عن كتاب ينسب إلى وحي الله .

ويكفي أن تعلم أيها القارىء الكريم أنه يدعوا إلى الزنا وشرب الخمر ، في مجلة الحقيقة (Plain truth بلين تروث أكتوبر ١٩٧٧ م) تقول أن قراءة قصص الكتاب المقدس للأطفال يفتح عيونهم على الشهوات الجنسية وإذا لم يهذب الكتاب المقدس وينقح فإن لهيئات الرقابة على الكتب التعليمية الحق في أن تعتبره غير صالح للقراءة من جانب أولئك الذين لم يتجاوزوا الثامنة عشر من العمر على أحسن الفروض[٣] .

(١) مناظرتان ٢٢ .
(٢) قصة الحضارة جـ٣ ، ص ٣٨٨ .
(٣) مناظرتان في استكهولم ، ص ٣٣ .

ويقول المدخل الفرنسي عن سفر نشيد الإنشاد في الكتاب المقدس : (إن هذا الكتاب الصغير يشكل مسألة من أشد المسائل المتنازع عليها في نصوص الكتاب المقدس في معنى هذه القصيدة الغزلية "أو مجموعة القصائد الغزلية" في العهد القديم فللكتاب طابع غرامي بل فيه ذكريات أسطورية ومع ذلك لا نجد فيه أي مفتاح لتفسيره . من الذي ألّف ؟ ، وفي أي تاريخ ؟ ، ولماذا ألّف ؟ ، وإذا صح أن وجوده في قانون الكتب المقدسة لم يكن إلا مصادفة فكيف اكتسب مكانه حتى أنه وجد دورة في رتبة الفصح اليهودي ، من الواضح أن مؤلفها ليس سليمان ، لقد نسب نشيد الإنشاد إلى سليمان كما نسب إليه سفر الأمثال وسفر الجامعة وسفر الحكمة [١] .

ويقول دليل إلى قراءة الكتاب المقدس تحت عنوان "نشيد الإنشاد" : لا شك أنه ينطلق من قصائد حب قديمة كانوا ينشدونها في السهرات ولعله يستوحي من الطقوس الوثنية لا يذكر الله أبداً [٢] .

وتمنع الكنيسة الرهبان والشباب والبنات من مطالعة هذه القصائد الغزلية الفاحشة فيقول الآباء اليسوعيون " لا يقرأ نشيد الإنشاد إلا القليل من المؤمنين لأنه لا يلائمهم كثيراً" [٣] .

وبعد كل هذا كتاب لا يعرف من ألفه ومتى ألفه ويدعوا إلى الفاحشة ويمنع الشباب من قراءته ويحتاج إلى تهذيب وتنقيح ثم يقولون إنه وحي من الله وكلمة الله ، تعالى الله عمَّا يقولون علواً كبيراً .

النقطة السادسة :

وهي النقطة الأخيرة في ختام الأدلة المنطقية على تحريف الكتاب المقدس وأختم بها لأن المجال ليس خاصاً بتحريف الكتاب المقدس ، بل هي كما قلت

---

(١) الكتاب المقدس في الميزان ١٠٣ ، نقلاً عن كتاب الحكمة ، ص ٣٧٨ .
(٢) نفس المصدر ، نقلاً عن الدليل ، جـ١ ، ص ٨٧ .
(٣) نفس المصدر ١٠٣ ، عن الدليل ، ص ٨٨ .

إشارة لأولى الألباب ومن أراد فليرجع إلى الكتب الخاصة بذلك [١] . ففيها عشرات الأدلة على تحريف الكتاب المقدس .

من المعروف أن كلام الله لا يمكن أن يناقض بعضه وإذا ناقض بعضه في الظاهر فإنه مع القراءة والفهم الصحيح للنصوص تعلم أنه لا مناقضة في الحقيقة ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ [النساء : ٨٢] .

لكن الكتاب المقدس مليء أو كله محشو بالمتناقضات التي لا يمكن الجمع بينها في حال ، ولابد أن تكون واحدة صادقة والاخرى كاذبة ولكن ليس ثمة دليل على صدق واحدة وكذب الاخرى ، **واليك أمثلة ليتضح المقال :**

[١] أجمعت ترجمات الكتاب المقدس العربية والإنجليزية والفرنسية الحديثة على ما جاء في سفر الخروج (٦ : ٢٠) وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجه له فولدت له هارون وموسى ويختلف هذا كثيراً جداً ويتناقض مع ما جاء في ترجمة الكتاب المقدس العربية (رجارد واطس) طبعة لندن ١٨٣١ (وليم واطس) طبعة لندن ١٨٦٦ .

"فتزوج عمرام يوكابد ابنه عمه فولدت له هارون وموسى" [٢] زوجه عمران اسمها يوكابد أم يوخابد وهى عمته كما تقول الرواية الأولى ، أم هى بنت عمه كما تقول الرواية الثانية .

[٢] اجتمعت ترجمات الكتاب المقدس العربية والإنجليزية والفرنسية الحديثة على ما جاء في سفر الخروج (٣٢ : ٢٨))ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى ، ووقع من الشعب في ذلك اليوم ثلاثة آلاف رجل) وهذا يختلف كثيراً بل ويناقض ما جاء في ترجمة الكتاب المقدس رجاد واطس سنة ١٨٣١ ووليم واطس طبعة لندن ١٨٦٦ (فصنع بنوا لاوى كما أمرهم موسى فقتلوا في ذلك اليوم من الشعب نحو ثلاثة وعشرين ألف رجل) .

---

(١) من أهم الكتب واعظمها في ذللك الكتاب المقدس في الميزان .
(٢) الكتاب المقدس في الميزان ، ص ١٢٠ .

[٣] جاء في ترجمات الكتاب المقدس للبروتستانت ١٩٧٠ ، ١٩٨٣ رجارد واطس ١٨٣١ ، وليم واطس ١٨٦٦ نسخة الملك جيمس المعتمدة ، لوى سيجو سفر صموئيل الأول (٦ : ١٩) (وضرب أهل بيت شمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً ، فناح الشعب لأن الرب ضرب الشعب ضربه عظيمة).

قال العلامة "آدم كلارك" في المجلد الثاني من تفسيره بعد القدح والجرح:

(والغالب أن المتن العبري المحرف إما سقط منه بعض الألفاظ وإما زيد فيه لفظ ألف جهلاً أو قصداً لأنه لا يعقل أن يكون أهل تلك القرية الصغيرة بهذا القدر ، أو يكون هذا المقدار مشتغلاً بحصد الزرع ، وأبعد من هذا أن يرى خمسون ألفاً الصندوق دفعة واحدة في حقل يوشع)... ثم قال : في اللاتينية سبعون رجلاً وخمسون ألفاً وسبعون إنساناً (٧٠ رجلاً) ٥٠٠٠٠ ألف ، ٧٠) إنساناً).

وفي السريانية خمسة آلاف (٥٠٠٠) ، (٧٠) إنساناً ، فهذه الاختلافات وتعذر التوفيق يعطينا اليقين مفرداً الكتاب المقدس (والعدد الذي قتل ٥٠ ـ ٧٠ يثير مشكلة فإن بيت شمس لم يكن فيها هذا العدد من السكان وأورشليم نفسها لم يكن لها أكثر من ٧٠٠٠٠ وكثير من علماء الكتاب يتبعون النسخ العبرية القديمة ويقرؤون العدد (٧٠) فقط ونحن نترك المناقشة لكل من الجانبين لأربابها إنما نشير إلى مقالة للدكتور أوزا لد ، ت الس سنة ١٩٤٣ وفيها يدعم بحجة قوية قراءة العدد هكذا (وضرب سبعين رجلا خمسين من كل ألف رجل) أي أنه ضرب خمسين رجلا من كل ألف . أو سبعين رجلا من كل ألف وأربعمائة رجل) وهو تخريج طريف [١].

وإليكم المفاجأة تم إصلاح التحريف فعلا في ترجمة الكتاب المقدس للآباء اليسوعيين ١٩٨٦ والرهبانية اليسوعية ١٩٨٦ ، وكتاب الحياة ١٩٨٨ والقياسية

---

(١) كتاب المقدس في الميزان صـ ١٢٢ نقلا عن تفسير الكتاب المقدس برئاسة د. رافدسن جـ٢ صـ٩٤ .

المراجعة ، الفرنسية المسكونية فصار النص كالآتي :

(وضرب الرب أهل بيت شمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب ، وقتل من الشعب سبعين رجلا وكانوا خمسين ألف رجل فناح الشعب لأن الرب ضرب الشعب هذه الضربة العظيمة) [١].

هل يعقل بعد كل هذا التحريف والاعتراف به من علماءهم أن يقولوا أن الكتاب المقدس كلمة الله ووحي الله لهداية الناس ، وصدق الله إذ يقول في قرآنه الكريم ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل : ١٤] .

ولكن اسمح لي أيها القارئ الكريم في ختام الحديث عن أدلة تحريف الكتاب المقدس أن ألقي إليك بهذه المفاجأة التي لست أدري هل تعلم بها أم لا ؟

هل تعلم أنهم لا يوقنون بمن كتب هذا الكتاب المقدس بل لا يعرفون من هم هؤلاء الذين كتبوه وإليك البيان :

إن كتبة الكتاب المقدس سواء العهد القديم أو الجديد رجال مجهولون لا يعرف من هم هؤلاء الرجال وفي النهاية يكون التوقيع (مجهول) اقرأ معي كلامهم عن :

[١] العهد القديم :

يقول المدخل الفرنسي تحت عنوان (قراءة الكتاب المقدس) " أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين عرفوا بأنهم لسن حال الله في وسط شعبه ظل عدد كبير منهم مجهولا ، لكنهم على كل حال لم يكونوا متفردين لأن الشعب كان يساندهم ، ذلك الشعب الذي كانوا يقاسمونه الحياة والهموم الآمال حتى في الأيام التي كانوا يقاومونه فيها ،معظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة . وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمناً طويلا بين الشعب وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات حتى في شكل إعادة

---

(١) الكتاب المقدس في الميزان ص ١٢٢ .

صيغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية ، لا بل أحدث الأسفار ما هي إلا تفسير أحياناً تحديث لكتب قديمة [١].

وهناك أقوالا كثيرة لعلمائهم عن أسفار الكتاب المقدس والجهل بمن كتبها ومن أراد المزيد فيراجع كتاب (الكتاب المقدس في الميزان) وستجد فيه الكثير والكثير.

[٢] العهد الجديد :

العهد الجديد أو الإنجيل كما قلنا سابقاً لا يعترفون إلا بأربعة أناجيل وهم : (إنجيل متَّى ، إنجيل يوحنا ، إنجيل مرقص ، إنجيل لوقا) ولكن إليك العجب :

من هو متَّى ؟! ، هل كاتب إنجيل متَّى من الحواريين؟ ، أم المؤلف (التوقيع مجهول) يقول دليل إلى قراءة الكتاب المقدس : جاء في تقليد يرقى إلى القرن الثاني ولا يمكن التحقق منه أن متَّى جاب كفر ناحوم والذي أصبح أحد الإثنى عشر كتب بالأرامية أقوالاً من أقوال يسوع ، أما كاتب الإنجيل الحالي فهو غير معروف وقد استوحى بما وضعه متَّى كتب باليونانية .

ويرى الدكتور جون فنتون عميد كلية اللاهوت بتشفيلد بإنجلترا (أن ربط مؤلف هذا) الإنجيل شخصية بهذا التلميذ هى محض خيال [٢].

أما عن مرقص صاحب إنجيل مرقص فما رأى عيسى قط وكان دخوله في دين النصارى بعد إن رفع المسيح عليه السلام وتنصّر على يد بطرس الحوارى وأخذ منه الإنجيل بمدينة رومه [٣].

يقول بتنهام : مفسر إنجيل مرقص (إنه ليس من الحواريين ولم يوجد أحد بهذا الاسم عرفه على أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة بيسوع أو كانت له شهره خاصة في الكنيسة الأولى [٤].

---

(١) الكتاب المقدس في الميزان ٩٧ نقلاً عن ترجمة الكتاب المقدس للعلماء اليسوعين ط ص ٣٤
(٢) نفس المصدر ١٧ .
(٣) حولية كلية أصول الدين ٣٨٥ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، ص ٥٢ .
(٤) حولية كلية أصول الدين ٣٨٥ ، نقلا عن تحفة الأريب ، ط ١١١ ، ١١٢ .

ويضيف أيريك بتنهام ولكن عندما تتذكر أن اسم مرقص كان أكتر الأسماء اللاتينية شيوعاً في الإمبراطورية الرومانية فعندئذ نتحقق من مقدار الشك في تحديد الشخصية في هذه الحالة (١) .

وأمام هذه الشكوك التي تحيط بمرقص من ناحية شخصيته ثم من ناحية تاريخ كتابته التي يختلف حولها ما بين الأعوام ٦٥ / ٧٥ ثم الشك حول مكان كتابته فالبعض يقول إنطاكية والبعض يقول مصر أو روما كل هذه الملابسات والشكوك جعلت الباحثين يذهبون إلى أن أحداً لا يعرف بالضبط من هو مرقص كاتب الإنجيل وإن كان الرأى الشائع أنه كان بين تلاميذ بطرس وتابعية ، والبعض يذهب إلى أنه مبشر الإسكندرية وأول أسقف لكنيستها لكن بعض العلماء يعتبر هذا الرأى من المأثورات العجيبة تماماً مثل الاستدلال الخاطئ الذي توصل إليه أوغسطين من أن مرقص كان واحداً ممن تبعوا متى واختصروا إنجيله (٢) .

وما قيل عن إنجيل متَّى ومرقص يقال مثله عن إنجيل لوقا غير أن الرأي الشائع أنه كان رفيق بولس وصديق له ، تقول ترجمة البستاني في مقدمة إنجيل لوقا : (لوقا كاتب هذا الإنجيل وأعمال الرسل كان رفيق بولس ... ويظهر في مقدمة إنجيله صـ ١ : ١١-٤) ، أنه لم يكن معانيا للحوادث التي كتبها بل ألف إنجيله بكل اعتناء من شهادة الذين عرفوا السيد معرفة شخصية ولازموه في حياته على الأرض (٣) .

ثم أن الأمر كما قلنا في تأليف إنجيل لوقا أنه رأى هو أيضًا أن يولف إنجيلاً كما رأى غيره يؤلف وذكرنا ذلك فيما مضى .

أما عن إنجيل يوحنا فهل مؤلف (إنجيل يوحنا) من الحوارين ؟ أم التوقيع مجهول ؟

---

(١) حولية كلية أصول الدين ٣٨٥ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، ص ٥٢ .
(٢) حولية كلية أصول الدين ٣٨٥ ، العدد الثامن ، الجزء الأول ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
(٣) الكتاب المقدس في الميزان ، ص ١٧ ، نقلاً عن العهد الجديد للشيباني ،ص ١٣٠ .

أورد الدكتور القس فهيم عزيز هذا السؤال بعبارة أخرى فقال : (ولكن من هو الذي كتب إنجيل يوحنا ؟ ثم أجاب في يأس بالغ فقال : (هذا السؤال صعب والجواب عليه يتطلب دارسة واسعة غالباً ما تنتهي بالعبارة (لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل [١] .

سبحان الله العظيم ، كتاب لا يعرف من كاتبه ولا متى كتب ويحمل بين طياته الأدلة الدامغة على أنه ليس من كلام الله ولا من وحيه وشهد العلماء النصارى قبل المسلمين بذلك ،ثم في النهاية يقولون بأنهم مضطرون إلى التسليم والقبول بهذا الكتاب سبحان الله ما أعجب هذه العقول ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل : ١٤] .

واسمح لي أيها القاريء الكريم أقول كلمة أعتقد أنها هى الفيصل بيننا في هذا الأمر ، ويقبلها كل عقل سليم أقول نحن المسلمون نرى أن الكتاب المقدس محرف وليس هو التوراة التي أنزلت على موسى ولا الإنجيل الذي نزل على عيسى ويرى النصارى أنه صحيح غير محرف فأقول الفيصل بيننا هو النسخة الأصلية من التوراة التي كتبها موسى وكذلك النسخة الأصلية من الإنجيل ، من المعروف أن الموجود من الكتاب المقدس هو ترجمات وليست النسخ الأصلية ، عندنا في القرآن عندما تختلف الترجمات نرجع إلى النسخ الأصلية العربية ، فلنطبق هذا الأمر على الكتاب المقدس فنقول لهم نحن نختلف معكم في إثبات تحريف وتصحيح الكتاب المقدس والفيصل بيننا وبينكم هو أن تحضروا النسخة الأصلية من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لنعرف من على الحق نحن أم أنتم ؟ وإلا فإن دعواكم باطلة لا دليل عليها .

وأعتقد أنكم لن تجدوا الإجابة على هذا الطلب . يقول القس سويجارت : (يوجد ما يقرب من أربع وعشرين ألف مخطوط يدوي قديم من كلمة الرب من

---

(١) نفس المصدر ص ١٧ ، نقلاً عن المدخل على العهد الجديد ، ص ٥٤٦ .

العهد الجديد وأقدمها يرجع إلى ثلاثمائة وخمسين عاما بعد ميلاد المسيح والنسخة الأصلية أو المنظورة أو المخطوط الأول لكلمة الرب لا وجود لها [١].

وبذلك أيها القارىء الكريم يثبت أنه لا وجود لكلمة الكتاب المقدس الأصلية إذا فدعواهم عدم التحريف دعوى باطلة لا دليل على صحتها وبذلك يثبت تحريف الكتاب المقدس كما نقول ونعتقد نحن المسلمون. ثم أقول أنكم تقولون بألوهية المسيح لأنكم نظرتم إلى الإله نظرة مختلفة لا تليق بجلاله ولا سلطانه فأنتم تنظرون إليه كما ينظر إليه عباد الأحجار والأشجار نظرة مشابهة الخالق للمخلوق، وهذا لا يصح فإن الإله الخالق العظيم الذي خلق السماوات والأرض والأنس والجن والملائكة والحيوان والكون بما فيه لا يمكن أن يشابه أحداً من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، كيف تقبلون أو تتصورون أن الإله العظيم ينزل من السماء ويتجسد في شكل إنسان ويمشي بين الناس، كيف تتصورون الإله العظيم، وهو يأكل ويشرب ويذهب لقضاء حاجته، وينام، ويجوع ويتعب ويستريح، ويبكي ويندم على أفعاله، ثم يعود في ندمه ويندم على أنه ندم أول مرة بل الأعجب كيف تتخيلون أن يدخل الإله في حلبة مصارعة مع أحد عباده والعجيب ان العبد هو الذي انتصر على الإله، إله يدخل حلبة مصارعه مع عبد من عباده والعبد هو الذي ينتصر، ألا ما أعجب هذا الإله؟، أنا لا أسخر أيها القارئ من إله النصارى، ولا أهزأ به حاشا لله ولكن أعجب من هذه الصفات التي يقبلون أن يتصف بها الله.

ولي سؤال آخر عندما كان الله يمشي بين الناس كما يقولون هل قابل الناس الله ومشوا معه وتكلموا معه؟ عندما كان المسيح ﷺ في أورشليم هل كان الله في أورشليم أم في عليائه فوق العرش؟، وأنتم تقولون أن الآب والابن والروح القدس هذه الثلاثة واحد وليست ثلاث ذوات مختلفة بل ذات واحدة، إذًا لما كان المسيح في أورشليم كان الله في أورشليم، ولم يكن في غيرها من البلاد، فهل

(١) مقولة القس سويجارت من موقع على شبكة المعلومات الدولية « الانترنت ».

ترك باقي البلاد للملائكة يدبرون شئونها ؟ ، ولما كان في التراب بعد صلبه وموته من كان يدبر شئون الكون والإله تحت التراب ؟ ، وإن قلتم أن الذي مات ودفن هو الابن وليس الآب ، وإن الآب كان في عليائه على العرش إذا فهما اثنان وليسا واحد كما تقولون .

أنا لا أريد أن أدخل معكم في جدل عقيم لا فائدة منه ولكن أرشدكم إلى الحق وإلى الطريق المستقيم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .وأختم هذه الجزئية بهذا السؤال والسؤال ليس لي بل هو لواحد من علماء النصارى ولكنه يدين أن للسيد المسيح طبيعة واحدة ويتوجه بهذا السؤال لمن يقولون أن للسيد المسيح طبيعتان وهذا السؤال يؤكد حقيقة ما جاء به الإسلام ، أن الله لا يمكن أن يكون كما يعتقد هؤلاء .

يقول ذلك العالم النصراني وهو أحد الأباء الأرثوذكس سائلا الكاثوليك (هل ولدت مريم إنسانًا أم إلهًا ؟ فإن قلتم إلهًا ضللتم وإن قلتم إنسانًا كانت أم إنسان لا أم إله ، وأنتم تنكرون ذلك وإن قلتم ولدت إلهًا وإنسان كانت أم إله وإنسان فهما ابنان أحدهما إلهاً والآخر إنسان ، وهذا قول ينقضه العقل ولا يسيغه [١] .

أرأيت أيها القارىء الكريم هذا السؤال وكيف أجاب عليهم لكنه أراد أن يبرهن على عقيدته فقال مكملاً ذلك الكلام (فلا يصح إذا أن تقولوا أن الإله والإنسان صارا واحداً ولذلك فقد ولدت مريم واحداً وهذا الواحد ليس إلهًا بإطلاق ولا إنسانا بإطلاق ولا إلهًا وإنسانًا بل إلهًا متأنسًا وهذا هو الحق) [٢] ، لكننا نرى أن ذلك باطل لا يقبله عقل .

انظر أيها القارىء الكريم إلى ذلك التخبط بينهم في طبيعة السيد المسيح وهل له طبيعة واحدة أم له طبيعتان ؟ .

ولكن الحق هو الذي جاء به الإسلام أن المسيح بشر وعبد من عباد الله

(١) الكتاب المقدس في الميزان ، ص ٧٨ نقلاً عن موسوعة تاريخ الأقباط جـ١ ، ص ١٦٥ ، ١٦٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٧٨ .

اصطفاه الله وجعله رسولا من رسله .

والإنجيل نفسه يقرر أن المسيح عليه السلام رجل تبرهن من قبل الله أي أرسله الله وأيده بالمعجزات التي تدل على صدقه يقول القديس بطرس وهو واحد من أخلص أتباع المسيح يقول في أعمال الرسل ٢ : ٢٢ (إن يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضًا تعلمون) [١] .

أعُبَّاد المسيح لنا سؤال ... نريد جوابه ممن وعاه

إذا مات الإله بصنع قوم ... أماتوه فما هذا الإله ؟

وهل أرضاه ما نالوه منه ؟ ... فبشراهم إذا نالوا رضاه

وإن سخط بالذي فعلوه فيه ... فقوتهم إذًا أوهت قواه

وهل بقى الوجود بلا إله ... سميع يستجيب لمن دعاه ؟

وهل خلت الطباق السبع لما ... ثوى تحت التراب وقد علاه ؟

وهل خلت العوالم من إله ... يدبرها ، وقد سَمُرت يداه ؟

وكيف تخلت الأفلاك عنه ؟ ... بنصرهم ، وقد سمعوا بكاه ؟

وكيف أطاقت الخشبات حمل ... الإله الحق مشدودًا قفاه ؟

وكيف دنا الحديد إليه حتى ... يخالطه ويلحقه أذاه ؟

وكيف تمكنت أيدي عداه ... وطالت حيث قد صفعوا قفاه ؟

وهل عاد المسيح إلى حياة ... أم المحي له رب سواه ؟

ويا عجبًا لقبر ضم ربًا ... وأعجب منه بطن قد حواه

أقام هناك تسعًا من شهور ... لدى الظلمات من حيض غذاه

---

(١) مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ـ رحمه الله ـ ص ١٤٥ .

وشق الفرج مولودًا صغيرًا ضعيفًا فاتحًا للثدي فاه
ويأكل ثم يشرب ، ثم يأتي بلازمِ ذلك ، هل هذا إله ؟
تعالى الله عن إفك النصارى سيُسأل كلهم عمَّا افتراه
أعُبَّاد الصليب ، لأي معنى يعظم أو يقبح من رماه ؟
وهل تقضي العقول بغير كسر وإحراق له ولمن بغاه ؟
إذا ركب الإله عليه كرهًا وقد شُدّت لتسمير يداه
فذاك المركب الملعون حقًا فدسه ، لا تبسه إذ تراه
يُهان عليه ربُّ الخلق طُرًّا وتعبُدُه ؟ فإنك من عداه
فإن عظَّمته من أجل أن قد حوى رب العباد وقد علاه
وقد فُقِدَ الصليبُ فإن رأينا له شكلاً تذكرنا سناه
فهلا للقبور سجدت طُرًّا لضم القبر ربّك في حشاه ؟
فيا عبد المسيح أفق فهذا بدايته وهذا مُنْتَهاهُ

قال الله تعالي في القرآن الكريم : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢)** ﴾ [النساء : ١٧١-١٧٢] .

هذا بالنسبة للقول بالوهية السيد المسيح عليه السلام والرد عليه أما عن القول بصلبه فداءً وأنه هو المخلص وأن الناس يجب أن يقبلوه فإن هناك سؤال يدور

بذهني ويشغل بالي أرجو منك أيها القارىء الكريم أن تساعدني في الإجابة عليه ، لنفترض ونسلم جدلا أن السيد المسيح قد صُلِبَ فداءً ، فالسؤال إذا صُلِبَ فداءً لمن ؟ ومخَلصًا لمن ؟ .

أرى أن الإجابة على شفتيك أيها القارىء الكريم ، ويتحرك بها لسانك وهي إجابة منطقية وعقلية يقول بها معظم من يعتقدون تلك العقيدة ، ولكن عندي إجابتان لهذا السؤال فلتسمعهم مني أيها القارىء الكريم .

الإجابة الأولي : التي تدور في ذهنك وهي أن السيد المسيح بالطبع صلب فداءً ومخلصا لمن آمن به ، ليفدي ويخلص هؤلاء الذين قبلوه إلها مخلصا .

هذه هي الإجابة المنطقية العقلية ، إذ كيف يخلص من لم يؤمن به ، بالطبع لا يخلص إلا من آمن به ،وهذا ما يقوله علماءهم وما نسمعه منهم في وسائل الإعلام المختلفة ، ولكن ألست معي أيها القارىء الكريم أنه لو كانت هذه الإجابة هي الحق ، أن ذلك الرب بذلك يكون ظالمًا ومحابيًا في الوقت نفسه ، ظلم هؤلاء الذين ماتوا قبل السيد المسيح وحابى هؤلاء الذين جاءوا بعده ، فما ذنب هؤلاء الذين ماتوا في العصور المتقدمة قبل مجيئه ؟، لماذا لم يرسل المسيح بعد آدم مباشرة ليفدي هؤلاء السابقين ؟ ، ما ذنبهم وقد يقولون لو جاءنا السيد المسيح لآمنا به مخلصاً ولكنه لم يأتنا .

ثم ما فضل هؤلاء الأمم المتأخرة التي جاءت بعد المسيح عليه السلام على الأمم السابقة حتى يرسل المسيح ويصلب فداءً عنهم دون السابقين ؟، ألست معي أن تلك محاباة وذلك ظلم وحاشا للرب أن يكون كذلك .

الإجابة الثانية: هي إذا أن السيد المسيح عليه السلام صلب فداءً ليكفر خطيئة آدم وبالتالي فهو فداءٌ لكل بني آدم سواء السابقين أم المتأخرين من لدن آدم وإلى يوم القيامة .

لكن ألست معي أيضًا أيها القارىء الكريم أنه لو كانت هذه هي الإجابة

لكان إرسال الرسل ووجود المؤمنين والكافرين والحروب الماضية وكل ما كان من لدن آدم وإلى يومنا هذا عبث، لأن السيد المسيح قد صلب فداءً للجميع ، إذا فموسى وفرعون سواء ، ودا وود وجالوت سواء ، ومحمد وأبو جهل سواء ، والمسلم والمسيحي واليهودي والبوذي ومن يعبد البقر كل هؤلاء سواء لأن المسيح صلب فداءً للجميع ، ولذا فإن وجود النار عبث لأنه من الذي سيعذب فيها وقد خلص المسيح جميع الناس، وأن هلاك الأمم الذين كفروا برسلهم عبث لأن الله أهلكهم والمسيح خلصهم ، فهلاكهم إذا لا قيمة له ، وهم ورسلهم سواء لا فرق بينهم .

ثم الأمر الهام أليس من الظلم أن يذبح الابن البار المخلص نتيجة جريمة لم يرتكبها مع أن جميع الديانات حتى الكتاب المقدس ذاته يقولون : (أنه لا تزر وازرة وزر أخرى في سفر التثنية (٢٤ - ١٦) (لا يقتل الأباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الأباء كل إنسان بخطيئته يقتل) ، هل غيرت التوراة رأيها لتقتل المسيح بذنب البشر ؟ .

ثم إن الله تاب على آدم وعفي عنه وهو الذي ارتكب الخطيئة فلماذا يصلب ابنه الذي لم يرتكب خطئاً ؟ أليس هذا ظلم ؟ ، وحاشا لله أن يكون كذلك .

ثم ألست معي أيها القارىء الكريم أن هذه العقيدة تفتح باب المعصية وانتهاك الحرمات على مصراعيه إذا هرب الإنسان العاصي من عقاب القانون في الدنيا وفي الآخرة يخلصه المسيح فمتى يعاقب ؟ ، إذا اعتقد الإنسان أن المسيح ﷺ قد صلب فداءً له ومخلصاً له وقبل الإنسان بذلك ثم أتيحت له فرصة ليسرق أو ليزني أو ليقتل دون أن يراه أحد ، أو يعلم بذلك أحد ، وقد هرب من القانون فمن الذي يمنعه من السرقة أو الزنا أو القتل ؟ .

لأنه يعتقد أنه لن يدخل النار لأن المسيح ﷺ قد. فداه وخلصه ، ما الذي يجعله يراقب الله ويخشاه ما دام يضمن الخلاص يوم القيامة ؟ ، لذلك تجد

الغرب الآن يعيش في أشقى أيامه روحياً ومادياً حيث انتشرت أمراض النفس وأمراض المجتمع وانتشرت السرقة وحوادث الاغتصاب والقتل وانتهاك الحرمات بل إن الزنا أصبح شيئاً طبيعياً ما دام يتم بالرضا دون غصب أو إكراه للمرأة .

بل وصل الأمر بهم إلى التطاول على شريعتهم وتغييرها وعلى سبيل المثال : الشريعة عندهم تمنع الطلاق ولكنهم غيروا وبدلوا لأنهم وجدوا أن هذا الأمر لا يناسبهم فبدلوا وغيروا رغماً عن رجال الدين ، فهل سيعاقبون على ذلك أم أن المسيح سيخلصهم ؟ ، وما دامت هذه العقيدة موجودة فليفعل الإنسان ما يشاء ويقبل المسيح مخلصاً ، وليتحول العالم إلى غابة يأكل فيها القوى الضعيف ، ويأخذ الغني حق الفقير، وهذا هو الواقع الذي نعيشه الآن ونراه في كل مكان في العالم ، ولكن لو يعلم الناس أنه لا يوجد صلب ولا فداء وأن كل إنسان يحاسب على عمله لتغيرت أحوال العالم

ثم ما الدليل على هذه العقيدة مع أنه لا يوجد ولا نص واحد في الإنجيل يخبر بها أو يشير إليها ولكنها نقلت عن اليهود أعداء المسيح لأن أتباعه هربوا جميعا وتركوه (حينئذ تركه التلاميذ وهربوا) (متَّى ٢٦-٥٦) وإنما حضره اليهود وقالوا قتلناه وصلبناه وهم الذين قالوا فيه كل ما قيل فإن صدقتموهم في الصلب فصدقوهم في سائر ما ذكروه وإن كذبتموهم فيما نقلوه عنه فما الواجب لتصديقهم في الصلب وتكذيب أصدق الصادقين الذي قامت البراهين القطعية على صدقه أنهم ما قتلوه وما صلبوه بل صانه الله وحماه وحفظه وكان أكرم على الله وأوجه عنده من أن يبتليه بما تقولون أنتم واليهود [١].

إذا أيها القارىء الكريم فإن عقيدة الصلب والفداء غير منطقية أو عقلية بل العكس تناقض الحق والمنطق والعقل والسليم بل ولم يقم دليل واحد على صدقها بل العكس هو الصحيح .

---

(١) الكتاب المقدس في الميزان ، ص ٧٧ بتصرف .

ومن قال غير ذلك فليأت بالدليل : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] .

بعد هذا الرد الذي أسأل الله أن يجعله موفقاً وأن يهدي به أصحاب تلك العقائد إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .اسمح لي أيها القارىء الكريم أن أبين لك موقف الإسلام من السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .

موقف الإسلام من السيد المسيح عليه السلام

الإسلام ينظر إلى السيد المسيح عليه السلام نظرة مختلفة عن كل هذه النظرات فإن النظرات السابقة عليها سمات التطرف إما تفريط في اتهام السيد المسيح وأمه بجريمة الزنا ، أو إنكار وجوده وإما إفراط في الحب وصل إلى حد أن جعلوه إلهاً يعبد من دون الله .

لكن الإسلام نظر إليه نظرة وسط نظرة حق وعدل دون إفراط ولا تفريط فيرى الإسلام أن السيدة مريم العذراء هي أطهر نساء العالمين ولم ترتكب من الجرائم بل كانت عابدة طاهرة قانتة نقية ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) ﴾ [آل عمران : ٤٣] .

وان السيد المسيح بشر عادي كغيره من البشر ليس إلهاً ولا ابن إله وإنما هو بشر رسول أرسله الله لبني إسرائيل لهدايتهم ودعوتهم لعبادة الله وحده لا شريك له وأيده بالمعجزات التي تدل على صدقه في دعواه الرسالة ، وكما قلنا إن كل رسول لابد له من معجزة تؤيد صدقه وتكون من جنس ما برع فيه قومه حتى يكمل التحدي ، ولما كان قوم السيد المسيح مهرة في الطب كانت معجزته من جنس ما برع فيه قومه ، بل فاقت ما وصلوا إليه حتى أنه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله .

وأنزل الله عليه الإنجيل مصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظةً للمتقين، ولكن اليهود عادوه وحاربوه وحاولوا قتله فأغروا به الحاكم الروماني آنذاك ليقتله ، ولكن الله رفع السيد المسيح إلى السماء ، وألقي شبهه على رجل آخر فأخذه الحاكم وقتله وصلبه ، وظن أنه هو المسيح ، ولكن السيد المسيح عليه السلام

رفع إلى السماء وسينزل قبل يوم القيامة بإذن الله فيقتل المسيح الدجال، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويعم الإسلام في كل مكان .

وأمر الإسلام المسلمين بالإيمان به كبشر رسول من عند الله ، فقال الله في القرآن الكريم ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ** ﴾[المائدة : ٧٥] .

ويقول محمد ﷺ : « **من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء** »[١] .

أما عن مسألة ميلاد المسيح عليه السلام من أم دون أب فذلك لبيان قدرة الله المطلقة أنه يفعل في ملكه ما يشاء فإن الله أراد أن يبين للناس قدرته في خلقه والعبرة ليست في السيد المسيح لشخصه فقد كان من الممكن أن يكون شخصاً آخر هو الذي خلق ذلك الخلق العجيب ، ولكن المقصود هو قدرة الله .

وإننا إذا نظرنا إلى خلق الله في كونه لوجدنا أنه كان من الضروري والطبيعي أن يوجد إنسان يخلق من أم بغير أب سواء كان السيد المسيح عليه السلام أو غيره ، فلو نظرنا لوجدنا أن الله تعالي قد نوع في خلقه فقد خلق إنسان من غير ذكر ولا أنثى وهو آدم ، وخلق إنسان من ذكر من غير أنثى ، وهي حواء عليها السلام خلقها من أب من غير أم ، وخلق من ذكر وأنثى وهو عامة الخلق .

ماذا بقى إذاً ؟ ، بقي أن يكون إنسان من أنثى فقط وليس من ذكر لتكتمل صورة الخلق لتستبين قدرة الله ، فكان السيد المسيح عليه السلام ، إذاً فالحق واضح والدليل قائم ولكن يحتاج قلوباً تفهم وعقولاً تدرك وعيونا تبصر، وآذان تسمع، وبصائر ترى .

---

(١) البخاري ٣٤٣٥، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ ٢/١٦٣ ، ومسلم ٢٨ ،كتاب الإيمان ، باب من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ١/١٨٣ .

مناظرة بين الإسلام والمسيحية

هذه مناظرة تخيلتها بين الإسلام والمسيحية وهي ليست مناظرة بالمعنى الحرفي لكلمة مناظرة بل هي مجرد مقدمات أصل بها إلى نتيجة أراها منطقية وعقلية وهي كالتالي :

نظرة سريعة إلى القرون الماضية والقرن الحالي والماضي نرى ما يلي :

مقدمة أولى : تمسك المسلمون بالإسلام وتمسك النصارى بالمسيحية :

نتيجة أولى :

أصبح المسلمون أقوى دولة في العالم وانتصروا على الفرس والروم في وقت واحد وأسسوا دولة عريقة في أقل من نصف قرن ، وانتشر العلم في ربوع العالم الإسلامي وكانت جامعة قرطبة أكبر شاهد ودليل على ذلك .وانتشر الأمن والعدل والحرية والشورى والديمقراطية وعرف ما يسمى بحقوق الإنسان .

خلاصة الأمر : أن سمى ذلك العصر باسم العصر الذهبي للإسلام .

أما بالنسبة للنصارى لما تمسكوا بالمسيحية :

انهزم الروم هزيمة منكرة أمام الإسلام وتلاشت دولتهم ، وانتشر الجهل حتى حاربوا العلم والعلماء وقتلوا العلماء وهم أحياء ومحاكم التفتيش لا تخفي على أحد وما فعل بالعلماء أمثال جاليليو غير بعيد عن أذهان الناس ، وانتشر الظلم وعم الفساد والخراب .

خلاصة الأمر : سمي ذلك العصر بالقرون الوسطى والعصور المظلمة .

مقدمة ثانية :

تخلى المسلمون عن الإسلام وتخلى النصارى عن المسيحية في معاملاتهم وأصبحت مجرد شعائر بين الإنسان وربه ولا وجود لها في الحياة العملية .

نتيجة أولى واقعية ومؤكدة بالنسبة للإسلام :

تفرق المسلمون وانتهت دولتهم وذهبت الخلافة وانتشر الجهل والخرافات والخزعبلات ، وانتشر الظلم وعم الفساد وضاعت حقوق الإنسان وأصبحت كعصور الظلام في أوروبا الماضية وأصبحت دول الإسلام فريسة لدول الغرب .

بالنسبة للنصارى :

لما تخلى النصارى عن المسيحية وقامت الثورة الصناعية على الكنيسة ورجال الكنيسة وأصبحت المسيحية مجرد شعائر يقوم بها الإنسان بينه وبين ربه ولا واقع لها في الحياة ، النتيجة ازدهرت أوربا وانتشر العلم حتى صعد الإنسان إلى القمر والفضاء، وعصر الاستنساخ ، وانتشرت الديمقراطية ، وعرفت حقوق الإنسان ، وأصبحت أوربا وأمريكا سادة العالم وقادته .

إذاً من المقدمات السابقة ونتائجها نصل إلى ما يلي :

- أن تمسك المسلمون بالإسلام سبب عزهم وسعادتهم ورخاءهم .
- وتمسك النصارى بالمسيحية سبب خذلانهم وضعفهم .
- وتخلي المسلمون عن الإسلام سبب ضعفهم وهوانهم وذلهم .
- وتخلي النصارى عن المسيحية سبب عزهم وقوتهم .

إذاً فالنتيجة النهائية أن الإسلام سبب لسعادة البشرية ولا يكون كذلك إلا الدين الحق والوحي المنزل من الله ، وصدق الله إذ يقول في قرآنه الكريم : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران : ١٩] .

وصدق الله إذ يقول ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)** ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وصدق الله إذ يقول :﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ** ﴾ .

[طه : ١٢٤ – ١٢٦] .

سؤال أخير :

هذا سؤال أخير أتوجه به إلى النصارى في كل مكان أرجوا من كل عاقل أن يفكر فيه ويتدبر لعله يصل إلى الحق ، والسؤال هو :

من المعلوم الذي لا ينكره إنسان أن الطفل عندما يولد في أي دين من الأديان يذهب به والداه إلى المعبد ليجعلوه يدخل في دينهم ففي النصرانية يأخذ الوالدان الولد ليعمدوه (أى لتنصيره) واليهود يأخذونه لتهويده وهكذا في كل دين ، فالسؤال الذي أجد نفسي مضطراً لسؤاله وأبحث له عن إجابة ، إذا لم يعمد الطفل أو ينصر فماذا سيكون دينه ؟.

- إن كانت الإجابة سيكون نصرانياً مسيحياً فما فائدة التعميد إذاً ؟.
- وإن كان سيكون على دين آخر فما هو هذا الدين ؟

أقول لك أيها القارىء الكريم الإجابة المفاجأة التي نطق بها بعض النصارى أنفسهم قبل أن ينطق بها المسلمون قال بعضهم (إذا ترك الولد بلا تعميد فإنه يولد مسلماً وأبواه هما اللذان ينصرانه أو يهودانه .. الله أكبر .... الله أكبر

﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء : ٨١] .

ما عدا الإسلام هو الدين الوحيد الذي يترك الطفل على فطرته ، إذاً فالإسلام هو الفطرة .

وصدق الله إذ يقول في القرآن : ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم : ٣٠] .

وصدق النبي محمد ﷺ حين قال : (**ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**) [١] .

إذاً أيها القارىء الكريم فالإسلام هو الفطرة وهو دين الله وهو دين الأنبياء جميعاً ، فتدبر قبل فوات الأوان فإن النهاية إما جنــة أبداً أو نار أبداً .

---

(١) البخاري ١٣٥٨ ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه ١ / ٢٩٧ ، ومسلم ٢٦٥٨ كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة ١٦ / ١٥٧، أبو داود ٤٧١٤، كتاب السُّنَّة ، باب ذراري المشركين ، ٤ / ٢٢٩ .

الركـــن الخامس
الإيمان باليوم الآخـــر

الركن الخامس من أركان الإيمان (أركان العقيدة الإسلامية) الإيمان باليوم الآخرى ، ومعنى الإيمان باليوم الآخر ، أن المؤمن يؤمن أن الموت ليس نهاية الإنسان ، بل انتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى ، وأن الإنسان بعد موته يحيا مرة ثانية يحاسب ويسأل عن أعماله التي عملها في الدنيا فإن عمل خيراً وجد خيراً وإن عمل شراً وجد ما قدم .

وإن الإنسان بعد موته يحيا ويقوم مرة ثانية في قبره في حياة تسمى حياة البرزخ ، يسأل فيها الإنسان عن ربه وعن دينه وعن النّبيّ الذى بعث فيه ، فإن أجاب الإجابة التي أمر بها الله وهى أن ربه هو الله ودينه هو الإسلام ثم يذكر النّبيّ الذى كان موجوداً في عهده ، فإن كان محمد قال الرسول الذى بعث فينا هو محمد ﷺ . وإن كان من السابقين قبل محمد ﷺ في عهد عيسى عليه السلام أو موسى ذكر اسم نبيه .

ثم بعد حياة البرزخ هذه في القبر هناك حياة أخرى ويوم أخر يسمى بيوم القيامة ، يقوم الناس جميعاً من قبورهم أحياء كما كانوا فيحشرون ويعرضون على الله ، فيسألهم عن جميع أعمالهم وهو ما يسمى بيوم (الحساب) ثم يتحدد مصيرهم فالمؤمن إلى الجنة والكافر إلى النار .

فإن مصير الإنسان إما جنة ينعم فيها الإنسان بكل صور النعيم حتى التي لم تخطر له على بال ، وإما إلى نار يعذب فيها بكل صور العذاب التي لم تخطر له على بال ، وذلك في خلود تام بلا نهاية ، فلا موت بعد ذلك .

وهذا الركن من أركان الإيمان هو أمور غيبيه لا يحسها الإنسان بالمادة بل

يجب أن يؤمن بها غيباً ، هذا وكعادة الماديين أنكروا هذا الركن من أركان الإيمان وقالوا أن حياة الإنسان تنتهي بموته ثم يتحلل إلى تراب ، ولا يمكن أن يبعث ثانية بعد أن أصبح تراباً فلن يعاد مرة ثانية .

وهذا الأمر ليس بجديد فليس الماديون في هذا العصر وحدهم من أنكر اليوم الآخر ، بل كل المشركين في كل زمان ومكان أنكروا اليوم الآخر ولا عجب من ذلك فقد أنكروا وجود الله ذاته سبحانه وتعالى ﴿ **بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣)** ﴾ . [ق : ٢ - ٣] .

وقال تعالى : ﴿ **قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** ﴾ [يس : ٧٨] .

ونحن نرد عليهم قولهم هذا ونثبت بالدليل القطعي حتمية وجود اليوم الآخر ، واسمح لى أيها القارىء الكريم في هذا الموضوع بالذات أن استدل على صدقه بدليلين ، دليل من القرآن الكريم ودليل عقلي .

الدليل الأول: من القرآن الكريم :

مع أن هذا البحث هو حوار عقلى إلا أنى مضطر أن أخذ الدليل من القرآن الكريم لأني قد أثبت لحضراتكم في صفحات سابقة أن الله عز وجل واجب الوجود ، وأن محمداً رسول الله ﷺ وأن القرآن الكريم كلام الله حقاً ، وما دام القرآن كلام الله فهو حق وصدق لا يحتمل الكذب ، وقد أخبرنا القرآن بوقوع اليوم الأخر في كثير من الآيات ، وأقام الأدلة على حتمية وقوع اليوم الأخر فيجب أن نصدقه .

ومن الآيات القرآنية قول الله عز وجل : ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧)** ﴾ [التغابن : ٧] .

وقال تعالى ﴿ **وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧)** ﴾ [الحج : ٧] .

وقد رد القرآن على من أنكر البعث واستدل له بأمور يراها الإنسان بعينه في الدنيا مما يؤكد قدره الله على البعث والنشور.

من ذلك قوله تعالى عمن أنكر اليوم الآخر : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) ﴾ [يس : ٧٨] ، فرد الله عليه ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) ﴾ [يس: ٧٩] ، ويقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾ [فصلت: ٣٩] ، أي أن الإنسان يرى الأرض أمام عينه قد ماتت لا تنبت زرعاً فإذا أنزل الله عليها المطر أنبتت مرة ثانية فإن الذى أحياها مرة ثانية قادر على أن يحيى الإنسان مرة ثانية.

الدليل الثاني : دليل عقلي وهذا الدليل يتكون من جزئين :

[١] ما المانع العقلي أن يعيد الإنسان بعد موته وقد ثبت أن الله خالق الإنسان من عدم ، فأيهما أشد خلقاً ، خلق الشيء من عدم أم إعادة خلقه ؟.

ولنضرب مثلاً يوضح المعنى ولله المثل الأعلى، أيهما أيسر على الإنسان لو أن عندى آله ، سيارة مثلاً وحدث فيها عطل أو خلل أيهما أيسر أن أعيد إصلاحها وصيانتها. أم صناعة سيارة أخرى من لا شيء فأذهب وأستخرج الحديد من الأرض ثم أشكله وأصنع منه سيارة تتحرك أليس إصلاح العطل وإعادة السيارة إلى العمل أيسر ؟ من صناعتها من أول مرة .

كذلك خلق الله الإنسان من لا شيء فإعادته إلى الحياة بعد موته أيسر من بداية خلقه ، وهذا المعنى لنفهم فقط الأمر وإلا فعند الله خالق الكون ليس هناك أيسر وأصعب بل الأمر إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

[٢] لو لم يكن هناك بعث ولا حساب لطالب الناس بحتمية وجود البعث والحساب، لماذا ؟ ، لأنه لو لم يكن هناك بعث ولا حساب لكانت الدنيا فوضى وغابة يأكل فيها القوى الضعيف ، لو لم يكن هناك حساب فما الذى يمنع الفقير

أن يستأسد ويسرق مال الغني ؟ ، ما الذى يمنع من قتل الناس بعضهم بعضاً ؟ هل القانون قادر على ذلك ؟ ، فأين كان القانون فيما مضى من زمن بعيد ؟ ، وأين هو الآن هل يمنع جرائم القتل والسرقة والاغتصاب والنهب؟ ،كل يوم نسمع عن جرائم الاغتصاب والقتل والسرقة ، آلاف الحوادث فأين القانون ؟ ، هذا مع علم الناس بوجود البعث والحساب فتخيل معى كيف يكون حال الدنيا لو لم يؤمن الناس بالحساب والبعث .

ثم لو لم يكن هناك بعث ولا حساب فمن يأخذ للمظلوم حقه من الظالم؟ ، من يأخذ حق الضعيف ؟ من يمنع الظالم عن ظلمه خاصة إذا كان الظالم له منعه وقوة من ملك وجاه وسلطان ؟ ، ما الذى يمنعه عن ظلم الناس ؟.

ثم ما الفارق بين الإنسان الصالح والفاسد؟ ، إنسان عاش حياة كريمة مع الناس بلا غدر ولا خيانة ولا غش ولا سرقه ولا اغتصاب ، يأمنه الناس على أموالهم وأعراضهم ، هل يستوي هو ومن عاش حياته يظلم الناس ويعتدي عليهم وعلى حرماتهم وأموالهم وأعراضهم .

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم : ٣٥] ، إن لم يكن هناك بعث ولا حساب ولا يوم أخر يحاسب الناس على أعمالهم فما الفارق إذاً بين الرجلين الصالح والفاسد ؟ ، بل إن الذى عاش حياه كريمة صالحة قد خسر الدنيا والذى عاش في ظلم وأخذ أموال الناس قد تمتع في حياته .

ولو كان الأمر كذلك لحاول كل إنسان أن يصل إلى متع الحياة وشهواتها بكل قوة وبأي وسيلة حتى ولو على حساب الآخرين ما دام يملك القدرة على ذلك ، فتتحول الحياة إذاً إلى غابة يأكل فيها القوى الضعيف .

والإنسان الفقير أو الضعيف إما أن يتحول إلى أسد يلتهم كل من يقف أمامه وإما أن يموت في عالم لا يعرف للضعيف مكاناً .

فينتشر الفساد وتعم الفوضى وتضيع الأخلاق ، ويضيع الحق والأمن والعدل والرحمة والمودة والمحبة والإخاء ، كل هذا سيصبح بلا قيمة في عالم لا تحكمه إلا المادة .

إذاً لا بد من يوم يُردُّ فيه الحق إلى صاحبه ، وينتصر المظلوم ويعاقب الظالم ، لا بد من يوم يتحقق فيه العدل ، وبما أن هذا اليوم لم يحدث في الدنيا فلا بد من يوم آخر بعد الموت ، وهو يوم القيامة أو اليوم الآخر أو يوم الساعة .

هذا اليوم يؤمن به المسلم تصديقاً لما جاء في القرآن كلام الله ولأنه قد قام الدليل على حتمية وقوعه .

الركـــن السادس
الإيمان بالقضاء والقـــدر

الركن السادس من أركان العقيدة الإسلامية الإيمان بالقضاء والقدر والرضا بهما والتسليم لهما ومعنى القضاء والقدر أن الله عز وجل علم كل ما كان وما هو كائن وما سيكون إلى يوم القيامة بل وما بعد ذلك وكتب كل شيء عنده في لوح في السماء يسمى اللوح المحفوظ ، وإن كل شيء يحدث في الدنيا إنما هو بقدر الله أى بعلمه ومشيئته وإرادته ولا يكون في الكون إلا ما يشاء لا تخفي عليه خافيه .

فالله قدَّر وكتب وجود السماوات والأرض والإنس والجن والملائكة والمخلوقات جميعاً فكانت كما قدر الله وشاء .

والله قدَّر أشياء تحدث للناس وفق ما شاء الله ، فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن وأنه عدل في قضائه وقدره لا يظلم أحداً .

ومع قضائه وقدره إلا أنه أعطى للإنسان الحرية في كثير من الأمور ، وقدر عليه أشياء تحدث رغماً عنه فليس الإنسان مخيرُ فيها .

من ذلك أنه أعطى الإنسان حرية الإيمان بدين معين أو الكفر به وإن كان يأمر بالإيمان به سبحانه إلا أنه لم يجبره على هذه العقيدة كما أجبر الملائكة وإنما أعطاه الحرية، حرية الاختيار، أعطاه الحرية أن يتزوج أم لا، أن يأكل هذا أو ذاك ، أفعال كثيرة يفعلها الإنسان بحريته واختياره .

وأفعال أخرى كثيرة تحدث له دون إرادة من الإنسان فعلى سبيل المثال قلب الإنسان ينبض ولا يتوقف حتى عند النوم ، ولا يتوقف إلا عند الموت ، وليس للإنسان دخل في ذلك ، وأيضاً من قدر الله رغماً عن الإنسان المرض والموت

والصحة والعافية ، رغم عن الإنسان يعمل جهازه العصبي والتنفسي وهو نائم ، أشياء كثيرة تحدث للإنسان دون دخل منه وإنما يقدر من الله .

إذاً فمعنى القدر علم الله الأزلي المحيط بكل شيء ، وإرادته لما يحدث في الكون ، فلا يحدث شيء إلا بإرادته وعلمه ومشيئته .

والمسلم مؤمن بذلك ويقول عندما يصيبه مكروه أو أي شيء لم يستطع الحصول عليه لا يقول لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن يقول في نفس مطمئنة وراحة بال : قدَّر الله وما شاء فعل .

وأخيراً أقول : إذا كان المهندس المعماري يرسم على ورقة صغيرة رسماً لقصر من القصور ويحدد له زمن إنجازه ثم يعمل على إنجازه فلا تنتهي المدة التي حدها حتى يخرج من الورقة إلى حيز الوجود وطبق ما يرسم على الورقة بحيث لا ينقص شيء وإن قل ولا يزيد فكيف ينكر على الله أن يكون كتب مقادير العالم إلى قيام الساعة ثم لكمال قدرته وعلمه يخرج ذلك القدر طبق ما قدره في كميته وكيفيته وزمانه ومكانه مع العلم أن الله تعالى على كل شيء قدير .

والعقل لا يحيل شيئًا من شأن القضاء والقدر والمشيئة والحكمة والإرادة والتدبير [1] .

وصدق الله إذ يقول في القرآن الكريم ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** (٤٩) ﴾ .

[القمر : ٤٩] .

وقال : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** (٢٢) ﴾ [الحديد : ٢٢] .

---

(١) منهاج المسلم ، ص ٤٥ .



مبادئ الإسلام



مبادئ الإسلام

مقدمة في مبادئ الإسلام :

مبادئ الإسلام وأخلاق الإسلام كثيرة أكثر من أن أحصيها أو أتكلم عنها في هذه الورقات الصغيرة فالمبادئ والقيم في الإسلام تحتاج إلى مجلدات ولكن أتكلم باختصار ، فالإسلام يدعوا إلى كل خير من صدق وأمانة ووفاء بالوعد وإخلاص وبر وصداقة ومحبة ووفاء ورعاية للأسر وإعطاء كل ذي حق حقه وإعطاء الإنسان حقه و العدل ورعاية اليتامى وبر الوالدين والتكافل الإجتماعي وتربية الأولاد ، والعلم والقراءة ، وصلة الرحم والشورى والحرية والديمقراطية والمساواة والتسامح والعفو والكرم والجود وحسن الضيافة وغض البصر وكف الأذى وحق الجوار والقصد والاعتدال والإيثار والعمل على صالح الناس والدعوة إلى الخير ورعاية الفقراء والمساكين والمحتاجين والأرامل والضعفاء وتحرير العبيد باختصار أقول أن الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق ، صدق الله إذ يقول في القرآن الكريم : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾** ﴾ [النحل : ٩٠] .

ويقول النَّبيّ ﷺ : "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**" (١) .

وكما قلت فإن المبادئ والقيم والأخلاق في الإسلام كثيرة فقد آثرت أن أنتقي أهم هذه المبادىء والقيم وأعرض بعض التفاصيل عنها في القرآن والسُّنَّة. وبعض النماذج لها وهذه المباديء التي اخترت الحديث عنها هي :

[١] المقاصد العامة للشريعة الإسلامية .

[٢] حقوق الإنسان في الإسلام .

---

(١) سبق تخريجه .

[٣] نظام الأسرة .

[٤] رعاية اليتيم .

[٥] التكافل الإجتماعى .

[٦] العـدل .

[٧] الحـريـة .

[٨] المساواة .

[٩] الشورى .

[١٠] القصد والاعتدال (الوسطية) .

[١١] العلـم .

[١٢] العمل الدنيوي في الإسلام .

المقاصد العامة للتشريع الإسلامي
(الكليات الخمس)

من المباديء العامة والهامة في الإسلام حفظ ما يسمى بالكليات الخمس ، والكليات الخمس هي خمسة أشياء أمر الله وأمر النَّبيّ ﷺ بحفظها ورعايتها وجعل ذلك أمراً واجباً وهي (الدين والنفس والعقل والمال والنسب أو العرض). هذه الأمور الخمسة أمر الإسلام بحفظها ورعايتها وصيانتها عما يوقعها في الخطر.

أولاً : حفظ الدين :

الدين هو أهم شيء في حياة الإنسان وكما قلنا سابقاً هو كالهواء والماء لا يستطيع الإنسان أن يعيش بدونه لذلك أمر الإسلام بحفظة ورعايته لأن به صلاح الدنيا ، فالإنسان لا يعرض دينه للفتن ولا للشبهات ولا للشهوات بل يحفظ دينه من كل ما يسيئة ويهتم بمقدساته ، بل إن الإسلام يأمر برعاية الدين الآخر وعدم التعرض لأديان الآخرين بالسوء أو الإهانة حتى لا يتعرضوا لله عز وجل بالإهانة فقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، فالمؤمن يحفظ دينه ودين الآخرين ويحفظ أوامر الله ويفعلها ويحفظ نواهي الله فينتهي عنها .

ثانياً : حفظ النفس :

من الكليات الخمس حفظ النفس ، فيحفظ الإنسان نفسه مما يعرضها للخطر المادي والمعنوي ، ويحفظها مما يعرضها للهلاك ، الهلاك المادى فيحقق ما يضمن بقاءها في الاستمرار كتوفير المآكل والشراب اللذان يقيمانها من الداخل ، والملبس والمسكن اللذان يقيمانها من الخارج، وذلك ابتغاء المحافظة على حقها في الحياة الذى يعد أعظم الحقوق المادية قيمة وأقواها أثراً وبناءً على هذا الاعتبار

ليست الحياة حقاً للإنسان فحسب، بل واجبًا عليه[١]،ويحفظ الإنسان نفسه فلا يعرضها للموت ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

وليس للإنسان الحق في أن يقتل نفسه ، وحرم الإنسان قتل الغير وشرع القصاص حفاظاً على حياة الناس ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

ويحفظ الإنسان نفسه من الناحية المعنوية فيحفظ لها حقوقها كحق الابتكار والاكتشاف وكرامتها الإنسانية وجميع ما يطلق عليه اسم حقوق الإنسان من وجهة نظر الشرع وهذا الوجود المعنوى هو الذى جاهد الإسلام في تحقيقه للفرد وهو الغاية من وجودة المادي لأن وجود الإنسان وجوداً مادياً في هذا الكون من غير غاية معنوية يسعى لتحقيقها أو مثل عُليا ومباديء خالدة يستطيع اكتسابها،يجعله لا فرق بينة وبين سائر الكائنات التي تعيش على وجه البسيطة ، وهذا مناقض تماماً لمعنى الكرامة التي كرمه الله بها [٢] .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء ٧٠] .

ثالثاً : حفظ العقل :

العقل هو أساس إنسانية الإنسان، وقوام فطرته ومناط التكليف والمسئولية فيه وهو الحل الذى تنبجس منه حضارة الأمة الضامن لعزتها وشهادتها على الناس ، ومن هنا وجب على الأمة المحافظة على كل عنصر من عناصرها سليماً معافي في عقله لأنه يميزها بالخير والنفع من حيث هو جزء في نسيج نظامها إذا أختل ذلك الجزء أختل نظامها بوجه ما وبناء على هذا وجب على كل عنصر من عناصر الأمة أن يعلم أن حقه ليس خالصاً له بل للمجتمع حق فيه وهو حق الله في عقله ومن هنا وجب المحافظة عليه وعدم تعريضه للتلف صيانة لحق الله فيه[٣] .

ومن أمر الله بحفظ العقل أن حرم كل ما يذهب ذلك العقل ويجعل الإنسان

---

(١) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، ص ١٧٦ ، ط. دار الصفوة للطباعة والنشر .
(٢) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، ص ١٧٧ .
(٣) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، ص ١٠٨ .

يفقد وعيه وتركيزه فحرم الإسلام الخمر والمخدرات ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[المائدة : ٩٠] .

بل وحرم الإسلام كل ما أسكر سواء كان خمراً أو مخدرات أو أياً ما كان ما دام يذهب العقل، فإن الإسلام قد حرمه صيانة لذلك العقل يقول النبيّ ﷺ **« كل مُسكر حرام ، وما أُسكر كثيرة فقليلة حرام »** [١].

وكما حرم الإسلام كل ما يذهب العقل أمر بالعمل على تنميته وإثراءه بالفكر والعلم والمعرفة ففي عشرات الآيات في القرآن الكريم ، نجد قوله تعالى :

- ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [النحل : ١١] .
- ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [النحل : ١٢] .
- ﴿ **وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [آل عمران : ٧] .
- ﴿ **لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام : ٩٧] .
- ﴿ **لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ** ﴾ [الأنعام : ٩٨] .

في عشرات الآيات تدعوا إلى الفقه والعلم والتفكر والتعقل إعمالاً للعقل ، وأمر الإسلام بالعلم والمعرفة في شتى مجالات الحياة إثراءً لهذه النعمة العظيمة ألا وهي العقل بل وعاب على قوم من أهل النار لأنهم ألغو عقولهم ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾** ﴾ [الملك : ١٠] .

فالإسلام يدعوا إلى المحافظة على العقل ويجعله ليس فقط حقاً من حقوق الحياة بل واجب على الإنسان يأثم إن قصر فيه .

رابعاً : حفظ المال :

المال هو كل ما يملكه الإنسان سواء كان نقوداً أو عقاراً أو أرض أو طعاماً أو شراباً أو ملبساً ، فالإسلام يأمر بالمحافظة على المال لأن المال هو قوام حياة الإنسان وهو عصب الحياة فأمر الإسلام بصيانته لذلك حرم السرقة وجعل لها عقوبة

(١) الترمذي ، حديث رقم ١٨٦٥ ، والنسائي ج ٢ ، ص ٩٨ ، وأبو داود ، حديث رقم ٣٦٨١ .

شديدة رعاية وصيانة لأموال الناس ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة : ٣٨] ، وحرم الربا لان فيه استغلال لأموال الناس بالباطل وحرم الرشوة وحرم كل ما يسئ إلى استعمال المال في غير حق ، ومن المحافظة على المال أمر الإسلام بتنميته واستثماره في جميع أنواع المشاريع والإنتاج الذى يعود على الأمة بالخير ، ومن المحافظة على المال بالتوسط في الإنفاق دون تبذير وإسراف ودون بخل ، وأمر الإسلام بكل صورة يحافظ بها على المال بحق وعدل، ونهى عن كل صور إضاعة المال(**أن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**) [١]، [٢].

خامسا : حفظ النسب أو العرض :

من أهم الأمور التي أمر الإسلام بالمحافظة عليها حفظ النسب والعرض لان من حق كل إنسان أن يولد ولادة شريفة لا تلحق به العار ، وحقه أن يحيا حياة كريمة يعرف فيها أباه وأمه ويعيش في كنف أبيه وأمه ورعايتهما ، أمر الإسلام بحفظ الأنساب ومن ذلك حرم الإسلام الزنا واللواط وكل ما يكون سبباً في ضياع الأنساب لما يؤدى إلى اختلاط الأنساب والجناية على النسل وانحلال الأسر وتفكك الروابط وانتشار الأمراض وطغيان الشهوات وانهيار الأخلاق .

لأن كل طفل من حقه أن يولد وينسب لأبيه ويرفع رأسه ويفتخر بذلك ، لا أن يلقى في ملجأ لرعاية الأولاد غير الشرعيين أو اليتامى ، أو يلقى به على أبواب المساجد والطرقات ، وأعطاه الإسلام حق الحياة ، فلا تقوم المرأة بالإجهاض هروباً من هذه الفضيحة فتقتل هذه النفس البريئة بغير حق .

لذلك أمر الإسلام بحفظ الأنساب والأعراض فحرم الزنا كما قلنا وأمر بالزواج ودعى إليه وإلى تيسيره والمحافظة على الأسرة المسلمة الشريفة العزيزة الكريمة التي يسعد بها الأزواج ويفخر بها الأولاد .

---

(١) الحلال والحرام ، فضيلة الشيخ / يوسف القرضاوي ، ١٣٤ .
(٢) البخاري ، كتاب الأدب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر ٣/١٣٣ .

حقوق الإنسان في الإسلام

عندما نتكلم عن حقوق الإنسان في الإسلام فإننى أتكلم عن أي إنسان بغض النظر عن طبيعية دينه مسلم أو غير مسلم أو أى دين أخر وبغض النظر عن لونه أبيض أم أسود وبغض النظر عن جنسه أو لغته أو بلده أو أى شيء آخر ، لأن الناس جميعاً مهما اختلفت ديانتهم أو لغتهم أو جنسهم أو لونهم فهم واحد في نظر الإسلام .

كل الناس أبناء أدم ، قال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] كرم كل الناس،ويقول :﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين : ٤] كل إنسان .

فالإسلام لا يميز بين إنسان وآخر ولا فرق بين إنسان وآخر ، إنما بالعمل الصالح الذى يرضى الله تبارك وتعالى وهذا لا يكون إلا يوم القيامة ، أما في الدنيا فالناس جميعاً سواء في الحقوق والواجبات،والإسلام يرفض رفضاً قاطعاً كل صور التفرقة العنصرية ،وحقوق الإنسان في الإسلام سبقت كل المنظمات والمؤسسات الدولية فسبقت ميثاق الأمم المتحدة باربعة عشر قرناً من الزمان وسبقت الثورة الفرنسية وسبقت كل المؤسسات الداعية إلى حقوق الإنسان، في الإسلام أن حقوق الإنسان هى فرائض وضروريات شرعية وليست مجرد حقوق يمكن التنازل عنها في أى وقت حتى لو كان هذا التنازل طواعية واختياراً فالأمر ليس مجرد حقوق للإنسان وإنما هى فرائض إلهية وتكليفات شرعية ، وفي هذا تفرقة واضحة بين الإسلام وأى نظام آخر دعى إلى احترام حقوق الإنسان (١) .

والإسلام لم يجعل حقوق الإنسان في مجرد ميثاق عالمى يذكر الحق الأول ثم

---

(١) مجلة منبر الإسلام ، سنة ٦٢ ، عدد١١ ذي القعدة ١٤٢٤هـ . يناير ٢٠٠٤م ، في مقال بعنوان : فلسفة الإسلام في حقوق الإنسان . أ . د / محمود عزام .

الثاني وهكذا دون حديث عن لمن تكون هذه الحقوق ؟ ،وكيفية أداءها ؟، وعلى من تجب ؟ ،كما هو الحال في ميثاق الأمم المتحدة أنه مجرد ميثاق وشعارات لا تذكر آلية تطبيقه واحترامه ، مما جعل ملايين البشر الآن يعانون من ضياع حقوقهم ، وذلك في جميع أنحاء العالم يعيش ملايين البشر في ظلم كبير وفساد عظيم وتعذيب وحرمان وفقر وغيره .

ولكن الإسلام جعل حقوق الإنسان واجبات وفرائض وجعل لها ما يضمن تطبيقها على كل الناس فجعلها في صورة قوانين واجبة التنفيذ ، وجعل عقوبات رادعة لكل من يهدر حقوق الناس أو يتعدى عليها حتى يكون عبره لكل من تسول له نفسه الاعتداء على الناس بغير حق .

وأقول إن حقوق الإنسان في الإسلام كثيرة جداً فكل ما يضمن للإنسان حياة طيبة كريمة جعله الإسلام حقاً من حقوقه ولنأخذ على سيل المثال هذه الحقوق :

[١] حق الحياة :

أعطى الإسلام للإنسان حق الحياة فليس لأحد من الناس الحق أن يسلب الإنسان حياته ، حتى الجنين في بطن الأم ما دامت فيه حياة فإنه لا يجوز قتله في الإسلام .

وحرم الإسلام قتل النفس البشرية بغير حق وجعل من قتل نفساً واحدة كمن قتل الناس جميعاً ، يقول الله في القرآن الكريم : ﴿ **أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [المائدة : ٣٢] .

ولكي يضمن الحفاظ على حياة الناس ، جعل عقوبة رادعة لمن تُسول له نفسه قتل الأبرياء ، ألا وهي القتل ، فمن قتل إنساناً يُقتل ، قال الله تعالى : ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ** ﴾ [المائدة : ٤٥] .

ولم يجعل الإسلام قانون الإعدام قسوة على الناس وإنما ليحمى حياة الناس

فمن علم أنه إن قَتل قُتل لن يجرؤ أحد على قتل الأبرياء ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

[٢] حق الإنسان في العيش بأمان :

لم تكفل الشريعة الإسلامية للإنسان أن يعيش أى حياة ولكن أن يعيش حياة آمنة مطمئنة يأمن فيها الإنسان على حياته وعلى ماله وعلى عرضه وشرفه وعلى حقوقه يأمن فيها كل ما يملك .

فكما جعل عقوبة رادعة لمن يقتل الأبرياء جعل عقوبة رادعة لكل من يحاول سرقة أموال الناس حتى يأمن الناس على أموالهم ،وجعل كذلك عقوبة رادعة لكل من يتهم الناس في عرضهم أو شرفهم ،أو حتى يلمزهم بالكلام الذى يسئ إليهم .

يقول النَّبيّ ﷺ : **«إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا »** [(١)].

أما الذين يهددون أمن المجتمع ويفسدون سكينة أفراده ويلقون بالرعب في قلوب المواطنين فجزاؤهم القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل أو النفى من الأرض بالسجن ، أو الإبعاد إلى أماكن نائية بعيدة عن العمران [(٢)].

وذلك استنادا لقوله الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[المائدة:٣٣] .

جعل الإسلام هذه العقوبة الشديدة لهؤلاء الذين يفسدون في الأرض ويعتدون على أموال الناس وأعراضهم ليكون عبرة لمن يفكر أن يعتدي على

(١) البخاري ١٧٤١ كتاب الحج ، باب الخطبة أيام مني ١ / ٣٨٠ ، ومسلم ١٢١٨ ، كتاب الحج ، باب حجة النبي وخطبة رسول الله ﷺ ٨ /٣٣٨ ، والترمذي ٣٠٨٧ كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة التوبة ٥ / ٢٧٣ .

(٢) حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام ،القسم الأول ، أ . عبد الغني حسن عبد الوهاب ، ص ٢٧ .

أحد، ولما يعلم الناس هذه العقوبة الرادعة ، فلن يجرؤ إنسان أن يعتدي على الناس ، فيعيش الناس في أمن وأمان ، يأمنون على أنفسهم وأموالهم وأعرضهم .

[٣] حق الإنسان في الاعتقاد :

الإسلام يتيح للإنسان أن يعتقد ما يشاء وأن يعبد ما يشاء دون إضرار بأمن المجتمع المسلم ، فالإسلام يعرض أراءه ومبادئه وأفكاره ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ [الكهف : ٢٩] .

ومن أراد أن يستمر على دينه فليبق عليه لكن لا يتعرض للإسلام ولا للمسلمين،بسوء ولا يتعرض له أحـد من المسلمين ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)** ﴾ [الكافرون :٦] ، ولا يُكره الإسلام أحداً على الدخول في الدين ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، بل أمر بعدم التعرض لأديان الآخرين بالسب أو الشتم أو الإهانة ولا تهدم لهم دور عبادتهم فلا تهدم الكنائس ولا الصلبان ولا البيع ولا غيرها من دور العبادة لغير المسلمين في بلاد الإسلام بشرط ألا يعتدون على الإسلام والمسلمين ولا يساعدوا أحداً من الخارج في التعرض للإسلام والمسلمين .

[٤] حق الإنسان في التعليم :

الإسلام لا يجعل التعليم حقاً للإنسان فحسب بل يجعله فريضة واجبه عليه أن يتعلم وأن يكون كل إنسان على علم بفرع معين من العلوم حتى يكفي الأمة ، فلا تحتاج لأحد عندما يكون عندها اكتفاء ذاتي في هذه الناحية،فيجب على بعض المسلمين أن يتعلموا علم الطب،ويجب على البعض الآخر أن يتعلموا علم الهندسة والرياضات،وكذلك سائر العلوم (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)[١]، وإذا قصر المسلمون في علم من هذه العلوم تأثم الأمة كلها فإن العلوم فرض كفاية إذا قام به بعض المسلمين سقط الإثم عن الباقي .

---

(١) ابن ماجة ٢٢٤ ، المقدمة ، باب فضل الصلاة والحث على طلب العلم ١ / ٨٠ .

وما أكثر الآيات التي ترفع من شأن العلم والعلماء وسنتكلم عن ذلك بشيء من التفصيل عند الحديث عن الإسلام والعلم وتختم الجزئية التي نحن بصددها بقوله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

[٥] حق الإنسان في إبداء الرأى :

وقد كفل الإسلام حرية إبداء الرأى منذ أن بدأت الدعوة الإسلامية بل وجعل واجباً من واجبات المسلم أن يمارس حقه في إبداء الرأى والوقوف بشجاعة إلى جانب العدالة والمساواة وما يعتقد أنه الحق ومن الآيات القرآنية التي تدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، وكان النَّبيّ ﷺ يدعوا الناس إلى الجهر بإبداء أراءهم فيقول : « **لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ،وإن أساءوا أسأت ،ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم** » (١).

ولم يكتف الرسول ﷺ بهذه الدعوة العامة لحرية إبداء الرأى ولكنه كان يستحث أصحابه على ممارسة حرية الرأى معه فكان يستطلع آراءهم في الشئون العامة بل وفي المسائل الخاصة وكان غالباً ما يأخذ بآرائهم وإن خالفت رأيه (٢).

وسأذكر إن شاء الله نموذج لذلك عند الحديث عن مبدأ الشورى أو الديمقراطية في الإسلام .

[٦] حق العمل وتولي الوظائف العامة :

حق العمل في الإسلام مكفول للجميع دون تميز سوى الكفاءة إذ يوجب الإسلام اختيار الأصلح دون اعتبار آخر (٣).

ودعى الإسلام الناس إلى العمل ورغب فيه وذكر أن فيه أجراً كثيراً لمن عمل

---

(١) الترمذي ٢٠٠٧ ، كتاب البر والصلة ، باب الإحسان والعفو ، ٤ / ٣٦٤ .
(٢) حقوق الإنسان،القسم الأول٤١ ،عبد النبي حسن عبد الوهاب،ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(٣) المصدر السابق .

وتعب وأن الله يحب العامل المجتهد وأن العامل الذى يعمل وينفق على نفسه وأهله خيراً من الإنسان الذى يترك العمل ويتفرغ للعباده وينفق عليه أحد من أهله ، فالعمل في الإسلام له مكانته الخاصة .

وسأذكر أيضاً شيئاً من ذلك بالتفصيل عند الحديث عن مبدأ الإسلام والعمل.

هذه بعض الحقوق للإنسان في الإسلام تكلمت عنها وجئت ببعض الأمثلة والآيات لتوضيح الأمر وأكتفي بهذا على سبيل التفصيل وأذكر بعض الحقوق على سبيل الإجمال لأن موضع التفصيل يحتاج إلى بحث خاص وفيه عشرات الكتب في ذلك الموضوع فليرجع إليه .

من حقوق الإنسان في الإسلام على سبيل الإجمال ما يلى :

حق الرعاية الصحية والاجتماعية والبدنية ، حق الإنسان في القضاء أن يتلقى أحكاماً عادلة ، حق الإنسان في اللجوء السياسي ، حق الإنسان في الملكية التامة لكل ما يخصه ، حق الإنسان في الملكية الفكرية والإبداع ، حق الإنسان في الانتخاب واختيار الأصلح له أو الترشيح بنفسه ، حقوق الأقليات في الدول لهم كافة الحقوق ، حق الإنسان في الحرية والمساواة ، والحماية من تعسف السلطة معه وتعذيبه ، وحماية عرضة وسمعته والحصول على الكفاية من مقومات الحياة [١] .

حقوق المسنين واليتامى ، والضعفاء والفقراء ، والمساكين في حياة كريمة آمنة مطمئنة ، حق الإنسان في ممارسة الألعاب الرياضية ، حق الإنسان في الانتقال من بلد لبلد فلا يعرف الإسلام الحدود بين الدول ويعتبر العالم كله أمة واحدة ودولة واحدة ، حق الإنسان في البيع والشراء والتجارة والاقتصاد والزراعة وكل ما يزيد من أمور الاقتصاد ، حق الإنسان في الزواج والطلاق وتربية الأولاد ، حق الإنسان في السياحة والنزاهة والاستمتاع بالحياة .وهناك الكثير الذى يضمنه الإسلام للمسلم ولغير المسلم .

---

(١) مجلة الأزهر ، ص ٧٨ ، العدد ١١ سنة ٦٢ ، ذو القعدة ١٤٢٤هـ ، يناير ٢٠٠٤م .

التكافـــل الاجتماعي

من أهم وأعظم المبادىء الذى دعى إليها الإسلام مبدأ التكافل الإجتماعي ، والتكافل الإجتماعى معناه التعاون بين الناس على ما ينفعهم ويعينهم على الحياة في شتى المجالات .

والإسلام إذ يقر ويدعوا إلى هذا المبدأ العظيم فإنه يقر حقيقة لا مناص عنها وهى أن الناس مختلفين فيما بينهم وهذا الاختلاف سُنَّة كونية ، أودعها الله في كونه ، فإنه قد شاء الله عز وجل أن يتفاوت الناس في القدرات وأن يتباينوا في الحاجات فهم بين مستطيع وعاجز ، وغني وفقير ، وقوي وضعيف ، وصحيح وسقيم ، وبما أن الإنسان مدني بطبعه لا يستطيع أن يعيش وحده ، بل لا بد له من الاجتماع والتعاون مع غيره من الناس لذلك اقتضت حكمه الله تعالى أن يخلق الناس مجتمعين ليتعاونوا على شئون الحياة [١] .

ولذلك نجد أن الإسلام يدعوا إلى التعاون والتكافل لتستمر مسيرة الحياة فإن كل إنسان في حاجه إلى غيره ولا يتم ذلك إلا بالتعاون فالغنى يعين الفقير والقوى يعين الضعيف والعالم يعين الجاهل وكل إنسان عنده شيء يقدمه للآخرين وأشياء يحتاجها من الآخرين .

وإذا نظرنا إلى القرآن وإلى السُّنَّة النبوية نجد الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث التي تدعوا إلى التعاون والتكافل والتراحم فيما بين الناس ، يقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] .

وينهى عن الأثرة ويأمر بالإيثار فيقول تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ

---

(١) منبر الإسلام ص ٩٦ ، العدد ٥ لسنة ٦٥ ، جمادي الأولى ١٤٢٧ هـ ، يونيه ٢٠٠٦م .

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] ، ويقول النَّبيّ ﷺ داعياً المؤمنين إلى التعاون موضحاً أن المؤمن للمؤمن كجسد واحد لا يتخلى فيه عضو عن عضو فيقول ﷺ : **« المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً »** (١) .

ويقول ﷺ : **« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »** (٢) .

ويقول ﷺ : **« والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه »** (٣) .

بل إننا نجد أن الإسلام في بعض الأحيان يجعل التكافل والتعاون فرض يأثم من قصّر فيه ، فيفرض على الغنى جزءاً يخرجه من ماله وهو جزء يسير ولا يضر مال الغنى، وإنما ينتفع به الفقير وهو الزكاة المفروضة على الأغنياء ، وهى فريضة إسلامية لما فيها من تقوية روح التضامن وحفظ التوازن الاجتماعى وتدعيم أواصر الأخوة بين أفراد المجتمع ، فمن أداها طيب بها نفسه ، يفرج بها عن مكروب ويعين بها ضعيفاً ، كانت طهره لنفسه وتزكيه لماله (٤) .

وشرع كذلك الإسلام بعض الكفارات لبعض التقصير أو العجز عن أداء الواجب وهى عبارة عن مقدار معين من المال يخرج لصالح الفقراء والمساكين .

ومن أبرز المواقف الإسلامية الدالة على عظمة هذا المبدأ أو مدى حرص المسلمين على التزام أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ بتطبيق هذا المبدأ .

ما حدث في الهجرة النبوية المباركة، عندما أعلن الصحابة ﷺ عن إسلامهم في مكة المكرمة ، قام أهل مكة في وجههم ومنعوهم من تطبيق تعاليم

---

(١) البخاري ٦٠٢٦ ، كتاب الأدب ، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً (٣/ ١٤٣) ، مسلم ٢٥٨٥ كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ١٦/ ١٠٨ .

(٢) البخاري ٦٠١١ كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ٣/ ١٤٠ ، ومسلم ٢٨٦٥ ، كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ١٧/ ١٨٨ .

(٣) مسلم ٢٦٨٨ ، ٤٩٦٤، كتاب الزكاة والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ١٧/ ١٨٨، والترمذي ١٤٢٥، كتاب الحدود باب ما جاء في الستر على المسلم ٤/ ١٨٨ .

(٤) منبر الإسلام لسنة (٦٥) ، العدد ٥ ، جمادي الأولى ١٤٢٧هـ ، يونيه ٢٠٠٦ م ، ص ٩٦ .

الإسلام حتى أنهم عذبوهم وأذوهم وأخذوا أموالهم وقتلوا نساءهم وأطفالهم واستولوا على بيوتهم وديارهم مما اضطر معه المسلمون من الفرار والهجرة خوفاً على دينهم وأنفسهم فذهبوا إلى المدينة المنورة فاستقبلهم أهلها من الأنصار أعظم استقبال، وتعاونوا معهم حتى وصل الأمر أن الرجل من أهل المدينة من الأنصار يقول للمهاجر الفقير الذي ترك ماله ودياره في مكة يقول له الأنصارى : هذا مالي لك نصفه ولي نصفه ، وهذا بيتي اختر ما شئت منه ، فهو لك بل وصل الأمر أن قال الأنصاري للمهاجري وهؤلاء زوجاتي ، وكان التعدد موجود آنذاك فاختر أيهما تشاء ، أطلقها ثم تقضي عدتها ، ثم تزوجها أنت .

هل شهد العالم تعاوناً وتكافلاً وإيثاراً أفضل من ذلك ، بل كان النَّبيّ ﷺ إذا رأى فقيراً محتاجاً فإنه يدعوا الناس إلى التصدق عليه فيأتي هذا بمال وهذا بكساء وهذا بطعام حتى يأخذ الفقير ما يسد حاجته والمواقف كثيرة في التاريخ الإسلامي ، نكتفي بما مضى في حادث الهجرة .

إذاً فالإسلام يدعوا إلى التعاون والتكافل فيما بين الناس لتستمر الحياة ويعمر الكون ولو امتنع الناس عن التعاون فيما بينهم لفسدت الأرض .

الأســـرة في الإسلام

من الأمور الهامة التي حرص عليها الإسلام واهتم بها اهتماماً كبيراً هى نظام الأسرة ، لأن الأسرة هى المجتمع الصغير الذى إذا صلح صلحت به الأمة وإذا فسد فسدت به الأمة لذلك اهتم الإسلام بالأسرة وجعل لها نظاماً وقوانين وشرائع والأسرة في الإسلام هى أهم دعائم المجتمع لأنها الحلقة الأولى واللبنة الجوهرية من حلقات بناءه ولا يمكن التلاحم والتشابك بين أفراد المجتمع إلا إذا تلاحمت حلقاته من الأسر على أسس منهجية قويمة ، فإذا وجد ذلك فحينئذ تسير الحياة الإنسانية في مسارها الصحيح الذى يضمن لها الأمن والاستقرار والراحة والهدوء والطمأنينة [١] .

والأسرة عبارة عن رجل وامرأة يتزوجان فتتكون أسرة صغيرة تنمو بوجود الأطفال ،واهتمام الإسلام بهذا النظام الكوني البديع يتركز في دعوته أولاً إلى الزواج والمسارعة إليه لمن استطاع من الشباب ثم كيف ينتقي الرجل المرأة الصالحة التي ستكون أماً لأبناءه والتي تنفعه وتنفع دينه ومجتمعه وبلده، وكذلك كيف تنتقى المرأة الزوج الصالح الذى سيكون أباً لأبناءها وينفع هذه المرأة والأسرة والمجتمع ككل ، ثم بين الإسلام أنه لكى تستمر الحياة الزوجية في أمن واستقرار هناك حقوق وواجبات لكل من الزوجين فعليه أن يرعى حقوق المرأة وعليها أن ترعى حقوق الزوج ، فإذا عرف كل منهما ما له وما عليه صارت سفينة الحياة إلى بر الأمان .

فإذا ما رزقا بأولاد جعل لهؤلاء الأولاد حقاً على آبائهم واجب على الآباء نحو الأبناء ، فإذا ما كبر الأبناء جعل للأباء حقوقاً عليهم .

يعرف كل فرد في هذه الأسرة كيف يكون فرداً صالحاً لأسرته ومجتمعة

(١) منبر الإسلام ، لسنة ٦٣ ، العدد جمادي الأولى ١٤٢٥ هـ ، يوليو ٢٠٠٤ ، ص ٧٦ .

ويعرف ما عليه من واجبات فيقوم بها وما له من حقوق فيأخذها ، بذلك تسعد الأسرة المسلمة إذا اتبعت هذه الأمور الشرعية الإسلامية التي فيها صلاح للحياة .

لكن وللأسف لما فرط فيه المسلمون تفككت الأسر وتقطعت الروابط والصلات فيما بينها وأصبحت العلاقة قائمة على المادة والمصلحة ، فانقطعت أواصر الصلة بين الأسر وانقطعت الأرحام حتى وصل الأمر إلى أن الابن أصبح يتنكر لأبيه بل ويعتدى عليه ، والأخ يأخذ حق أخيه ويعتدى عليه وهكذا بعدت الأسر عن دين الإسلام .

فلنرجع إلى الإسلام ولننظر كيف دعى إلى قيام هذه الأسر على نظام من الدين والأخلاق الكريمة ،ومع البداية الأولى لهذا الموضوع لنذكر الأدلة على هذا الكلام من القرآن والسُّنَّة ولنبدأ بدعوة الإسلام إلى الزواج والحث عليه .

أولاً : دعوة الإسلام إلى الزواج وتكوين الأسر :

الله تبارك وتعالى يريد إعمار الكون وزيادة النسل البشري لتستمر الحياة ، ولكن بصورة تضمن البشرية كرامتها وعفتها وطهارتها ، لذلك دعى إلى الزواج وتكوين الأسر الكريمة التي تصح بها الحياة ، ففي كثير من آيات القرآن دعوة صريحة إلى الزواج .

ويكفي أن تعلم أن الله عز وجل جعل الزواج آية من آياته الدالة على وحدانيته وقدرته ، وجعل فيه السكن والمودة والرحمة فيقول الله عز وجل : **﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾** [الروم : ٢١] .

ويدعو الله عز وجل إلى الزواج وعدم الخشية من الفقر فإن الغنى بيد الله والله يعين العبد الذى يريد أن يحصن نفسه ويكون أسرة فيقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم **﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) ﴾** [النور : ٣٢] .

ويقول النبيّ ﷺ **« ثلاثة حق على الله عونهم ، منهم الناكح يريد العفاف »** [١] .

ويقول ﷺ : **« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »** [٢]. ويقول **« تزوجوا الودود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة »** [٣] ، إذاً فهي دعوة واضحة صريحة إلى الزواج ولكي يكون زواجاً ناجحاً أرشد الرجل إلى اختيار المرأة الصالحة التي تفهم معنى الزواج ومعنى تكوين الأسرة وترعى حق الله وحق الزوج وتخرج للمجتمع أبناءً صالحين ينتفع بهم دينهم وأهلهم ومجتمعهم وبلدهم .

ولن تكون تلك المرأة إلا إذا كانت ذات دين تعرف ربها وسُنَّة نبيها ﷺ حتى وإن كانت فقيرة أو ليست على قدر من الجمال في الشكل ، لذلك يقول النَّبيّ ﷺ : **« تنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »** [٤] .

أي إذا أردت أسرة صالحة طيبة فعليك بالمرأة ذات الدين والخلق ، وكما أرشد الرجل إلى اختيار المرأة الصالحة كذلك ارشد المرأة إلى اختيار الرجل الصالح الذى يعرف ربه فيصون أسرته ويصون كرامتها ولا يعرضها للمهانة والإذلال ، فيقول النَّبيّ ﷺ : **« إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير »** [٥] .

---

(١) الترمذي حديث رقم ١٦٥٥ ، والنسائي جـ٦ / ٦١ .

(٢) البخاري ٥٠٦٦ ، كتاب النكاح ، باب من لم يستطع الباءة فليصم ٢ / ٥٥٦ ، ومسلم ١٤٠٠ كتاب النكاح ٩ / ٥٢٢ .

(٣) أبو داود ٢٠٥٠ ، كتاب النكاح ،باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء ٢ / ٢٢٦ ، والنسائي كتاب النكاح ، باب كراهية تززويج العقيم ٦ / ٦٦ .

(٤) البخاري ٥٠٩٠ كتب النكاح ، باب الأكفاء في الدين ٢ / ٥٦١ ، ومسلم ١٤٦٦ ، ٢٠٧ كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين ١٠ / ٤١ ، أبو داود كتاب النكاح ، باب ما يؤمن من تزويج ذات الدين ٢ / ٢٢٦ . والترمذي ١٠٨٦ ، ، كتاب النكاح ، باب ما جاء أن المرأة تُنكح على ثلاث خصال ٣ / ٣٨٧ .

(٥) الترمذي ١٠٨٥ ,١٠٨٤ ،كتاب النكاح باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلقه ٣ / ٣٨٤ .

ولأن الناس معرضون للخطأ والتقصير جعل الإسلام حقوقاً للزوجين لكل طرف على الآخر وأمره بأداء تلك الحقوق وعليه واجبات فليرعاها .

ثانياً : حقوق الزوجين :

(أ) حـــق الـــزوج :

شرع الإسلام كما قلنا حقاً للزوج على الزوجة وحقاً للزوجة على الزوج.

ولنبدأ أولاً بالحديث عن حقوق الزوج على زوجته :

(١) معرفة مكانة الزوج :

أن تعرف المرأة قدر زوجها ومكانته لأنه القيم عليها،قال الله تعالى: **﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾** [النساء : ٣٤] ، والقوامة ليست تشريف وإنما هي تكليف لأن الحياة الزوجية شركة لابد لها من رئيس ، ومن العبث أن تبقى أي شركة من غير رئاسة مسئولة والأسرة في المجتمع تشبه سفينة في محيط لابد لها من ربان حتى يسير بها إلى بر الأمان ولا شك أن للربان مساعد لكن على المساعد أن يلزم حده وأن يعرف قدره وألا يجعل رأسه برأس الربان وإلا غرقت السفينة [١] .

ولبيان هذا الحق يقول النَّبيّ ﷺ : **« لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد غير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها »** [٢] ، ويجعل رضا الرجل عن زوجته سبب من أسباب دخولها الجنة ، فيقول النَّبيّ ﷺ : **« أي امرأة ماتت وزوجها راضٍ عنها دخلت الجنة »** [٣] .

(٢) حق الطاعة في غير معصية الله :

فواجب على المرأة أن تطيع زوجها إذا طلب منها شيئاً لكن ليس فيه معصية

---

(١) منبر الإسلام ، ص ٤٨ ، العدد ٦ ، لسنة ٦٣ ، جمادي الآخرة ١٤٢٥هـ ، اغسطس ٢٠٠٤م .

(٢) الترمذي ١١٥٩ كتاب الرضاع باب ما جاء في حق الزوج على المرأة ٣ / ٤٥٦ ، وابو داود ٢١٤٠ ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة ٢ / ٢٥٠ ، وابن ماجة ١٨٥٢ ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة ١ / ٥٩٥.

(٣) المصدر السابق .

لله ، لأنه هو القائد كما قلنا وطاعة القائد واجبه ،وإذا أطاعت المرأة زوجها فقد أطاعت الله عز وجل، يقول النَّبيّ ﷺ : « **إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها أدخلي الجنة من أي أبوابها الثمانية شئت** » (١) .

(٣) عدم الإيذاء :

فلا تؤذى المرأة زوجها بلسانها ولا بيدها ، فلا تضربه ولا تشتمه ولا تطاول عليه بالكلام الذى يؤذيه ولا بأي صورة من صور الإيذاء .

(٤) صيانة عرضه وماله وشرفه :

فتحفظ له ماله ولا تنفقه بغير علمه ولا تنفق إلا بإذنه وتصون عرضه وشرفه فلا تخونه مع إنسان آخر ولو بمجرد النظرات أو الكلام بل تحفظ شرف زوجها ولا تدنسه ، يقول النَّبيّ ﷺ : « **والمرأة راعية في بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها** » (٢) .

(٥) عدم دخول أحد في بيته إلا بإذنه :

أى لا تدخل المرأة أحداً في بيت زوجها إلا بإذن زوجها خاصة إذا كان أحد لا يحبه زوجها .

(٦) أن ترضى باليسير ولا تحمله فوق طاقته :

فتراعى المرأة أحوال زوجها المادية ولا تطلب منه ما لا يستطيع فيضطر إلى الرشوة أو الاختلاس أو السرقة أو القرض بربا لتحقيق مطالبها فيعيش ذليلاً مقهوراً بسبب كثرة الديون والهموم .

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب للألباني ـ رحمه الله ـ .

(٢) البخاري ٥٢٠٠، كتاب النكاح ، باب المرأة راعية في بيت زوجها ٢ / ٥٨٥ ، ومسلم ١٨٢٩ كتاب الإمارة ، باب فضيلة الأمير العادل ، وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية ١٢ / ٥٢٨ ، والترمذي ١٧٠٥ كتاب الجهاد باب ما جاء في الإمام ٤ / ٢٠٨ ، وأبو داود ٢٩٢٩ ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية ٣ / ١٣٠ .

(٧) أن لا تفشي سره :

أن لا تخبر أحداً بأسرار زوجها وأسرار بيتها بل هي من الأمور الخاصة بها وبزوجها لا يطلع عليها أحد .

(ب) حق الزوجة :

قلت كما شرع الإسلام للزوج حقاً على زوجته شرع للمرأة حقوقاً على زوجها يجب عليه أن يصونها ويرعاها .

(١) حق الصداق :

عبارة عن مبلغ من المال يدفعه الرجل إلى زوجته عند عقد الزواج وهو حق خالص للمرأة ليس لأحد أن يأخذه منها إلا بإذنها وهو غير محدد في الإسلام ، بل هو حسب ما يتفق الزوج مع زوجته وبما ترضاه لنفسها قال الله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ ﴾ [النساء : ٤] ، أي أعطوا النساء مهورهن عن طيب النفس بما ترضاه المرأة وإن أذنت لك في أخذ شيء من المهر عن طيب نفس منها تأخذه هنيئا مريئًا وليس لأحد أن يجبرها على شيء .

(٢) اختيار الزوج :

فللمرأة كامل الحرية في اختيار الزوج الذى تريد ، وليس لأحد حتى أبوها أن يجبرها على الزواج من رجل معين ، كما جاءت امرأة إلى النَّبيّ ﷺ تشكو أن أباها زوجها بغير إذنها ، فرد النَّبيّ ﷺ نكاحها [١] .

(٣) حق العشرة بالمعروف :

أن يعاشرها بالمعروف وأن يكون رفيقاً بها ويرعى أحوالها ومصالحها وما ينفعها قال الله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ١٩] .

---

(١) البخاري ٦٩٤٥ كتاب الإكراه ، باب لا يجوز نكاح المكره ٣/٣٤٥ ، وأبو داود ٢١٠١ ، كتاب النكاح ، باب الثيب ٢/٢٣٩ ، والنسائي ٨/٨٦ كتاب النكاح ، باب الثيب يزوجها أبوها وهي كارهة ٦/٨٦ .

ويقول النَّبيّ ﷺ : «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» [١] .

ويقول ﷺ : «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم**» [٢] ، فيكون طلق الوجه معها ولا يرفع صوته عليها بغير سبب وأن يعينها في شئون بيتهما وإذا استطاع أن يحضر لها خادمة فليفعل ، ولا يؤنبها على أخطاءها بل يعفو عنها ويكرمها ويسامحها ، ويلاطفها ويلاعبها ويداعبها ويخفف عنها .

(٤) حق النفقة والكسوة :

من حق المرأة على زوجها أن يطعمها ويكسوها وينفق عليها ، ففي الإسلام ليست المرأة مسئولة عن النفقة لا على بيتها ولا نفسها حتى ولو كانت غنية وسيدة أعمال ، بل على الرجل أن ينفق عليها ويكسوها ويحضر لها طعامها ويعد لها مسكنها ويحضر لها ما تحتاجه لصالح بيتها ونفسها قال الله تعالى : ﴿ **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

وقال ﷺ : «**أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت**» [٣] .

(٥) حق العفة :

أي حق العلاقة الجنسية ، فهي حق للمرأة على زوجها أن يعاشرها جنسياً وقتما تريد حتى يعفها ويحفظ فرجها ولا تضطر إلى خيانته مع غيره ويجعل له في ذلك أجر ولها كذلك ، فيقول النَّبيّ ﷺ : «**وفي بضع أحدكم صدقة**» في جماعة لزوجته ، قالوا : يا رسول الله ، يأتي أحدنا شهوته ويكون له بها أجر ، قال : «**أرأيتم لو وضعها في حرام أليس عليه وزر**» ، قالوا : نعم ، قال : «**فإذاً وضعها في حلال كان له بها أجر**» [٤] .

---

(١) الترمذي كتاب الرضاع ، باب حق المرأة على زوجها ٣/٤٥٧ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) أبو داود ٢١٤٢ ، كتاب النكاح ، باب حق المرأة على زوجها ٢/٢٥١ ، وابن ماجة ١٨٥٠ ، كتاب النكاح ، باب حق المرأة على زوجها ١/٥٩٣ .
(٤) مسلم ١٠٠٦ ، كتاب الزكاة ، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه ٧/٧٥ .

(٦) يتحمل أذاها ويصبر عليها :

إذا أساءت إليه تحمل وصبر وعفا عنها وأكرمها ولاطفها ، قال النَّبيّ ﷺ : **«لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً رضى منها آخر»** [١] ،أن لا يفشي سرها ولا يذكر عيبها .

(٧) أن لا يفشي سرها ولا يذكر عيبها :

فلا يخبر أحداً بسر زوجته ولا يفشي أمرها ولا يخبر أحداً بذلك .

(٨) أن يستشيرها في الأمور التي تخص بيتها :

أمور البيت كما قلنا شركة بينهما فلا ينفرد بالقرارات بل يستشيرها ويأخذ رأيها وينظر معها في صالح البيت .

(٩) العدل بين الزوجات :

إذا تزوج الرجل أكثر من امرأة فعليه أن يعدل بينهما في السكن والكسوة والنفقة وفي كل أمر يستطيع فيه العدل ولا يميل إلى واحدة دون الاخرى ولا يفعل ما فيه صالح واحدة ويترك الأخرى لأن ذلك فيه ضرر لهن، قال النَّبيّ ﷺ : **« من تزوج امرأتين فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط »** [٢] .

هذه هى حقوق كل من الزوجين على الآخر فإذا ما عرف كل واحد منهم ما له وما عليه استقرت الأسرة وعاشت في أمن وأمان وإذا رزقا بأولاد وجب عليهما صيانة الأولاد وتربيتهم تربية صالحة لينفع الأولاد أنفسهم ووالديهم ومجتمعهم وبلدهم وتنتفع بهم الحياة .

لذلك جعل لهم حقوقاً على الآباء فإذا ما أدى الأب رسالته وأعطى الأبناء حقوقهم ، فإذا كبر الأبناء جعل الإسلام حقاً للآباء على أبناءهم ، ولنبدأ أولاً بحق الأبناء على الآباء .

---

(١) مسلم ١٤٦٩، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ١٠ / ٤٧ ، الترمذي كتاب النكاح .
(٢) الترمذي ١١٤١ ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر ٣ / ٤٣٧ ، وابن ماجة ١٩٦٩ ، كتاب النكاح ، باب القسمة بين النساء ١ / ٦٣٣ .

[أ] حقوق الأبناء في الإسلام :

من الأهداف الأساسية للزواج إنجاب الأولاد ، والأولاد من الأركان الأساسية في الأسرة التي يشتاق إليها الرجل والمرأة ، ولكي يحقق الأولاد الهدف المنشود منهم وهو صلاح أنفسهم أولاً ، وصلاح أهليهم ثانياً ، ثم صلاح مجتمعهم وبلدهم جعل الله تربيتهم تربية صحيحة حق واجب على الأباء، ولأن الأب يجني ثمار ولده فإن كان ولد صالح عاد خيره على أبيه وإن كان سيئاً عاد شره على أبيه، وإن أعطاه أبوه حقه في صغره أعطاه الولد حقه في كبره وإن ضيعه أبوه صغيراً ضيع الولد أباه كبيراً .

وكم نسمع ونشاهد في مجتمعانا وخاصة في الغرب من تفكك للأسر وعقوق من الأبناء لآباءهم ، فالولد يسكن بجوار أبيه وتمر الأيام والشهور ولم ير أباه ، بل ويكون الأب في أشد الحاجة والولد ولا كأنه يعرفه ، حتى انتشرت دار المسنين ورعاية الكبار ، بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلى ضرب الأولاد لآبائهم وأمهاتهم ، بل وفي بعض الأحيان وصل الأمر إلى القتل .

وكل ذلك لأن الأب ضيع حق الأبناء ولم يعرف كيف يربي ولده تربية صالحة ، أما الإسلام فقد أهتم بتربية الأولاد اهتماماً كبيراً وجعل لهم حقوق إن أديناها أخرجنا أجيالاً صالحة وإن تركناها فلنتحمل نتيجة ما قدمت أيدينا ، وموضوع تربية الأبناء في الإسلام وحقوق الأبناء في الإسلام كثيرة تحتاج إلى بحث مستقل لكن أختصر الكلام فيما يلى :

(١) حق اختيار الأم والأب :

أول حق وأعظمه أن يعرف الرجل عندما يقبل على الزواج أن هذه المرأة ستكون أماً لأولاده وليست مجرد زوجه فليحسن اختيار أم أولاده، الأم التي تعرف كيف تربى أبناءها ، ولا يعير بها أبناؤها فمثلاً رجل يتزوج امرأة عاهرة فإن أبناؤها سيعيرون بها أو يتزوج امرأة معروفة بعيب معين يعيبها ويشينها بين الناس

فتكون النتيجة أثرها سيئ على الأولاد ، وكم من أولاد أصيبوا بعقد نفسيه بسبب أخلاق أمهاتهم .

فيجب على الزوج أن يحسن اختيار أم أولاده، وبالعكس على المرأة أن تعرف أن هذا الزوج ليس مجرد زوج بل هو أب لأولادها فلا تقبل بأي رجل يتقدم لزواجها بل تتحرى الأب الصالح الذى لا يعير به أولاده ، فمن تتزوج لصاً أو مرتشياً أو إنساناً فاسقاً فإن أبناؤه سيعيرون به ، إذن فلابد أن يراعي كل منهما حسن الاختيار للأب والأم وهذا أول حقوق للأبناء .

(٢) حق اختيار الاسم الحسن :

إذا ولد الطفل فإن على والديه أن يختارا له أجمل الأسماء التي لا يعاب بها ولا ينابز الأولاد ذلك الولد باسمه بل عليهم اختيار أفضل الأسماء وكان من سُنَّة النَّبيّ ﷺ اختيار الاسم الحسن وتغير الاسم السيئ إلى اسم حسن .

(٣) العقيقة :

أن يقوم الوالد بعمل حفل كبير لاستقبال هذا المولود الجديد وهو ما يسمى في الإسلام بالعقيقة وهى عبارة عن شاتين أو شاه تذبح عن المولود في يوم سابعة ابتهاجاً بمقدمه .

(٤) حق الرضاع :

من حقوق الطفل على أبويه الرضاع من الأم حتى يتغذى الولد ومن الثابت علمياً أن الطفل يستفيد من لبن أمه أكثر من أي شىء غيره وإن أبت المرأة أن ترضع وليدها إلا بأجر فالزوج ملزم بدفع الأجر لها .

(٥) حق التربية والرعاية :

أى رعاية الولد جسمانياً وعقلياً وتربيته وتعليمه ما ينفعه من أمور الدين والدنيا وتعليمه الأخلاق الحسنة وتعليمه العقيدة الصحيحة وربطة دائماً بالله عز وجل حتى ينشأ معلقاً قلبه بالله تبارك وتعالى .

وتعليمه أمور العبادات من الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وتعويده على

ذلك من صغره ، وتحفيظه القرآن الكريم فإن تعلم القرآن الكريم كان في ميزان حسنات أبيه وأمه ويأخذ والداه أجر تعليمه القرآن من الله عز وجل يوم القيامة .

(٦) تعليمه حق والديه :

من الحقوق تعليم الولد حق والديه ووجوب برهما وصيانتهما وقراءة آيات القرآن التي تغذى فكره وعقله بحقوق الوالدين وبر الوالدين وطاعتهما .

(٧) حق ممارسة الرياضة :

تعليمه حق ممارسة الرياضة البدنية ، والإسلام حريص على ذلك أشد الحرص فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل " .

(٨) حق الحوار واتخاذ القرار :

تعليم الولد كيفية الحوار مع الآخرين والاعتماد على نفسه وأخذ القرار حتى يستطيع أن يتحمل مسئولية نفسه .

(٩) حق الصحبة :

أن يكون الأب صاحباً وصديقاً لولده وتكون الأم صاحبه وصديقه لبنتها حتى يشارك الولد أباه في أسراره ويتعلم من خبرة أبيه الحق والباطل ، وقد أمر الإسلام أن يلاعب الأب ولده سبع سنين ويعلمه ويؤدبه سبع سنين ويصاحبه سبع سنين ثم يترك له الحبل على الغارب .

وأخيراً أقول : أن حقوق الأبناء كثيرة يجب على الآباء أن يراعوها حتى يكبر الأبناء وهم يعلمون حق آباءهم وكيف يبر الولد أباه وأمه .

[ب] حقوق الوالدين :

قلنا إذا أعطى الآباء حقوق الأبناء جنى الآباء ثمرة ما زرعوا في أبناءهم ، فيرعى الأبناء آباءهم خاصة عند الكبر، والإسلام يهتم اهتماماً كبيراً جداً بموضوع بر الوالدين وحقوق الوالدين في عشرات الآيات والأحاديث النبوية ، ويكفي أن

تعلم أن الله قد أمر بعبادته وربط بين عبادته وبر الوالدين ، ففي كثير من الآيات يقول تبارك وتعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [النساء :٣٦] ، ويقول تبارك وتعالى : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)** ﴾ [الإسراء : ٢٣-٢٤] .

وقال تعالى ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

ويقول سبحانه : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ [لقمان : ١٤-١٥] .

ويقول النَّبيّ ﷺ عندما سُئل عن أحق الناس بحسن صحابة الإنسان ، قال : «**أمك**» ، قال ثم من ؟، قال : «**أمك**» ، قال ثم من ؟ ، قال : «**أمك**» ، قال ثم من؟ ، قال : «**أمك**» ، قال ثم من ؟ ، قال : «**أبوك** » ، " [١] .

يقول رسول الله ﷺ : « **لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه** » [٢] ، ويقول النَّبيّ ﷺ : « **رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف ، من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة** » [٣] .

---

(١) البخاري ٥٩٧١ ، كتاب الأدب ، باب من أحق الناس بحُسن الصُّحبة ٣/ ١٣٢ ، ومسلم ٢٥٤٨ كتاب البر والصلة والآداب ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ١٦ / ٨٠ ، والترمذي ١٨٩٧، كتاب البر والصلة ، باب بر الوالدين ٤ / ٣٠٩ .

(٢) مسلم ١٥١٠ كتاب العتق ، باب فضل عتق الوالد ١٠ / ١١٨ ، وأبو داود ٥١٧٣ ، كتاب الأدب ، باب بر الوالدين ٤ / ٣٣٧ ، والترمذي ١٩٠٦ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حق الوالدين ٤/ ٣١٥ .

(٣) مسلم ٢٥٥١ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فصصل صلة أصدقاء الأب والأم ١٦/ ٨٥ ، والترمذي ٣٥٤٥ ، كتاب الدعوات ، باب قول رسول الله ﷺ رغم أنف رجل ٥/ ٥٥٠ .

وجاء رجل إلى النَّبيّ ﷺ فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله ، فقال : «**هل من أبويك أحد حي ؟** قال : نعم ، بل كلاهما ، قال : **ففيهما جاهد** » [١] .

بل ولو كان الأب والأم على غير الإسلام وجب برهما وصلتهما ، جاءت أسماء بنت أبى بكر إلى رسول الله ﷺ وقالت : يا رسول الله ، إن أمي قد قدمت عليّ وهي مشركة ، أفأصل أمي ؟، قال : « **نعم صلى أمك** » [٢] .

والآيات والأحاديث في الموضوع كثيرة جداً وحقوق الآباء كثيرة جداً منها :

(١) حُسن المعاشرة :

أن يعاشر الولد والديه بحسن وأدب وألا يرفع صوته عليهما بل ولا يقل لهما كلمة تسيىء إليهما ولو كلمة أف .

(٢) حق الطاعة :

أن يطيع الولد أباه في كل أمر يأمر به ما دام لا يأمر بمعصية الله ، فإذا ما عصى الولد أباه فإن عقابه شديد في الدنيا والآخرة .

(٣) حق النفقة

أن ينفق الولد على والديه إن كانا في حاجة إليه وليس معهما ما ينفقان به على أنفسهما وحقهما مقدم على الأبناء والزوجة .

(٤) حق رعاية مصالحهما :

فيرعى الولد مصالح أبيه الدينية والدنيوية وكل ما يحتاج إليه ولا يقصر في حق والديه .

---

(١) البخاري ٣٠٠٤ ، كتاب الجهاد والسير ، باب الجهاد بإذن الوالدين ٢ / ٦١ ، ومسلم ٢٥٤٩ كتاب البر والصلة ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ١٦ /١٨ .

(٢) البخاري ٣١٨٣، كتاب الجزية والمزارعة ، باب ١٨ ، جـ٢ / ١٠٥ ، ومسلم ١٠٠٣ كتاب الزكاة ، باب الإنفاق حتى على الأب والأم المشركين ٧ / ٧٤ ، وأبو داود ١٦٦٨ ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة على أهل الذمة ٢ / ١٣٠ .

(٥) حق الدعاء لهما :

من حقوق الآباء على أبناءهم الدعاء لهما والاستغفار لهما والصلاة عليهما وصلة رحمهما وإبرارهما والحج عنهما إن لم يحجا وحج هو عن نفسه أولاً ، فإن استطاع حج عن والديه .

إذاً فحق الآباء في الإسلام عظيم وله قدر كبير.

وفي النهاية أقول هذه هي الأسرة في الإسلام زوج وزوجه صالحين يعرف كل منهما حقوق الآخر فيؤديها وينجبان أطفالاً فيربوهم تربية صالحة ثم يؤدي الأبناء حق والديهم فتعيش الأسرة في أمن وأمان وسلم وسلام وهذا هو هدف الإسلام من إعمار الكون وبقاء النسل الإنساني ،والله أعلم .

الحرية

لقد كرم الله عز وجل الإنسان أعظم تكريم ومن تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان أن أعطاه الله حق الحرية والإرادة والاختيار .

وكلمة الحرية تعني أن يكون للإنسان الحق في أن يفعل ما يريد أو يمتنع عن عمل ما يريد دون إكراه من أحد .

ولكن الحرية بهذا المعنى لها شروط تحدها لأنه لا يصح أن يكون الإنسان حراً حرية كاملة مطلقة ، لأن الإنسان لو كان حراً حرية مطلقة لفسدت الدنيا ، لكن حرية الإنسان حرية محدودة مقيدة بشروط وهذه الشروط هي عدم الضرر والإضرار فلا يضر الإنسان نفسه ولا يضر الآخرين .

ومن شروط الحرية أيضاً عدم مخالفة الشريعة الإسلامية ، وهذا الشرط لمصلحة الإنسان نفسه لأن الشريعة لم تامر إلا بما فيه فائدة للإنسان ولم تنه إلا عن ما فيه ضرر على الإنسان، فإذا خالف الإنسان أمر الشريعة ضر بنفسه أو ضر الآخرين.

فلا يقبل عقل أن يكون الإنسان حراً حرية كاملة ولتوضيح ذلك المعنى نقول:

الإنسان حر يمشي في أي طريق شاء ، لكن مطالب باحترام قانون المرور وإشارات المرور لأنه لو خالف إشارة المرور لضر بنفسه وبالآخرين ، فلا يأتي أي إنسان عاقل ويقول لا : أنا حر أمشي كيفما أشاء ، بل لابد أن تحد هذه الحرية باحترام إشارات المرور .

كذلك الإنسان ليس من حقه أن يقتل نفسه أو يعتدي على غيره أو ماله أو عرضه ، فحريته مرتبطة ومحدودة بعدم الاعتداء على حرية الآخرين .

والحرية بهذا المعنى وهذه الشروط دعى إليها الإسلام وحرص عليها وجعلها حقاً للإنسان لا يجوز التنازل عنه .

والحرية بهذا المعنى مرتبطة بحياة الإنسان وهي حاجة ملحة له فإذا فقد

الإنسان حريته فقد ذاته [١] .

ولكن هذه الحرية كما قلت ليست حرية مطلقة بل حرية مقيدة محدودة مرتبطة بالمسئولية ، والمسئولية لا تقوم إلا على أساس من الحرية فبدون الحرية لا مسئولية ولا تكليف بشيء ولا ثواب ولا عقاب على شيء على الإطلاق [٢] .

لذلك نجد أن الإسلام اهتم بموضوع حرية الإنسان في الاختيار ما يريد وفي فعل ما يريد وترك ما يريد اهتماماً عظيماً ضمن هذه الشروط السابقة التي تحدثنا عنها والتي تقيد الحرية .

وأعطى الإسلام الحرية في جميع المجالات وأهمها على الإطلاق مجال حرية الاعتقاد فأعطى الإسلام حق حرية الاعتقاد وحرية العمل والتعليم والزواج والانتقال من بلد إلى أخر والطعام والشراب والملابس حرية في كافة المجالات بالشروط السابقة عدم الضرر أو مخالفة الشريعة .

ولتنظر إلى الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ومواقف الصحابة والمسلمين من بعد النبي واهتمامهم بموضوع الحرية :

أولاً بالنسبة لحرية الاعتقاد :

فقد أعطى الإسلام الإنسان حرية الاعتقاد فليعتقد كل إنسان ما يشاء وعلى المسلم أن يبين وجه الحق والدليل على كلامه بالحكمة والموعظة الحسنة وعلى الإنسان أن يختار بكامل حريته دون إكراه من أحد يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم : ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ [الكهف : ٢٩]

وقوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)** ﴾ [يونس : ٩٩] .

---

(١) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ٢١٠ .

(٢) الدين والحضارة ، د. حمدي زقزوق ، ص ٧٣ بتصرف .

ولذلك لا يجوز في الإسلام إكراه أحد علي الدخول في الإسلام بالقوة والإجبار ومن دخل في الإسلام مكرهاً فلا يصح إسلامه ولا يحكم عليه بأنه مسلم ، ومن أعلن الإسلام وأضمر الكفر بالإسلام يعد في نظر الإسلام منافق لا يصح إسلامه ، إذ لكى يصح إسلام المسلم يجب أن يكون عن اقتناع تام دون خوف أو إكراه أو شك ،وبناءً على ذلك أجاز الإسلام للذمي مباشرة شعائره الدينية ويؤكد هذا ما جاء في المعاهدة التي عقدها خالد بن الوليد مع أهل عانات ولهم أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاءوا من ليل أو نهار ،وأن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم،والمقصود من هذا الكلام هو عدم المساس بحرية اختيارهم ، فالشريعة بهذا لا توفر الحرية للمسلمين فحسب ؛ بل الذين يعيشون تحت مظلة الإسلام وهم غير مسلمين يتمتعون بنفس [١] .

لقد تمتع النصارى بقسط وافر من الحرية والتسامح من قبل الفاتحين المسلمين فقد سمحوا لهم بالممارسة الحرة لدينهم ولم يعانوا بأي شكل من أشكال الاضطهاد الرسمي أو القانوني [٢] .

يقول سير توماس أرنولد "وقد جلب الفتح الإسلامي إلى هؤلاء القبط ذلك اللفظ الذي يطلق على المسيحيين اليعاقبة من مصر ، حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم ينعموا بها قبل ذلك بقرن من الزمان [٣] .

فالإسلام إذاً يدعو إلى حرية العقيدة وعدم الإكراه على الدخول في الإسلام أو أي دين غيره .

وكذلك أعطى الإسلام حق الإنسان في حرية الرأي والتعبير ، وأن يوضح رأيه وينشره على الناس لكن بالشروط السالفة الذكر .

بل إن من الحريات المؤكدة التي حرص عليها الإسلام بعد حرية الذوات

---

(١) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، ص ٢٠٩ ، بتصرف .
(٢) منبر الإسلام سنة ٦٠ ، العدد ٤ ، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ ، يوليو ٢٠٠١ ، ص ١٠٢ ، نقلاً عن خالد ابن عبد الكريم النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة .
(٣) التسامح في الإسلام ، ص ٢٠٠ مقالاً عن الدعوة إلى الإسلام لـ سير توماس أرنولد ص١٢٣–١٢٤ .

والأبدان حرية الآراء والأقوال لذلك نجد الشرع الكريم قد حكم قاعدة عظيمة هي قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ .

[آل عمران : ١٠٤] .

من الواضح جداً أن تحقيق هذه القاعدة لا يتم إلا بتحرير الأقوال والآراء من أي ضغط خارجي مهما كان مصدره ومهما كانت الظروف الداعية لذلك لأنه بدون هذا العمل سوف تنقلب الحقائق وتعكس الصور، وقد يصبح المنكر معروفاً والعكس صحيح وبناءً على ما سبق كانت حرية الرأي في الإسلام حقاً للفرد بالغ الأهمية والخطورة فلا يجوز أن ينقص منه ولا يجوز للفرد أن يتنازل عنه ومن ثم فهو ضروري لكيان الفرد [١] .

وخير مثال على حرية الإنسان في التعبير عن رأيه قول عمر بن الخطاب أمير المؤمنين عندما ولى عمرو بن العاص على مصر وتسابق بن عمرو مع رجل مصري قبطي فسبق القبطي ابن عمرو فضربه ابن عمرو وقال خذها وأنا بن الأكرمين ، فذهب الولد المصري مع أبيه إلى المدينة المنورة يشكو عمرو بن العاص وابنه لأمير المؤمنين عمر ، فأرسل عمر على الفور لعمرو بضرورة الحضور للمدينة المنورة ثم أمر الولد المصري بضرب ابن عمرو بن العاص كما ضربه ابن عمرو ثم توجه عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وقال كلمته المشهورة التي ما زالت تدوى في آذان الدنيا كلها (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) .

وكذلك أعطى الإسلام للإنسان حرية العمل فليعمل الإنسان في أي عمل شاء أي وقت شاء في كامل الحرية لكن بالشرطين المعروفين عدم الضرر وعدم مخالفة الشريعة .

كذلك أعطى حرية التعليم أن يتعلم ما يشاء ، وحرية الانتقال من بلد إلى بلد لأن الأرض جميعاً لله والإنسان عبد الله فهو حر في أن يمشي في أرض الله

(١) المقاصد العامة للشريعة ص ٢٠٧ .

حيثما شاء .

باختصار ، كفل الإسلام للإنسان كامل الحرية بشرطين هما عدم الضرر لنفسه أو غيره وعدم مخالفة الشريعة.

وكذلك من أقوى الأمثلة على حرية الرأي والتعبير في الإسلام ، عندما قام عمر بن الخطاب يخطب على المنبر ووضع حداً للمهر في الزواج مقداراً معيناً لا يتعداه الناس قامت امرأة وقالت لا يا عمر إن الله لم يحدد لذلك حداً وجعله بين الناس ، قال تعالى : ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً﴾ [النساء : ٢٠] .

فقال عمر وهو الحاكم أصابت امرأة وأخطأ عمر ، هل هناك حرية في التعبير أكثر من امرأة تقف في وجه الحاكم وهو يخطب وتقطع خطابه لتقول أنك مخطئ هل شهد التاريخ مثال لذلك من حرية الرأي والتعبير والأمثلة في الإسلام كثيرة جداً تكتفي منها بذلك .

العـــــدل

من أهم المبادىء التي قام عليها ودعا إليها الإسلام مبدأ العدل والحق لأنه لا تقوم دعائم الملك ولا ينتظم أمره ولا يلتئم شمله إلا بالعدل ، فبالعدل أسست الممالك وبالعدل قامت السماوات والأرض وبالعدل تسود المحبة والألفة بين الناس، ويعيش أفراد المجتمع في أمن واطمئنان[١] ، وبالعدل يأمن المظلوم أن يأخذ حقه ولا يطمع الظالم في أخذ أموال الناس .

والإسلام عندما يأمر بالعدل فإنه يأمر بالعدل في كل المجالات وفي كل الأحيان وفي كل الأوقات ومع كل الأشخاص فلا يفرق بين القريب والبعيد أو الغني والفقير ولا القوي ولا الضعيف ، ولا بين دين وآخر ولا بين جنس وآخر ولا لون وآخر فالناس جميعاً في الحق والعدل سواء ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمير المؤمنين لأحد ولاته مرشداً إياه عندما يحكم بين الناس (آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك) [٢]، فالعدل في الإسلام معناه إعطاء كل ذي حق حقه من غير تحيز أو محاباة أو تفرقة بين المستحقين أو تدخل لهوى النفس [٣] .

وإذا نظرنا إلى اهتمام الإسلام بقضية العدل والحق ، والأمر بإقامتهما نجد كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومواقف الصحابة والخلفاء والقضاء التي تبين مدى حرص الإسلام على هذا المبدأ العظيم وإقامته بين الناس على اختلاف ألوانهم وطبائعهم ومعتقداتهم .

---

(١) مجلة منبر الإسلام ص ١٠٥ ، السنة ٩٣ ، العدد ٦ ، جماد الآخر ١٤٢٥ هـ ، اغسطس ٢٠٠٤م.
(٢) مجلة الأزهر ص ٦٨٥ ، السنة ٧٢ ، الجزء الخامس جماد الاول ١٤٢٠هـ ، سبتمبر ١٩٩٩م .
(٣) منبر الإسلام السنة ٦٣ ، العدد ٥ ، جماد الأول ١٤٢٥ هـ ، يوليو ٢٠٠٤م .

فنجد أن كلمة العدل في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة ووردت كلمة (القسط) بمعنى العدل في ثلاث وعشرين آية في القرآن الكريم ، أما مادة الظلم فقد جاءت في القرآن الكريم مائة وسبع وثمانين مرة [١] .

وإذا استعرضنا آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن مادة العدل فنجد أنها إما أن تتحدث عن العدل على أنه أمر من الله لإقامته والنهي عن الظلم والبغي ، أو أمر عام بالعدل بين الناس وإما آيات تتحدث عن الأمر بقول العدل ولو كان على ذي قربى ، وإما آيات تنادي على أهل الإيمان وتأمرهم بإقامة العدل وشهادة الحق حتى ولو كان العدل والحق على حساب نفس المؤمن وليس في صالحة أو على حساب أهله وأقاربه ، وإما آيات تأمر بالعدل حتى مع الذين نكرههم أو نبغضهم أو حتى مع الأعداء ، وإما آيات تأمر بالعدل بين غير المسلمين إذا جاءوا ليحكم المسلمون بينهم، وإما عتاب شديد وتوجيه أنه في حالة الحكم على حسب الأدلة الظاهرة ، فإذا ثبت بطلان هذا الحكم وظهرت أدلة أخرى فالأمر بالتراجع عن الحكم الأول واتباع الحق وإن كان الحق مع غير المسلم ، ولتوضيح ذلك نقول :

هناك آيات عامة تأمر بالعدل بين الناس جميعاً وتحرم الظلم والبغي ، قال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** (٩٠) ﴾ [النحل : ٩٠] .

ويقول تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾ [النساء : ٥٨] ، فهذا أمر من الله بإقامة العدل وليس منحة ولا منة من الناس وإنما أمر واجب التنفيذ ، ثم يتدرج الأمر من الله بأن يأمر بقول الحق والعدل وشهادة الحق ولو كان الحق على حساب نفسك أو على والديك أو على أي من ذوي القربى ولا تخف أو تجامل الغني لغناه ،أو تأتي مع الفقير لفقره إن كان على غير حق ، بل قل الحق واحكم بالعدل مهما كانت

(١) نفس المصدر ص٩٢ .

درجة قرابة هذا الإنسان منك،ومهما كان حالته إذا كان ذا مال أو جاه أو سلطان، أو حتى لو كان فقيراً معدماً فأنت مطالب بالعدل والحق ، قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ** ﴾ [الأنعام : ١٥٢] .

وفي آية أخرى يبدأها بنداء الإيمان كي يقول يا أيها المؤمن ما دمت آمنت فاسمع لما أقول وافعل ما أمرك به ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)** ﴾ [النساء : ١٣٥] .

ثم يتدرج الأمر بالعدل حتى يأمرنا بالعدل مع أعدائنا ومع الذين نكرههم ونبغضهم وألا يكون كرهنا لهم سبب في عدم إقامة العدل معهم أو ظلمهم وهنا يبدأ الأمر بنداء الإيمان كي يقول يا من آمنت بالله رباً اسمع وافعل ما أمرك به ، يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة : ٨] .

ثم يتدرج الأمر إذا جاء أحد من غير المسلمين لتحكم بينهم فاحكم بالعدل ﴿ **فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [المائدة : ٤٢] .

ثم يتدرج الأمر بعد ذلك ليناقش موضوع هام وهو إذا حكم القاضي في قضية ما بناءً على أدلة وبراهين أمامه ثم تبين بعد ذلك خطأ هذا الحكم وأن العدل مع غيره فليرجع في ذلك الحكم الخطأ وليحكم بالعدل،وجاء هذا الأمر في خطاب شديد اللهجة للنبي ﷺ ، حينما سرق أحد المسلمين درعاً ووضعها عند يهودي وجاءوا بها أمام الناس من عند اليهودي ولم يعلم اليهودي كيف يبرىء نفسه والأدلة ضده فحكم عليه ، فإذا بخطاب شديد اللهجة ينزل من السماء من

الله تعالى لرسوله محمد ﷺ يأمره بإقامة الحق والعدل والتراجع في هذا الحكم وتبرئة اليهودي مما نُسب إليه ، فيقول الله تعالى في القرآن لرسوله محمد ﷺ : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) ﴾ [النساء : ١٠٥-١٠٦] .

بعد هذه الآيات الكثيرة من القرآن التي تأمر بإقامة العدل والحق بين الناس هل يعقل أن يأتي إنسان يقول إن الإسلام يظلم ، أو لا يهتم بالعدل ؟ ، أما عن الأحاديث النبوية الشريفة التي تعرضت لهذا الموضوع فإنها تأمر بالعدل وترفع من شأن كل من يحكم بالعدل وتعده بالأجر والثواب العظيم من الله في الآخرة ويقول النبي ﷺ : « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - أولهم الإمام العادل -** »[١] .

ويقول ﷺ : « **إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة** »[٢] .

ويأمر بالعدل حتى بين الزوجات لمن يتزوج بأكثر من امرأة فيقول : « **من تزوج امرأتين فمال إلى أحدهما جاء يوم القيامة وشقة ساقط** »[٣] . وكذلك يأمر بالعدل بين الأولاد حتى لا يبغض بعضهم بعضاً فيقول ﷺ : « **اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم** »[٤] .

وقد كان النبي ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة في إقامة الحق والعدل على نفسه أولاً ثم على الناس ، ذات يوم وهو يسوي الصفوف ورأى رجلاً متقدماً عن الصف فوكزه بعصا وقال : «**ارجع**»، فقال الرجل : أوجعتني يا رسول الله فما كان من النبي ﷺ إلا أن كشف بطنه وقال للرجل : «**تعالى واقتد مني**» ، أي خذ

(١) البخاري ١٤٢٣ كتاب الزكاة ، باب الصدقة باليمين ،١/٣١٣ ، ومسلم ١٠٣١ ، كتاب الزكاة ، باب سعة يُظلهم الله في ظله ٧/٩٩ .

(٢) مسلم ١٨٢٧ ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر ١٢/٥٢٧ ، والنسائي ، ٨/٢٢١ ، كتاب آداب القضاة ، باب فضل الحاكم العادل في حكمه ٨/٢٢١ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) البخاري ٢٥٨٧ ، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ١/٥٦٩ .

حقك منّي ، وأعلن قاعدة عامة في إقامة الحق والعدل ولو على نفسه وأهل بيته عندما سرقت امرأة من الأغنياء وأراد المسلمون أن، يشفعوا لها حتى لا تعاقب على جريمة السرقة فأرسلوا أحب الناس إلى رسول الله ﷺ ليشفع عنده ، فما كان من النّبي ﷺ إلا أن غضب غضباً شديداً وقال له : **«أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »** (١) . فتأثر الصحابة الكرام والخلفاء الراشدين بهذه الأخلاق العظيمة لرسول الله ﷺ فكانوا قمة في العدل مع كل الناس حتى مع غير المسلمين ، ومن ذلك لما مات رسول الله ﷺ ومات خليفته أبو بكر تولى الخلافة عمر بن الخطاب فقام فيها بالحق والعدل حتى شهد له الأعداء بالعدل والأمن فقال له أحدهم عندما رآه ينام تحت شجره في ثيابه المرقعة وبلا حرس قال له : حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر .

عمر هذا لما تولى الخلافة أعطى ولاية مصر للصحابي الجليل عمرو بن العاص فتسابق ابن عمرو بن العاص مع أحد المصرين فما كان من ابن عمرو إلا أن ضرب المصري وقال له : أتسبقني خذها وأنا ابن الأكرمين، فذهب الرجل إلى أمير المؤمنين يشكوا له فقال عمر بن الخطاب الخليفة العادل في خطاب سريع لعمرو ابن العاص إذا جاءك خطابي فتعال إليَّ أنت وابنك في الحال،وبالفعل يذهب عمرو بن العاص وابنه إلى أمير المؤمنين عمر فيحضر عمر الرجل المصري أمام عمرو ابن العاص وابنه ويسمع من المصري ومن ابن عمرو ثم يقول للمصري قم إليه واضربه كما ضربك ثم قال لعمرو كلمته المشهورة التي تدوى في آذان الدنيا كلها (متى استعبدتهم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) ، أي عدل بعد هذا

---

(١) البخاري ٦٧٨٨ ، كتاب الحدود ، باب كراهة الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ٣٠٦/٣ ، ومسلم ١٦٨٨ ،كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره ٣٣٥/١١ ، والترمذي ١١٣٠ ، ٤٣٧٣ ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود ٣٧/٤ .

العدل الذي جاء به الإسلام .

وهذا عمر بن عبد العزيز يتولى الخلافة في زمن صعب فيه فتن وحروب ومع ذلك أقام العدل والحق بين الناس حتى على نفسه ذات يوم يدخل بيته فيجد ولده يأكل قطعة تفاح فيضع عمر إصبعه في فم الولد ويخرج قطعة التفاح ويقول لا يأكل عمر شيئاً وفي المسلمين جائع وأمر أن تعطى الأموال للناس أولاً ثم ما تبقى فيأخذ منه أقل القليل حتى أقل من أي واحد في رعيته .

والنماذج في الإسلام كثيرة لشخصيات تحقق فيهم العدل وطبقوه وفقاً عملياً على أنفسهم وأهليهم، ولكن المقام الآن لا يكفي لذكر نماذج أكثر من ذلك.

والإسلام عندما يأمر بالعدل ويحكم به ينهى في الوقت نفسه عن الظلم والعدوان والاعتداء على الناس بغير حق ، وفي نهي الإسلام عن الظلم لا يكون مجرد نهي وفقط لأن الظالم أو من يدور بذهنه أن يظلم أو يعتدي على أحد فإنه لا يكفيه النهي وفقط ، لذلك نجد أن الإسلام شدد كثيراً على تحريم الظلم وأمر برد المظالم إلى أهلها، وتوعد الطاغية بالخزي في الدنيا والعذاب الأليم يوم القيامة في كثير من الآيات ، قال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) ﴾ [إبراهيم : ٤٢ ـ ٤٤] ، بل ويحذر القرآن من مجرد الركون إلى الطغاة أو معاونتهم ، فيقول الله تعالى : ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (١١٣) ﴾ [هود : ١١٣] .

ويذكر القرآن أمثلة لأقوام سابقين بغوا وطغوا وتجبروا فأهلكهم الله في الدنيا بالعذاب الشديد وتوعدهم بالعذاب الأليم في الآخرة،فبعد أن قص علينا خبرهم

ليعتبر الناس مثل أقوام عاد ولوط وقوم نوح ومدين وفرعون، ثم قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾ [هود : ١٠٢].

وفي آية أخرى يقول : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) ﴾ [النمل : ٥٢] .

ويتوعد الظالمين يوم القيامة بأن ليس لهم صديق ولا حميم ولا أحد يشفع لهم فيقول : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨] .

أما عن الأحاديث النبوية التي حرمت الظلم وأمرت برد المظالم إلى أهلها فإنها كثيرة جداً وفيها الوعيد الشديد لكن من تسول له نفسه الاعتداء على الناس وانتهاك حرماتهم ، يقول النبي محمد ﷺ : **« اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة »** [(١)] .

ويقول ﷺ : **« إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته »** [(٢)] .

ويقول ﷺ : **«من ظلم قيد شبر طوقه الله من سبع أراضين يوم القيامة »**[(٣)].

ويحذر من الظلم ولو كان المظلوم غير مسلم، ولكنه لا يحارب المسلمين فيقول : **«من ظلم معاهداً أو تنقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو خذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا خصمه يوم القيامة »** [(٤)] .

هذا لغير مسلم ولكنه غير محارب للمسلمين أما المحارب فسنتكلم عنه إن شاء الله بالتفصيل عند الحديث عن شبهة انتشار الإسلام بالسيف .

ويقول النبي ﷺ : **« وإنكم تختصمون إليَّ ، ولعل بعضكم يكون ألحن**

---

(١) مسلم ٢٥٧٨ ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ١٦ / ١٠٤ .

(٢) البخاري ٤٦٨٦ ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ ٢ / ٤٤١ ، ومسلم ٢٥٨٣ كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ١٦ / ١٠٦ .

(٣) البخاري ٢٤٥٣ ، كتاب المظالم والغصب ، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض ١ / ٥٣٧ ، ومسلم ١٦١٢ كتاب المساقاة والمزارعة ، باب تحريم الظلم وغصب الأرض ١١ / ٢٢٥ .

(٤) الترمذي ١٤٠٣ ، كتاب الديات ، باب ما جاء فيمن يقتل نفساً معاهدة ٤ / ٢٠ .

بحجته فأقضي له بنحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار » (١) .

ويحذر الناس من أن الإنسان الظالم لن تنفعه أعماله الصالحة يوم القيامة لأن الناس سيأخذون من حسناته وتعطى للمظلوم حتى يأخذ حقه ، فإن الحقوق يوم القيامة ليست بالأموال وإنما بالحسنات والسيئات .

فيقول ﷺ يوماً لأصحابه ﷺ : **«أتدرون من المفلس ؟»** قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فيقول: **« لا ، المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بالصلاة والزكاة والصيام ولكن يأتي وقد ظلم هذا وأخذ مال هذا أو سفك دم هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار »** (٢) .

إذا فالأمر خطير وقد أهتم به الإسلام اهتماماً عظيماً ، اهتمام بالعدل وتحريم الظلم بكافة صورة وأنواعه ، فهل يجرؤ أحد على أن يقول أن الإسلام لا يحقق العدل ولا الحق بعد كل هذه الآيات والأحاديث التي ذكرناها والنماذج التي صورنا لها إلا من كان في قلبه مرض .

فأقيموا الحق والعدل تحيا الأمم وضيعوا الحق والعدل تنهار الأمم .

---

(١) البخاري ٢٦٨٠، كتاب الشهادات ، باب من أقام البينة بعد اليمين ١ / ٥٩٢ ، ومسلم ١٧١٣، كتاب الأقضية ، باب حكم الحاكم لا يغير الباطن ١٢ / ٣٧١ .
(٢) مسلم ٢٥٨١ كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ١٦ / ١٠٥ .

الإسلام دين الرحمة

من المبادىء والقيم الهامة التي قام عليها وحرص عليها ودعا إليها الإسلام قيمة الرحمة .

والرحمة تعني الرأفة والرقة والعطف والحنان ، وهذه الرحمة دعى إليها الإسلام بين طوائف المجتمع كله ، لأن التراحم بين الناس فضيلة من أعظم الفضائل الإنسانية وأجلها قدراً وأبقاها أثراً وأوفرها عند الله جزاء وشكوراً بها ، يسعد المجتمع الإنساني ويسوده الأمن والاطمئنان ويعمه الرخاء والسلام ، فهي رقه في القلب وحنان في النفس يدفع الإنسان إلى التفضل والإحسان وإسداء المعروف وإغاثة الملهوف ومعاونة المحتاج والبر بالفقراء والمساكين ،والعطف على الأرامل ومسح دموع اليتامى بالإحسان إليهم ، وإدخال السرور على نفوسهم الحزينة ومعاونة الضعفاء وإطعام الجائع وإرواء الظمآن [١] .

والإسلام دين كله رحمة ، رحمة عامة ليست قاصرة على دين معين ولا مجتمع معين أو بلد معين أو جنس معين بل هي رحمة عامة تشمل جميع الخلق، العرب والعجم والإنس والجن والحيوان والنبات بل وحتى الجماد .

يكفي لتبين مدى اهتمام الإسلام بإلزام المسلمين بهذه الصفة العظيمة بأن تعلم أن الله عز وجل جعل من أسمائه الحسنى اسم الرحمن والرحيم وقد أوجب الله على نفسه الرحمة ولا يوجب عليه أحد شيئاً ، قال تعالى : ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الانعام :١٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .
[الأعراف : ١٥٦] .

فهذه الرحمة العامة من الله عز وجل ينعم في ظلها المؤمن والكافر ويمرح في

---

(١) قبسات من الهدي النبوي ، د. بسيوني الكومي ص ١٣٨ ، بتصرف ط. مكتبة الأزهر الحديثة .

رحابها البار والفاجر وتحلق بها الطيور في الأجواء وتسبح بها الحيتان في الماء وتشيد بها ملائكة الله في السماء : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر:٧] [(١)] .

بل إذا أردت أن تعرف هل الإسلام يدعو إلى الرحمة أم لا ؟ ، افتح المصحف (القرآن الكريم) واقرأ أول كلمة فيه ستجد قول الله تبارك وتعالى " بسم الله الرحمن الرحيم " فأول كلمة تقع عليها عينك عندما تفتح المصحف هي اسم الله الرحمن الرحيم .

وأول سورة في المصحف يتكرر فيها قول الله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) ﴾ [الفاتحة:١-٢] ،وتكررت كلمة الرحمة أكثر من مرة في القرآن الكريم وفي أحاديث النَّبي محمد ﷺ، بل إن الله جعل من صفات النَّبي محمد ﷺ الرأفة والرحمة ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾ .
[التوبة : ١٢٨] .

بل الأعجب من ذلك أن القرآن الكريم يحصر ويقصر رسالة محمد ﷺ في رحمة الناس جميعاً ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء:١٠٧] أي أن الله لم يرسل محمداً ﷺ إلا من أجل رحمة الناس جميعاً على مختلف ألوانهم وأجناسهم ويكفي ليعلم غير المؤمن أن محمداً رحمة له لأن الله أبقى عليه ولم يعذبه بسبب كفره وعناده، ورحمة للمؤمنين أن من يؤمن بمحمد ﷺ فان الله أعد له النعيم المقيم في جنه عرضها السماوات والأرض .

وهذه الرحمة التي جاء بها الإسلام كما قلت ليست خاصة بقوم معين بل تشمل كل الخلق فهي رحمة عامة وإذا نظرنا إلى كلام النَّبي محمد ﷺ ودعوته إلى التراحم والتعاطف فيما بين الناس علمنا عظمة هذا الدين وهذا النَّبيّ الكريم

(١) منبر الإسلام ، سنة ٦٥ ، عدد ٤ ، ربيع الآخر ١٤٢٧هـ ، مايو ٢٠٠٦م .

فمحمد ﷺ يدعو أولاً إلى رحمة عامة بين الناس فيقول ﷺ : **« الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »** (١) ، ارحموا من في الأرض وهي كلمة عامة لكل إنسان على اختلاف جنسه ولونه ودينه ، وعندما طلب منه بعض المسلمين أن يدعو على الكافرين قال ﷺ : **«أنا لم أبعث لعّاناً وإنما بعثت رحمة»** (٢)،وقال ﷺ : **« إنما أنا رحمة مهداه »** (٣) .

ثم بعد الرحمة العامة هناك رحمة خاصة فهناك دعوة لرحمة الوالدين الأم والأب يدعو الإسلام الأبناء إلى رحمة والديهم والعطف عليهما والشفقة بهما لأنهما سبب الوجود المباشر للإنسان وهما اللذان قدما للابن كل أنواع العطف والحنان فيذكر الإسلام الأبناء بضرورة العطف والرحمة على والديهم خاصة في الكبر يقول الله عز وجل : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)** ﴾ [الإسراء : ٢٣-٢٤] .

وكذلك يدعو الأباء إلى العطف والرحمة على الأبناء ذات يوم قبل النبي ﷺ أحد أبناءه وكان معه صاحب له يسمى الأقرع بن حابس فقال يا رسول الله أتقبّل ولدك ؟ ، قال النّبي ﷺ : **«نعم »**،قال الأقرع :لي عشرة من الأبناء ما قبلت واحداً منهم فقال النّبي ﷺ : **« أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك »** (٤) .

وكذلك يدعو الإسلام إلى رحمة عامة بين المؤمنين جميعاً فيقول النّبي ﷺ **«مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »** (٥) .

(١) مسند الإمام أحمد ، وأبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك .
(٢) مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ، ١٦/١١٥ رقم ٢٥٩٩ .
(٣) مصنف بن أبي شيبة .
(٤) البخاري ٥٩٩٧ ، ٥٩٩٨ ، كتاب الآداب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، ٣/١٣٧ .
(٥) البخاري ٦٠١١ ، كتاب الآداب ، باب رحمة الناس والبهائم ٣/١٤٠ .

كذلك يدعو الإسلام الجار أن يكون رحيماً بجاره يرعي حرماته وحقوقه ، يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ولا يعتدي عليه ولا يؤذيه بل تكون الرحمة والعطف صفتان متبادلتان فيما بينهما فيقول النَّبي ﷺ : **«والله لا يؤمن ،والله لا يؤمن»**، قيل من يا رسول الله ؟، قال : **« الذي لا يأمن جاره بوائقه »** [١] ، أي الذي يؤذي جاره ولا يامن جاره من شروره وآثامه .

يدعو الإسلام رحمة الزوج بزوجته ورحمة الزوجة بزوجها ويقر أن الله جعل بينهم مودة ورحمة وقال الله تعالى في القرآن الكريم **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾** [الروم : ٢١] .

بل يجعل الإسلام الرحمة حتى بالخادم فيقول ﷺ : **« إخوانكم خولكم أطعموهم مما طعمتم وأكسوهم مما كسيتم ولا تحملوهم من الأعمال ما لا يطيقون فإن حملتموهم فأعينوهم »** [٢] .

يجعل الإسلام رحمة بين المالك والمملوك ، الرئيس والمرءوس ، فعلى الرئيس أن يرحم من تحت طوله وقوته ولا يعتدي عليهم أو يظلمهم .

ذات يوم كان رجل يسمى أبو مسعود ، كان عنده مملوك له خادم فاخطأ الخادم فامسك أبو مسعود السوط وأخذ يضرب الخادم فرآه النَّبي ﷺ فقال : اعلم أبو مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام " يدعو الإسلام إلى الرحمة باليتيم الذي فقد أباه ويجعل المجتمع المسلم كله أباً لهذا الصغير الضعيف الذي مات أبوه ، فيقول النَّبي ﷺ : **« أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة ، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى »** [٣] .

---

(١) البخاري ٦٠١٦ ، كتاب الأدب ، باب إثم من لا يامن جاره بوائقه ٣ / ١٤١ .
(٢) مسلم ١٦٦١ ، كتاب الإيمان ، باب إطعام المملوك وكسوته ١ / ٢٩٢ .
(٣) البخاري ٦٠٠٥ ، الترمذي ١٩١٨ ، وأبو داود ٥٠١٥٠ . البخاري كتاب الأدب ، باب فضل من يعود يتيماً ، ٣ / ١٣٩ ، والترمذي ١٩١٨ كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة اليتيم وكفالته ، وأبو داود ٥٠١٥٠ ، كتاب الأدب ، باب من ضم اليتيم ٤ / ٣٤٠ .

بل يصل الأمر بالإسلام أن يدعو إلى رحمة الناس بالحيوان والعطف عليه ورعايته وعدم إيذاءه بلا هدف ولا غاية فيخبر النبي ﷺ : **« أن رجلاً غفر الله له ذنوبه وأدخله الجنة لأنه سقى كلباً يلهث من شدة العطش »** [١] .

وعلى العكس **« دخلت امرأة النار في هرة** (قطة صغيرة) **حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض »** [٢] .

بل يدعو الإسلام إلى الرحمة بالنبات فلا تحرق شجرة ولا تقطع ثمرة ، بل يدعو إلى غرس الأرض بالأشجار والزروع والثمار والنخيل والورود فيقول النبي ﷺ : **« ما من مسلم يغرس غرساً فيأكل منه إنسان أو حيوان أو طير إلا وكان له صدقه »** [٣] .

إذاً فالإسلام يدعو إلى رحمة عامة بين الناس في جميع المجالات بغض النظر عن اختلاف ألسنتهم وألوانهم وديانتهم وجنسهم ، ولو اتبع العالم أسلوب الإسلام ودعوته إلى التراحم لما وجدنا ما يحدث الآن في العالم من قسوة وقوة وشدة وحروب وقتل وتشريد وإرهاب ومجاعات وأوبئة أوجب الإسلام أن يرحم القوى الضعيف ، والغني الفقير ، والقادر العاجز ، والأرملة والمسكين ، والفقراء والضعفاء واليتامى وذوي الحاجات .

ينبغي علينا أن تعم الرحمة فيما بيننا لينعم الناس بالأمن والأمان ، والرخاء والسلام .

---

(١) البخاري ٦٠٠٩ ، البخاري كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ٢ / ١٤٠ .
(٢) البخاري ٣٣١٨ ، كتاب بدء الخلق ، باب خمس من الدواب فواسق يقتن في الحرم ٢ / ١٣٠ .
(٣) البخاري ٦٠١٢ ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ٢ / ١٤٠ .

المساواة

كان العالم شرقاً وغرباً يعيش في تفرقة عنصرية بغيضة وما زالت هناك أمم كثيرة الآن تعيش هذه العنصرية بالرغم من وجود الأمم المتحدة وشعارات ومواثيق الحرية والعدل والمواساة إلا أنها مجرد شعارات لا أساس لها في الواقع ومن أراد أن يتأكد من ذلك فلينظر نظرة واعية إلى العالم الآن دون تعصب لبني جنسه فسيجد العالم يعيش في أرذل أنواع العنصرية ، انظر إلى فلسطين وما يحدث لها على أيدي اليهود الصهاينة ، وانظر إلى الأقليات في جميع البلاد في الغرب الذي يزعم الحرية والديمقراطية والمساواة وفي الشرق كذلك ، انظر إلى ما يحدث في العراق على أيدي الاحتلال ، انظر لما يحدث في الشيشان وروسيا والهند وتايلاند وغيرها من البلاد لتجد أن شعارات الأمم المتحدة الحرية والديمقراطية والمساواة مجرد شعارات لا وجود لها إلا في أوراق الأمم المتحدة .

أما الواقع فهناك أمم تباد لأنها تختلف في الدين مع من لهم القوة والغلبة ، وشعوب تعيش تحت ظل الفقر الشديد لأن ألوانهم سوداء أو ليس لهم حقوق مثل البيض ، انظر إلى الفرق بين المعاملة في هذه الدول بين إنسان وإنسان على أساس دينه ، أو جنسه ، أو لونه، أو حالته المادية .

وفي الماضي خاصة في وقت ظهور الإسلام كان الأمر اشد سوءاً ، فكانت المجتمعات تنقسم إلى فرق وطوائف فرقة الملوك والحكام والأغنياء وهؤلاء لهم كل شيء ، وفرقة العبيد والفقراء والعمال وهؤلاء ليس لهم أي شيء وتفرقة حسب الجنس واللون ، حتى وصل الأمر ليس فقط إلى التفرقة عن طريق اللون وإنما تفرقة عنصرية بين الرجل والمرأة فالرجل له ما ليس للمرأة ، بل وصل الأمر في بعض البلاد أن صوروا الفقراء على أنهم مخلوقين من قدم الإله والأغنياء والملوك

مخلوقين من رأس الإله ، وليس لمن خلق من القدم حق مثل من خلق من الرأس ، بل وصل الأمر إلى أن جُعل الحكام آلهة تُعبد ، يعبدها الفقراء والعبيد .

باختصار كان العالم يعيش في أشد أنواع التفرقة العنصرية بين الناس على أساس جنسهم أو لونهم أو طبيعتهم المادية ، فجاء الإسلام في هذه الظروف ليس بمجرد شعارات بل جعله واقعًا عمليًا يشعر به الناس من مساواة بين جميع الناس الغني والفقير ، الأبيض والأسود والأحمر، الحاكم والمحكوم، المسلم وغير المسلم ، العربي والأعجمي فالكل في نظر الإسلام سواء لا فرق بين إنسان وإنسان إلا عن طريق نفعه وخيره وعمله الصالح فقط .

انظر معي أيها القارىء الكريم إلى القرآن الكريم وأقوال وأفعال النَّبي ﷺ وأفعال ومواقف أصحابه ﷺ لترى إلى أي مدى وصل الأمر في الإسلام لتحقيق المساواة بين الناس وجعلها واقعاً عملياً وليس مجرد مواثيق أو شعارات .

ففي القرآن يؤكد حقيقة لا ينكرها عاقل وهي أن الناس جميعاً سواء لا فرق بين إنسان وآخر فلا فرق بين الأبيض والأسود والأحمر ، أو العربي والعجمي ، أو الغني والفقير ، أو القوي والضعيف، أو الحاكم والمحكوم لأن الناس جميعاً سواء لأنهم خلقوا جميعاً من ذكر وأنثى فهم جميعاً أخوه ، من هذا الذكر وهذه الأنثى ، يقول الله في القرآن الكريم : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

ويقول النَّبي الكريم محمد ﷺ : « **كلكم بنوا آدم وآدم من تراب** » [١] .

ويقول النَّبي ﷺ : « **الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى** » [٢] .

---

(١) أبو داود ، الترمذي ٣٩٥٥ ، أبو داود كتاب الأدب ، باب في التفاخر بالاحساب ٤ / ٣٣٣ ، والترمذي كتاب المناقب ، باب فضل الشام واليمن ٥ / ٧٣٤ .

(٢) كنز العمال ، للمتقي الهندي رقم ٢٤٨٢٣ ، وعزاه لابن عساكر عن سهل وابن عدي في الكامل عن أنس ﷺ .

فالرسول ﷺ يسوي بين الناس جميعاً في الحقوق والواجبات وأن من يعمل خيراً يجزى به بغض النظر عن طبيعته ويسوي بين الناس في إقامة الحقوق بينهم وإقامة العدل والعقاب لمن أساء فقد سرقت امرأة من أشراف القوم وعلموا أنها لابد أن تعاقب ولكنها امرأة شريفة فذهبوا لرجل يسمى أسامة بن زيد رضي الله عنه ليشفع لها عند النَّبي ﷺ وقال : **«لأسامة أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ثم خطب خطبة قال فيها للناس جميعاً إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمداً سرقت لقطعت يدها »** [١] .

مساواة بين الغني والفقير في الحقوق والواجبات بل مساواة بين السادة والعبيد فلا يقول إنسان عبدي وأمتي بل يقول فتاي وفتاتي ، وقال لهم للسادة مساوياً بينهم وبين الخدم والعبيد إخوانكم خولكم لا تحملهم مالا يطيقون وأطعموهم مما طعمتم وأكسوهم مما لبستم ، ولا تسبه ولا تشتمه ولا تضربه ، مساواة في جميع الأمور ، ومن أسمى الأمور التي تبين حقيقة المساواة بين الناس في كل شيء هي الصلاة ، فإذا نظرت إلى الصلاة تجد المسلمين صفاً واحداً في هذا الصف لا يمتاز الغني عن الفقير أو الحاكم عن المحكوم فلا صفوف للسادة وصفوف للعبيد ،لا : بل في الصف الواحد تجد الحاكم بجوار المحكوم والسيد بجوار الخادم والغني بجوار الفقير والأبيض بجوار الأسود ، الكل في صف واحد لا تستطيع أن تفرق بين إنسان وآخر .

بل والأعظم في المساواة حتى من الصلاة الحج ، ففي الحج يأتي الناس جميعاً من بلاد عديدة من الشرق والغرب ، الأبيض والأسود والعربي والعجمي ومن كل جنس ولون وطبقه يقفون في مكان واحد في ملابس واحدة في وقت واحد ، يتوجهون إلى رب واحد فتجد المصري يجلس مع السوداني مع الماليزي مع

---

(١) سبق تخريجه .

الروسي مع الهندي ومع الأمريكي أو الأوروبي ، الكل يجلسون في شكل واحد لا تستطيع أن تفرق بين إنسان وآخر .

بل ومن عظمة الإسلام أن سوى بين بلال الأسود العبد الحبشي وأبي بكر السيد القرشي وبين صهيب الرومي وسلمان الفارسي ومصعب المترف و خباب العامل الحداد الفقير ، الكل في نظر الإسلام سواء .

ومما يؤكد حقيقة المساواة بين الناس في الإسلام عندما تولى أبو بكر الخلافة خطب خطبة سوى فيها بين الناس جميعاً فقال :« أيها الناس إني وليت عليكم ولست بأفضلكم ، أيها الناس إن القوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه والضعيف قوي عندي حتى آخذ الحق له » .

بل مساواة بين المسلم وغير المسلم حتى أمام القضاء فقد ذهب يهودي إلى الخليفة عمر بن الخطاب يشكو عليّ بن أبي طالب (ابن عم رسول الله وزوج ابنته) فلما مثل عليّ بن أبي طالب أمام الخليفة لاحظ أن الخليفة يخاطبة بكنية يا أبا الحسن " أي ينادي على عليّ وليس باسمه وإنما بكنيته تعظيماً له » ، ولم ينادي الخليفة اليهودي بلقبه ، وإنما ناداه باسمه فغضب عليّ جداً ، فلما انتهى القضاء وقال عمر لعليّ يا أبا الحسن أغضبت أن سويت بينك وبين خصمك في المقام ، قال عليّ لا ، بل غضبت لأنك فضلتني على خصمي اليهودي إذ ناديتني بكنيتي أبا الحسن وناديته باسمه " ، هل هناك مساواة بعد ذلك ؟!.

والمواقف كثيرة نكتفي منها بما سبق الذي يوضح أهمية المساواة بين الناس واهتمام الإسلام بهذا الأمر وإذا نظرنا فيما سبق نرى الإسلام هدم جميع الفوارق بتعاليمه وتشريعاته، فمبادئه تسوي في البر والإحسان والعدل بين الناس ما دامت العلاقة علاقة الود والمسالمة ، لا علاقة البغض والمشاحنة ، قال تعالى : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑧ ﴾ [الممتحنة : ٨] .

كما حرص الإسلام على تحرير الإنسان من الذل وتحرير الأمم والشعوب من الاستعمار وتحرير الرقيق من العبودية .

وهكذا جمع الإسلام كلمة المسلمين من سائر الأجناس حول راية الإسلام ، ثم جمع كلمة الناس جميعاً حول راية الإسلام لأنه دين الإخاء الإنساني والتعايش السلمي [١] ، ومن أراد التحقق من ذلك فليرجع إلى تاريخ الإسلام والفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب ليرى كيف عامل الإسلام غير المسلمين من المساواة بينهم وبين المسلمين وأن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

من ينظر إلى الواقع الذي يعيش فيه الناس الآن ليرى الفارق بينهم ويعلم عظمة الإسلام حين قال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[الحجرات : ١٣] .

« كلكم لآدم وآدم من تراب » [٢].

(١) منبر الإسلام سنة ٦٣ ، العدد ٦ ، جمادي الآخرة ١٤٢٥هـ ، أغسطس ٢٠٠٤ م ص ٩٨ .
(٢) سبق تخريجه .

التسامح في الإسلام

من أهم وأعظم المبادىء التي قام عليها ودعى إليه الإسلام مبدأ التسامح ، والتسامح معناه اليسر والسهولة والعفو والإحسان وكظم الغيظ والتعامل مع الناس بكل أدب واحترام وتقدير وصيانة الحقوق في معاملة الناس سواء كانوا على دين الإسلام أو على أي دين آخر، وخاصة أهل الكتاب اليهود والنصارى، فالإسلام فيه العديد من الصور المشرفة التي يظهر فيها تسامح المسلمين بما لم يعرف في أمة قبلهم في تعاملهم مع الناس .

ولن أتكلم عن سماحة الإسلام مع المسلمين لأن تسامح الإسلام مع المسلمين معروف لكل مسلم من تسامح في العقيدة وفي العبادات والمعاملات والتيسير في كل ذلك ، ويكفي لذلك قول الله تعالى : ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة :١٨٥] ،ولن أذكر أمثلة أو نماذج لتسامح الإسلام مع المسلمين ، حتى لا يقول غير المسلم أن هذا أمر طبيعي أن يتعامل الإسلام بالتسامح مع أتباعه ، ولكن سأتكلم بشيء من التفصيل عن تسامح الإسلام وعفوه وإحسانه وكريم أخلاقه مع غير المسلمين ، وسأذكر الآيات من القرآن والسُّنَّة التي تدل في شموخ على عظمة هذا الدين وتسامحه .

ولكن قبل أن أبدأ بذكر الأدلة من القرآن والسُّنَّة ومواقف النَّبي ﷺ مع غير المسلمين وموقف المسلمين على مر العصور، قبل الحديث عن كل ذلك أبدأ الحديث بشهادات غير المسلمين عن تسامح الإسلام وكما يقولون الحق ما شهدت به الأعداء :

(١) **يقول الكونت هنري دي كاسترو** " إن مبالغة المسلمين في الإحسان إلى خصومهم هي التي مهدت للثورة عليهم ، إذ أتاحت للمتعصبين أن يجمعوا

أمرهم على العصيان وأن يستغلوا الفرص للقضاء على الدولة التي منحتهم حق الحياة وحرية التدين ولو أن المسلمين عاملوا الأسبان مثل ما عامل المسيحيون الأمم الساكسونية لأخلدوا إلى الإسلام واستقروا عليه ."

إن الإسلام لم ينتشر بالعنف والقوة ، كما يزعم المغرضون ، بل أن الأقرب إلى الصواب أن يقال : إن مسالمة المسلمين ولين جانبهم ، كانا السبب في سقوط دولتهم (١).

هل بعد هذا التسامح تسامح ؟ ، يسر وتسامح أدى لسقوط دولة المسلمين .

(٢) **يقول السير توماس أرنولد** " إن المسيحيين أحرزوا ثروات ضخمة وتمتعوا بنجاح عظيم في عصور الإسلام الأولى،بفضل ما كفل الإسلام لهم من حرية العقيدة والملك حتى لقد كان منهم أصحاب نفوذ عظيم في قصور الخلفاء (٢).

ويقول أيضاً " لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام اعتنقته عن اختيار وإرادة حره وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في هذا الوقت بين جماعات المسلمين الشاهد على هذا التسامح (٣) .

(٣) **ذكر القس ميشون في كتابه** (سياحة دينية في الشرق) " إنه من الحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وحسن المعاملة وهما أقدس قواعد الرحمة عند الشعوب والأمم (٤) .

وقال ميشون أيضاً في تاريخ الحروب الصليبية : لما استولى عمر على مدينة أورشليم لم يفعل بالمسيحيين ضرراً مطلقاً ، ولكن لما استولى المسيحيون

---

(١) التسامح في الإسلام د.محمد إبراهيم ص٦٦ نقلاً عن هنرى دى كاسترو في كتابه الإسلام تسامح وخواطر.

(٢) مختارات من سماحة الإسلام ، د. أحمد محمد الحوفي ص٤٧ .

(٣) نفس المصدر ص ٩٧ ، نقلاً عن الدعوة إلى الإسلام ، توماس أرنولد .

(٤) نفس المصدر ص٦٦ نقلاً عن محمد رسول الله ، ص ١٩ .

قتلوا المسلمين ولم يشفقوا بهم وأحرقوا اليهود إحراقاً [١] .

بعد هذه الشهادات التي أعتقد أنها كافيه في موضوع التسامح ، لكن اسمح لي أيها القارىء الكريم أن أذكر لك لماذا جاءت هذه الشهادات . وذلك عن طريق ذكر الأدلة من القرآن والسُّنَّة ومواقف المسلمين عبر العصور لتقنع عقلك بالدليل وتعلم عظمة دينك .

لقد اهتم الإسلام بأمــر التسامح واليسر والإحسان إلى الناس اهتماماً عظيماً في عشرات الآيات والأحاديث ، وقد كان النَّبي ﷺ يرهب من التشديد والتعنت في الدين ويرغب في اليسر والسماحة ، إن هذه الأوصاف التي سعى الرسول ﷺ إلى غرسها في أصحابه وأمته كانت سلوكاً طبيعياً في شخصية محمد ﷺ يسري في جميع تصرفاته الخاصة والعامة [٢] .

وهذه بعض نماذج من القرآن الكريم التي دعت إلى التسامح لكن ليس بلفظ التسامح وإنما تارة بلفظ الإحسان وتارة بلفظ العفو وغيرها من الألفاظ الدالة على التسامح .

قال الله تعالى :﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ [البقرة :٨٣]،ويقول مخاطباً المسلمين عندما يقومون بالدعوة إلى دينهم : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)** ﴾ [النحل : ١٢٥] .

ويقول موضحاً أسس المسلمين في التعامل مع غير المسلمين الذين لم يعتدوا على المسلمين أو يظلموا المسلمين ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)** ﴾ [الممتحنة ٨ – ٩] .

---

(١) نفس المصدر ٦٦ .

(٢) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، ابن زغيبة عز الدين ، ص ٣٤٧ ، بتصرف .

وجاء التسامح بمعنى الإحسان قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة : ١٩٥].

وجاء التسامح بمعنى الصفح والعفو عن الناس ، قال تعالى ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف: ٨٩] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ . [المائدة: ١٣] .

هذا عن التسامح في القرآن أما عن التسامح في السُّنَّة فإليك بعض الأحاديث ثم نعقبها ببعض المواقف لرسول الله ﷺ وبعض الصحابة .

[١] قال النَّبي ﷺ : « **إن الدين يسر** » (١) .

[٢] قال النَّبي ﷺ : « **إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين** » (٢) .

[٣] قال النَّبي ﷺ : « **بشروا ولا تنفروا ، يسروا ولا تعسروا** » (٣) .

[٤] قال النبي ﷺ : « **رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى** » (٤) .

[٥] قال النَّبي ﷺ : « **من ظلم معاهداً أو تنقصه حقه أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة** » (٥) .

هذا والأحاديث أكثر من أن تحفظ أو تذكر في بيان قيمة التسامح الإسلامي ، وإليك أيها القارىء الكريم بعض المواقف التي تبين عظمة الإسلام

(١) البخاري ٣٩ ، كتاب الإيمان ، باب الدين يُسر ١ / ٢٠ ، والنسائي ٨ / ١٢٢ ، كتاب الدين يُسر ٨ / ١١٢ .

(٢) الترمذي ١٤٧ ، كتاب أبواب الطهارة ، باب ما جاء في البول يصيب الأرض ، ١ / ٢٧٦ ، وأبو داود ٣٨٠ ، كتاب الطهارة ، باب الأرض يصيبها البول ١ / ١٠٢ .

(٣) البخاري ٦٩ ، كتاب العلم ، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١ / ٢٨ ، ومسلم ١٧٣٤ ، كتاب الجهاد والسير ، باب تحريم الغرر ١٢ / ٤٠٢ .

(٤) البخاري ٢٠٧٦ ، كتاب البيوع ، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ١ / ٤٥٣ ، والترمذي ١٣٢٠ ، كتاب البيوع ، باب ما جاء في استقراض البعير أو الشيء من الحيوانات ٣ / ٥٩٩ .

(٥) سبق تخريجه .

وأهمية هذا المبدأ العظيم من مبادئ الإسلام .

في المدينة المنورة كتب الرسول ﷺ كتاباً عاهد فيه اليهود ووادعهم واقرهم على دينهم وأموالهم وأمنهم على أنفسهم فصار هذا الكتاب فتحاً جديداً في إقرار السياسة الدينية باعتباره وثيقة تقرر لليهود حرية العقيدة وحرية الرأي وحرية المال وحرية النفس ، فقد أراد النَّبي ﷺ أن يجعل المدينة وطناً واحداً ومن الجميع أمة واحدة لا يفرق بينهما اختلاف الدين ، لذلك يمكن وصف هذه الوثيقة بأنها وثيقة تآلف وأمان لليهود (١) .

وهنا موقف آخر من المواقف العظيمة للنبي ﷺ يبين مدى رحمة وتسامح هذا النَّبي الكريم ﷺ وتسامح الإسلام العظيم .

منذ اللحظة الأولى لإعلان محمد ﷺ عن رسالته ، واجهة أهل مكة بأشد أنواع المواجهة فقد شتموه وسبوه وضربوه وأذوه بأشد أنواع الإيذاء .

قالوا شاعر وساحر وكاهن ووضعوا القاذورات في طريقة وعلى ظهره وهو ساجد وخنقوه في رقبته وحاول بعضهم البصق في وجهة ووضعوا القاذورات على بابه ووضعوا عليه سلي الجذور وعذبوا أصحابه بما لا يتحمله بشر من أنواع العذاب ، حاصروه هو وأصحابه حصاراً اقتصادياً في شعب أبي طالب حصاراً رهيباً حتى أكلوا ورق الشجر وكانوا لا يجدون طعاماً وشراباً وحاولوا بعد ذلك قتله وجمعوا أربعين شاباً من خيره شبابهم لقتله ، واستمر الأمر ثلاثة عشر عاماً في العذاب والاضطهاد ومن دخل بيت النَّبي ﷺ قذفوه بالحجارة .وكتب السيرة مليئة بأنواع العذاب الذي تعرض له النَّبي ﷺ وأصحابه ، ومع ذلك لم يرفع سلاحاً في وجه أحد منهم هو وأصحابه كذلك .

بل تركوا لهم مكة وخرجوا إلى الحبشة والمدينة المنورة فلم ينتهي عدوانهم عليه فجهزوا الجيوش وخرجوا إليه في المدينة في أكثر من معركة للقضاء عليه

(١) مجلة منبر الإسلام ، ص٤٦ ، سنة ٥٩ ، العدد ٦ ، جمادي الآخرة ١٤٢١هـ ، سبتمبر ٢٠٠٠ .

وعلى أصحابه ست سنوات أخرى من الحروب والقتال ، تسعة عشر عاماً ما بين عذاب واضطهاد وحروب وقتال حتى عندما عقد معهم معاهدة صلح خانوا المعاهدة ونقضوا الصلح .

بعد كل ذلك وفي السنة الثامنة من الهجرة نصره الله عليهم وعاد إلى مكة منتصراً فاتحاً لها فجمعهم وقال : ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟.

أنت أيها القارىء الكريم،لو كنت مكان محمد ﷺ ماذا كنت تفعل بهم؟ ، لو أن أهل القوة والبطش الآن المسيطرون على العالم ماذا كانوا يفعلون ؟ ، هؤلاء الذين يسعون للحروب والقتال باسم الإرهاب ، ماذا كانوا سيفعلون لو كانوا مكان محمد ﷺ بعد تسعة عشر عاماً من العذاب والاضطهاد .

ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم، قال في عفو تام وسماحة عظيمة ورحمة لا حدود لها وأخلاق كريمة : « **لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء** » .

لم يقل حاربتموني وطردتموني من بلدي وقتلتم أصحابي وأهلي ورملتم النساء ويتمتم الأطفال وقتلتم الرجال وفعلتم وفعلتم ، بل قال أنتم الطلقاء ، أطلق سراحهم جميعاً لم يضرب أحداً أو ينتقم من أحد بل عفي عنهم جميعاً ، فلما رأوا كريم أخلاقه أعلنوا إسلامهم وأصبحت مكة من وقتها بلداً إسلامياً .

هل بعد هذا التسامح تسامح ؟ :

هذا الخلق الذي لم يشهد التاريخ مثله ، فإن الفاتحين في كل الدنيا حتي في عصرنا الحاضر إذا دخلوا بلداً ، قتلوا النساء والأطفال والشيوخ واستباحوا الدماء والأموال والأعراض ، وعذبوا واضطهدوا ، وفعلوا بالمستضعفين المهزومين ما لا يليق بالبشر ، حتي ولو كانوا علي دين واحد ، كما فعل الرومان بالمصريين ، مع أنهم كانوا يدينون جميعاً بالمسيحية .

وغير هذا المثال الكثير من التاريخ والقرون الماضية بل والمعاصرة .

لكن الإسلام بهذا التسامح العظيم فتح القلوب والعقول ، ولم يقتصر ذلك التسامح علي النبي ﷺ في حياته بل انتقل إلى أصحابه الكرام من بعده وإلى المسلمين جيلاً بعد جيل ، لأن التسامح مبدأ أساسيٌ من مبادئ الإسلام .

ومن النماذج علي سماحة الإسلام وعدالته بعد النبي ﷺ : أن عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين أجرى الصدقة علي يهودي كفيف البصر ، وأمر له بعطاء دوري من بيت مال المسلمين ، وقال لخازن البيت " انظر لهذا وأمثاله فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم " (١) .

ولما فتح المسلمون بيت المقدس طلب أحد القساوسة من عمر أن يصلي داخل الكنيسة فأبى عمر وقال : " حتي لا يقول المسلمون هنا صلي عمر ويأخذونها منكم " وكتب لهم عمر عهداً يبين فيه عظمة ورحمة وتسامح هذا الدين العظيم (الإسلام) وهذا نص العهد :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم ،وأموالهم ،وكنائسهم،وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون علي دينهم ، ولا يضار أحد منهم " (٢) .

أين هذا التسامح مما فعله النصارى بالمسلمين عندما دخلوا بيت المقدس ، قتلوا الآلاف من المسلمين رجالا ونساءً وأطفالاً ، لم يراعوا حرمة لأحد ولا دين ولا خلق ، وحولوا المسجد الأقصى إلى مذبلة تلقى فيها القاذورات ، أين هذا التسامح مما تفعله إسرائيل اليوم في فلسطين؟! ، من قتل وتشريد وهدم المنازل والمساجد ، وتحويل المساجد إلى فنادق ومقاهي وأماكن للخمور والزنا وبيوت الدعارة ،ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) منبر الإسلام لسنة ٥٩ ، العدد ٦ ، جمادي الآخرة ١٤٢١هـ ، سبتمبر ٢٠٠٠ ، ص ٤٦ .
(٢) التسامح في الإسلام د . محمد إراهيم الجيوشي ، ص ٤٦ .

أيها القارىء الكريم المنصف ، اقرأ تاريخ الإسلام عندما كان دولة عظمى ماذا فعل في البلاد التي فتحها ؟، واقرأ ما حدث مع المسلمين لما ضاعت دولتهم، وما يحدث لهم الآن في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان والفلبين وغيرها من بلاد العالم ، لتعلم الفارق بين الدين الذي جاء به محمد ﷺ من الرحمة واليسر ، وما يفعله هؤلاء باسم الديمقراطية والمدنية والحضارة .

رعاية الإسلام لليتيم

من أعجب ما سمعت عن وضع اليتيم في بعض دول الغرب ، فقد نمى إلى علمي أن اليتيم في بعض الدول يعامل معاملة غريبة وقاسية ، واليتيم هو ذاك الطفل الذي مات أبوه ولم يبلغ مبلغ الرجال .

يعامل ذلك الطفل الصغير اليتيم المسكين في بعض دول الغرب وكأنه نكرة أو حشرة ، أو أنه مجرم ارتكب جريمة ، يجب أن يبعد عنه الأطفال ، ولا يتعاملون معه ، ويوضع في مدارس خاصة ، ويهان إهانات بليغة جداً ، ويضرب ويسب ويعتدي عليه بكثير من وسائل الإهانة .

وهذا من اعجب ما سمعت ، فيالرحمة الإسلام وعظمته ، الذي أولي اليتيم عناية ورعاية خاصة لأنه قد فقد أباه الحاني الذي يرعي أموره وشئونه ، فقد أباه والعائل الذي يرعاه ، فقد القلب الذي يحنو عليه والفؤاد الذي يعطف عليه والروح التي تحيطه بكل رعاية وعناية واهتمام فقد المصدر الذي خلقه الله بفطرته مخلصاً في تربيته متفان في سعادته يعمل على تنشئته منشرح الصدر متفائلاً مبتسماً للحياة مقبلاً على دنياه بروح تهدف إلى البناء والتعمير والإبداع والخلق والتكوين ، فقد هذا الطفل اليتيم بموت أبيه كل ذلك ، وأسلمته المقادير إلى الكآبة والحزن ، والحرمان ، والضياع ، وتشتيت الفكر والبال، غير أن الإسلام وهو حريص على بناء مجتمع قوي سليم ، لم يترك هذا الطفل اليتيم وحيداً يصارع أمواج الحياة القاسية بلا مجاديف قوية تحميه من تلاطم الأمواج ، وتنشله من الغرق ، وتوصله إلى بر الأمان ، فأولاه العناية الفائقة في تشريعاته الحكيمة ، ووصاياه الكريمة ، من رب رحيم بخلقه رؤوف بعباده تحفظ لهذا الطفل اليتيم نفسه من الانحراف ، وتحفظ له ماله من الضياع وتعده رجلاً نافعاً عاملاً في الحياة ليس كلاً على غيره ولا عبئاً على مجتمعه ، ولا عنصر هدم وتخريب ،

ولا مصدر شر ينفث سمه وأحقاده في المجتمع [(١)] .

ولذلك فإن الإسلام يدعو المجتمع كله أن يكونوا أباءً لهذا الطفل اليتيم ، لأنه إن فقد أباه فإن المسلمين جميعاً له أباءٌ .

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية نجد أنهما قد أوليا اليتيم رعاية خاصة في حفظ نفسه وماله وجميع شئونه ويخبر القرآن المسلمين ان اليتيم أخ لهم في الدين فيجب ان يعامل معاملة الأخ الصغير بما ينفعه ويصلح أموره ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠) ﴾ [البقرة :٢٢٠] ، ويدعو القرآن إلى صيانة مال اليتيم وحفظه من الضياع وأن لا يعطي له ذلك المال وهو ما يزال طفلاً صغيراً لا يعرف كيف يتصرف فيه، ولكن يحفظ هذا المال كأمانة لا يجوز الاقتراب منها بأي وسيلة حتى يكبر الطفل ويتعلم كيف يتصرف في الأموال، ويختبر في ذلك اختباراً يسيراً فإن تبين أنه أصبح راشداً يدري ويعقل ما يفعل فليدفع إليه ماله ولا يأخذ الوصي عليه من ماله شيئاً ، قال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦) ﴾ [النساء : ٦]، ولكي يقوم المسلمون بهذا الأمر بصدر رحب وضح لهم الإسلام أن من يكفل اليتيم ويرعاه ويحافظ عليه وعلى ماله فإن له أجرٌ كبيرٌ وثوابٌ عظيمٌ في الآخرة فقال النبي ﷺ : « **أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى** » [(٢)] ، وقال

(١) منبر الإسلام ، لسنة ٦٢ ، العدد ٨ شعبان ١٢١٤هـ ، أكتوبر ٢٠٠٣م ، ص ٩٣ .

(٢) البخاري ٦٠٠٥ ، كتاب الادب ، باب فضل من يعول يتيماً ٣/١٣٩ ، والترمذي ١٩١٨ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة اليتيم وكفالته ٤ /٣٢١ ، وأبو داود ٥١٥٠ ، كتاب الادب ، باب من ضم اليتيم ٤ /٣٤٠ .

ﷺ : « **من ضم يتيماً من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل ذنباً لا يُغفر** » (١) .

وسأل رجل رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال الرجل أوصني ، فقال صاحب رسول الله ﷺ واسمه أبو الدرداء : ارحم اليتيم وادنه منك وأطعمه من طعامك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أردت أن يلين قلبك فأدن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فإن ذلك يلين قلبك** » (٢) .

وإذا كان الإسلام يدعوا إلى كفالة اليتيم وعنايته ورعايته ووعد على ذلك الثواب الكبير فإنه أيضاً قد حذر من الاعتداء عليه أو ظلمه أو أكل ماله وتوعد على ذلك بالعذاب الشديد .

ففي كثير من الآيات والأحاديث النبوية وعيد شديد لمن يأكل أموال اليتامى ظلماً ، قال الله تعالى مبيناً صفات المكذب بيوم الدين والجزاء المنكر لهما ، أن أخطر صفة له أنه يؤذي اليتيم قال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢)** ﴾ [الماعون : ١-٢] ، أي الذي يدفع اليتيم وينهره ويسئ إليه ، ويقول الله تعالي : ﴿ **وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢)** ﴾ [النساء : ٢] ، ويقول الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** ﴾ [الإسراء : ٣] .

ويبين القرآن أن من يأكل أموال اليتيم فإنما يأكل جمرة من النار ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠)** ﴾ [النساء : ١٠] .

---

(١) الترمذي ١٩١٧ ، كتاب البر واصلة ، باب ما جاء في رحمة اليتييم وكفالته ٤ / ٣٢٠ .

(٢) كنز العمال ٦٠٠٢ وعزاه للطبراني في المعجم الكبير ، والخرائطي في مكارم الاخلاق وابن عساكر والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة .

ويقول النبي ﷺ : « يبعث الله عز وجل قوماً من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم ناراً » ، فقيل من هم يا رسول الله ؟ ، فقال ألم تر أن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء : ١٠] [١] ، هذا والأحاديث في هذا الموضع كثيرة جداً والكلام لا ينتهي .

مما سبق يتبين لنا مدى اهتمام الإسلام باليتامى ورعايته لهم فهو إما دعوة لكفالتهم ورعايتهم وإنشاء المؤسسات من أجل هذا الغرض والوعد عليه بالثواب العظيم ،وإما تحذير ووعيد لمن يعتدي عليهم أو يظلمهم أو يأخذ أموالهم بغير وجه حق .

والإسلام بهذا يريد الخير للمجتمع كله ، لأنه إن لم يفعل ذلك مع اليتيم فسيكون قنبلة موقوتة تنفجر في وجه المجتمع كله .ولأن كل طفل في العالم معرض ان يكون يتيماً فقد يموت أبوه في أي لحظة دون استعدا مسبق ، فليعمل كل إنسان مع اليتيم ما يحب أن يفعل مع ابنه إذا مات وابنه طفل صغير ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [النساء : ٩] .

---

(١) كنز العمال ٩٢٨٣ وعزاه لابن أبي شيبة وابن حبان والطبراني في الكبير ، عن بريدة .

الشورى في الإسلام
(الديمقراطية)

من المبادىء الأساسية التي قام عليها ودعا إليها الإسلام مبدأ الشورى او الديمقراطية كما يقال في العصر الحديث .

ولا تعجب أيها القارىء الكريم إذا علمت ان الإسلام هو أول من دعا إلى هذا المبدأ ،وجعله أصلاً أصيلاً له ، حتى قبل الأمم المتحدة وحقوق الإنسان ، فقد سبق الإسلام في تطبيق هذا المبدأ، سبق الغرب بأربعمائة عام وألف وطبقه واقعاً عملياً،وكان ذلك في عصر لم يسمع فيه العالم عن كلمة الشورى أو الديمقراطية بل لم يكن يعرف العالم آنذاك إلا الفردية والاستبداد والديكتاتورية .

فلم يكن هناك مجالس نواب ولا شيوخ ولا مجالس شورى ولا برلمان إلا في أضيق الحدود ، مثل دار الندوة عند العرب ، وملكة سبأ ، وقوم موسى عليه السلام وبعض الأحوال الاستثنائية ، وإلا فإنه في الأعم الأغلب فردي استبدادي ديكتاتورى. حتى أن الحكم كان ينتقل من حاكم إلى آخر على صورة توريث بعد موت الحاكم يتولى الحكم بعده ابنه ، ولا يعرف انتخابات ولا برلمانات .بل كان في بعض الأحيان أن الولد يقتل أباه ويستولي على الحكم بالقوة .

ولم يكن من حق أحد من الشعوب أو حتى من الوزراء الاعتراض على قرارات الحاكم وإلا فإن مصيره السجن ، أو التعذيب ، أو القتل .

بل كان الأمر في المجتمع الصغير وهو مجتمع الأسر الصغيرة فردي واستبدادي أيضاً ، ينفرد الزوج بالقرارات وعلى الزوجة والأولاد السمع والطاعة دون إبداء الرأى أو أدنى اعتراض .

عموماً كان الأمر في قمة الاستبداد والديكتاتورية ، فإذا بالإسلام يظهر في

تلك الأحوال بدعوته إلى تطبيق مبدأ الشورى ، يدعوا إلى الشورى في كل المجالات ، في اختيار الحاكم ، وفي السياسة والحكم ، وبين الأسر الصغيرة .

وصل الأمر أن الإسلام لم يجعل الشورى حقاً من حقوق الإنسان يمكن أن يتنازل عنه بل هي واجب وفريضة شرعية تأثم الأمة لو خالفت في هذا المبدأ العظيم ، فإنه في القرآن الكريم فريضة شرعية واجبة شرعاً شرعها الله سبحانه لتكون فلسفة السياسة الإسلامية ، سواء كان الأمر في نطاق الأسرة أو المجتمع أو الدولة التي تسوس الرعية بشريعة الإسلام .. فريضة شرعية واجبة وليست مجرد حق من حقوق الإنسان ،ولابد لها من الجماعة والجماعية دون الفردية والاستبداد بصنع القرار[١]، يقول المفسرون : إن الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ومن لا يستشر أهل العلم فعزله واجب وهذا مما لا خلاف فيه [٢].

وإذا نظرنا إلى القرآن وإلى السُّنَّة وأفعال الصحابة لوجدنا هذا المبدأ العظيم يتمثل واقعاً عملياً حتى على النبي محمد ﷺ وهو مؤيد من الله إلا أن الله عز وجل يأمره بالشورى والعمل بها حتى ولو كان الأمر يخالف رأيه مادام قد أخذ بالشورى واستقر على قرار معين ،وجب عليه أن يشاور المسلمين ويعمل بما وصل إليه من قرار . قال الله تعالى في القرآن الكريم وشاورهم في الأمر ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، وعندما يتحدث القرآن الكريم عن صفات المؤمنين يبين أن من بين هذه الصفات وأمرهم شورى بينهم ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] .

والمواقف كثيرة في حياة النبي ﷺ الذي بين مدي تمسك النبي ﷺ بمبدأ الشورى والعمل به ، وإعطاء الناس الحق في إبداء رأيهم ،ولو كان صاحب الرأى هذا إنسان مجهول من وسط عامة الناس، لابد أن يسمع لرأيه، لعل في رأيه الحق والصواب ، ولنأخذ نموذجاً على ذلك من السنة النبوية المباركة ، لما هاجر النبي

(١) منبر الإسلام ، السنة ٦٠ العدد ٤ ، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ ، يونيوا ٢٠٠١ م ص ١٢٣، بتصرف .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٢١ ، نقلاً عن جامع لأحكام القرآن ، للقرطبي .

محمد ﷺ إلى المدينة المنورة أعد المشركون جيشاً لمهاجمة النبي ﷺ وأصحابه ، وكان عدد جيش المشركين أضعاف عدد جيش المسلمين فعلم النبي ﷺ بذلك ، ومع أنه يأتيه الوحى من الله ويمكن له أن ينفرد بالقرارات ، ولن يخالفه أحد لأن له عليهم حق الطاعة ، ولكنه أراد أن يعلمنا درساً عملياً على مدى التاريخ أن المسلمين لابد أن يقوموا بمبدأ الشورى فجمع النبي ﷺ أصحابه وأعلمهم بخبر الجيش المكي ثم قال لهم: **«أشيروا على أيها الناس»** ، فتكلم أصحابه من المهاجرين وقالوا له اخرج للقتال فنحن معك .ومع ذلك ظل يردد قوله : **« أشيروا عليَّ أيها الناس»** ، فقال كبير الأنصار سعد ابن معاذ ،وكأنك تقصدنا يا رسول الله؟ ، قال : نعم ، قال سعد : سر على بركة الله يا رسول الله ، فلو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك .

لم ينفرد النبي ﷺ بالقرار، قرار الحرب لرد العدوان المكي مع أنه رسول مؤيد من الله ، لكنه استشار أصحابه ليكون درساً عملياً لكل الحكام والقادة من بعده ولم يكتف الأمر بذلك بل عندما وقع الاختيار على المكان في نفس الغزوة التي ذكرت أنفا جاء جندي من عامة الجنود فقال يا رسول الله : هذا المكان منزل أنزلكه الله أم هي المكيدة والمشورة؟، قال النبي ﷺ :**«بل هي المكيدة والمشورة»**. فقال الجندي البسيط :للقائد العام وهو النبي ﷺ : ليس هذا هو المكان المناسب الذي نتمركز فيه بل نذهب عند بئر الماء حتى نشرب ولا يشرب الأعداء ، فأعجب النبي ﷺ بهذا الرأي وعمل به ، وكان سبباً من أسباب نصر المسلمين .

على العكس من ذلك الجيش المكي العدو آنذاك قال بعض جنوده للقائد أبي جهل: نرجع ولا نقاتل ،فاستبد بالرأى وأبى الرجوع فكان سبباً من أسباب الهزيمة .

نموذج آخر للديمقراطية والشورى الإسلامية:

في غزوة أحد أراد أهل مكة أن ينتقموا من رسول الله ﷺ ومن أصحابه الكرام بسبب هزيمتهم في غزوة بدر ، فأعدوا جيشاً جراراً لغزوا المدينة المنورة

واحتلالها والقضاء على رسول الله ﷺ ،فعلم رسول الله ﷺ بذلك فجمع أصحابه واستشارهم في الأمر ،فقال البعض نبقى في المدينة ونتحصن فيها فإذا جاءوا إلينا قتلناهم ، فأعجب النبي ﷺ بهذا الرأى واقتنع به ، لكن الأغلبية أشاروا بالخروج إليهم خارج المدينة ، ولم يرض النبي ﷺ بهذا الرأى ولم يقتنع به .

لكنه رأى أن الأغلبية من الناس على هذا الرأى ولكى يعطي الناس درساً عملياً في وجوب العمل بمبدأ الشورى وافق على هذا الرأي ، مع أنه لم يقتنع به إلا أنه لابد من تطبيق مبدأ الشورى ،وبالفعل قامت الحرب وتبين خطأ هذا الرأى وانهزم المسلمون وقتل منهم كثير من خيرة أصحاب النبي ﷺ .

ولكن حتى لا يظن أحد من الناس أنهم هزموا بسبب الشورى وأنه كان ينبغي على رسول الله ﷺ أن لا يأخذ برأيهم ، بل ليقول للمسلمين حتى إذا كانت الشورى سبباً في الهزيمة فإنكم مطالبون بتحقيقها وعدم الانفراد بالقرار .

لأن أمر الشورى أعظم من ذلك ، فأنزل الله قوله بعد هذه الهزيمة ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]، ليبين للرسول ﷺ والمسلمين أن الشورى ليست السبب في الهزيمة وإنما هناك أسباب أخرى فابحثوا عنها .

ومن النماذج العظيمة التي تبين مدى تمسك المسلمين بعد النبي ﷺ بمبدأ الشورى ، ويبين أن المسلمين هم أول من طبق قانون انتخاب الحاكم .

بعد موت النبي ﷺ اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة واختاروا خليفة لرسول الله ﷺ وهذا الخليفة هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وبعد موت أبي بكر وتولي عمر ابن الخطاب الحكم ، جعل له مجلس مكون من مجموعة من الصحابة وسماه « أصحاب الشورى » أي مثل البرلمان في العصر الحديث ، وعند موته رشح ستة من أصحابه للخلافة من بعده وقال لهم اختاروا واحداً منهم ، وتشاور الصحابة فيما بينهم ، وتم اختيار عثمان ابن عفان خليفة للمسلمين .

إذاً مما مضى يتبين أن الإسلام جعل الشورى من أهم المبادىء التي قام عليها ولم يجعل هذا المبدأ مجرد ميثاق أو شعارات بل طبقه واقعاً عملياً قبل الأمم المتحدة بأربعة عشر قرناً من الزمان .

فهل يستطيع إنسان أن يتهم الإسلام بالفردية والاستبداد والقهر والديكتاتورية ؟ ، اقرءوا تاريخ الإسلام وانظروا إلى الواقع الذي يحياه الناس في هذا العصر ، لتعلموا الفارق والبون الشاسع بين ما جاء به الإسلام وبين الواقع المرير.

الإســـلام والعلـــم

من أهم المبادئ والقيم التي دعا إليها الإسلام وحرص عليها ورغب فيها قيمة العلم ، والإسلام عندما دعا إلى العلم دعا إليه في عصر كان العلماء فيه في خطر عظيم ،كانت تهان كرامتهم وتذبح مكانتهم أمام أعينهم ، بل ويقتلون ، بل ويحرقون وهم أحياء، وتقام لهم محاكم التفتيش التي تحارب العلم والعلماء.

في تلك العصور المظلمة يدعوا الإسلام بنوره إلى العلم وتكريم العلماء والاحتفال بهم وإنزالهم منزلتهم.

وعندما يتكلم الإسلام عن العلم فإنه يعني جميع أنواع العلوم ، وليست العلوم الشرعية الدينية فقط ، بل كل العلوم ، الشرعية والتجريبية والطب والهندسة والفلك والأحياء والجيولوجيا وكل أنواع العلوم التي تخدم البشرية، بل إن الإسلام يعتبر العلم نوعان علم فرض على كل مسلم أن يتعلمه وهي أمور الاعتقاد والعبادات .

ونوع آخر يعتبره الإسلام فرض كفاية إذا قام به بعض المسلمين سقط الإثم عن سائر المسلمين ، وإذا لم يقم به واحد من المسلمين أثم الجميع .

وهي العلوم التي يحتاج إليها الإنسان في حياته من العلوم التجريبية والطب وغيرها من العلوم آنفة الذكر .

فإن الإسلام يجعل فرضاً واجبا على المسلمين أن يكون فيهم الطبيب والمهندس والكيميائي وعالم البحار وعالم الجيولوجيا وسائر العلوم يجب أن يكون من المسلمين من برع في هذه العلوم ، حتى لا يأثم جميع المسلمين .

هل يوجد دين من الديانات أو الملل الموجودة جعل العلم فريضة على أهله ؟!

والإسلام إذ يدعوا إلى العلم يدعوا إليه لأن البشرية لا تصلح شئونها إلا

بالعلم ، فالعلم هو النور الذي يضيء للبشرية حياتها ، وهو السراج الذي يضيء حياة الناس ، ويجعل البشرية تعيش في هدىً وصلاح ، ومن ثم كان منطقيًا أن يمثل العلم في نظر الإسلام أساس القيم التي يجب على الإنسان أن يحيا بها ، لأن الإنسان لا يستطيع أن يمارس الصواب ويبتعد عن الخطأ ، إلا إذا كان لديه العلم الذي يتبين به الرشد من الغي(١) .

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أنه قد أشاد بالعلم والعلماء وبين مكانتهم في الإسلام ، وهناك عشرات الآيات والأحاديث التي توضح ذلك ، وسنذكر نماذج لاهتمام الإسلام بالعلم والعلماء ، ويكفي أن نعلم أن أول آية نزلت في القرآن الكريم كانت تدعوا للقراءة والبحث والتجربة ، ولم تكن تتحدث عن العلوم الشرعية وإنما عن العلوم الكونية والتجريبية والنظر في الكون وما فيه من آيات يقول الله تبارك وتعالى في أول آية نزلت من القرآن الكريم : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ ﴾ [العلق : ١-٥] .

هل هناك أوضح من ذلك دعوة للعلم التجريبي والبحث .

بل يجعل القرآن الكريم من نعم الله على عباده التي من بها عليهم أن أرسل إليهم رسولا. رسولا لماذا؟ ليعلمهم قال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤]، وأشاد القرآن بالعلم والعلماء وأنه يرفع مكانتهم ودرجتهم في الدنيا والآخرة فيقول تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] .

وتارة يحكم بنفي التسوية بينهم وبين سائر الناس فيقول تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ ويقول النبي محمد ﷺ : «العلماء

---

(١) منار الإسلام ص ٣٣ ، السنة الثانية والعشرون جمادي الآخرة ١٤١٧هـ ، أكتوبر ١٩٩٦م -.

ورثة الأنبياء » [١] ،ويقول ﷺ : « **إن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب »** [٢] ، وتارة يخبر الإسلام أن أكثر الناس قرباً من الله وخشية له وصلاحاً وتقوى وهدى هم العلماء، والعلماء التجريبيين على وجه الخصوص ، لأنهم يرون في الكون الآيات الدالة على قدرة الله، وعجيب صنعه فيقول القرآن الكريم : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ** ﴾ [فاطر : ٢٨] ، وهناك عشرات الآيات التي يتكرر فيها قول الله تعالي: ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [النمل : ٥٢] ، ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [النحل : ١١] .

﴿ **وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] ، هل هناك تكريم للعلم والعلماء أكثر من ذلك .

أما عن أحاديث النبي محمد ﷺ التي تدعوا إلى تكريم العلم والعلماء فحدث ولا حرج ، يقول النبي ﷺ وهو يحث الناس على طلب العلم ويوضح لهم الأجر والثواب الذي أعده الله تعالى في الآخرة للعلماء : « **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر** » [٣] .

ويقول ﷺ : «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع** » [٤] .

هذا شيء قليل من كثير في القرآن الكريم والأحاديث النبوية عن فضل العلم والعلماء ، فلما علم المسلمون الأوائل بهذا الفضل الكبير أخذوا يفنون

---

(١) أبو داود ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ٣ / ٣١٦ ، والترمذي كتاب العلم ، باب فضل طلب العلم ٥ / ٢٨ .

(٢) نفس المصدر .　　　　(٣) نفس المصدر.

(٤) الترمذي ٢٦٤٧ ، كتاب العلم ، باب فضل العلم ٥ / ٢٩ ، وابن ماجة ٢٢٦ ، المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على العلم ١ / ٨٢ .

أعمارهم بحثاً عن العلم في كل مكان .

وخير شاهد على ذلك التراث الإسلامي العظيم الموجود في الكتب والأبحاث الإسلامية، وخير دليل على ذلك ما قام به المسلمون الأوائل من علوم ، حتى العلوم الطبيعية والتجريبية ، فيكفي أن تعلم أن أبا الطب هو ابن سينا المسلم ، وابن حيان وابن رشد والخوارزمي ، وغيرهم كثير ممن أسسوا علوم الفلك والطبيعة والجولوجيا والخرائط والجغرافيا ، وغيرها من العلوم .

في سؤال وجه للباحثة الغربية آن ماري شيمل عن ما حكمك على اتهام بعض الغربيين للإسلام بمعاداة العلم ؟ ، قالت لدحض هذا الزعم علينا الرجوع إلى الفلسفة الإسلامية في القرون الوسطى ، كذلك إلى إسهامات العرب العلمية فالحقيقة التي لا مراء فيها هي أن العرب قد وضعوا أسس العلوم الطبيعية في أوربا من خلال ما نقلوه عن اليونان من علوم وتطويرهم لها ، فنحن نعلم أن الأعمال الطبية للرازي وابن سينا كانت تدرس في جامعات أوربا حتى عصر النهضة وخاصة تلك المؤلفات الخاصة بطب العيون، ناهيك بالطبع عن المصنفات الرياضية والكتابات الخاصة بعلم الفلك والتنجيم ،والرأي بأن الإسلام يعادي العلم المقصود منه في الغالب العصور المتأخرة أي ما بعد سنة ١٢٥٨ م يقول الرسول ﷺ **« طلب العلم فريضة على كل مسلم »** (١) .

وأعتقد أن مجرد ذكر هذا الحديث يكفي لإثبات أن الإسلام لا يعادي العلم،ولا يصح أن نعتقد أن عصور التخلف والانحطاط في العالم الإسلامي قد امتدت لقرون طويلة ، فالتخلف في العالم الإسلامي ظاهرة أعقبت الازدهار والتقدم ، إن الجمود الذي يعيشه العالم الإسلامي اليوم والذي جعلهم لا يأخذون من الإسلام إلا قشوره هو ظاهرة غريبة على الإسلام وهو تصور يتنافي مع الروح الديناميكية للإسلام التي تسعي إلى التطور والابتكار (٢) .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) مجلة منبر الإسلام ، ص ١٢١ ، السنة ٦١ العدد ٧ رجب ١٤٢٣هـ، سبتمبر ٢٠٠٢ .

هذا هو الحق فإن الإسلام يدعوا إلى العلم والتفكير والابتكار والتقدم قبل أي مؤسسة عالمية أو جامعة من جامعات العالم العريقة ، وقد سبق الإسلام العالم في الدعوة إلى العلم وتكريم العلماء بثلاثة عشر قرناً من الزمان .

وهذا الذي ذكرناه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية خير دليل على أهمية العلم والعلماء في نظر الإسلام .

العمل الدنيوي في الإسلام

يعتقد البعض ومنهم بعض المسلمين أن الإسلام دين يرفض الدنيا ويرفض العمل الدنيوي، ويدعوا الناس إلى التفرغ للعبادة في المساجد، وهذا هو التوكل على الله وأن لهم الدنيا ولنا نحن الآخرة ، ولكن إذا نظرنا نظرة حق إلى الإسلام نجد أن الإسلام يوازن بين الدنيا والآخرة فيدعوا الناس للعمل من أجل الدنيا وإعمارها والعمل من أجل الآخرة وإعمارها .

ولكن الفارق بين المسلم وغيره أن المسلم يعمل عمل الدنيا من أجل الآخرة فهو في عمله أياً كان نوعه يبتغي فيه الأجر والثواب من الله عز وجل .

فالإسلام يوازن موازنة تامة بين الدنيا والآخرة ويجعل الدنيا في أيدي الناس وليست في قلوبهم .

فالدنيا في نظر الإسلام كبيت له طابقان ، طابق سفلي وطابق علوي ، لن يتمكن الإنسان من المرور إلى الطابق العلوي إلا إذا مر على الطابق السفلي، فالعلوي هو الآخرة والسفلي هو الدنيا ولكي تمر إلى الآخرة لابد أن تمر على الدنيا ولن تصلح الآخرة إلا إذا صلحت الدنيا إذاً لابد من العمل في الدنيا قبل الآخرة.

ولذلك إذا نظرنا إلى القرآن الكريم وإلى السُّنَّة النبوية وإلى الصحابة الكرام لوجدنا القرآن فيه عشرات الآيات وكذلك في السنة عشرات الأحاديث والمواقف التي تدعوا المسلم إلى العمل الدنيوي والسعي على الحياة والمعاش وإعمار الأرض.

بل تعجب عندما تعلم أن معظم آيات القرآن التي تتحدث عن الإيمان تربط بينه وبين العمل الصالح ، والعمل الصالح يقصد به العمل الدنيوي والعمل الأخروي معاً ، وليس الأخروي فقط ، بل يعتبر العمل الدنيوي عبادة إذا كان بنية

خالصة لوجه الله وألا يكون بصورة محرمة قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف : ٣٠]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف :١٠٧] ويقول: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر ١-٣] ، فالآيات كثيرة جداً .

بل الإسلام يذكر الإنسان بمهمته في الحياة وهي إعمار الأرض قال الله تعالى ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود:٦١] ، ونجد أن القرآن يقدس العمل الدنيوي ويدعوا إليه لأن العمل هو عصب الحياة ، وسبيل التقدم وطريق العزة والفلاح لهذا أمر سبحانه عباده بالعمل ، وحسهم عليه فقال ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة :١٠٥] ، والإسلام رسالة توجب على معتنقيها أن يجعلوا مجتمعهم أفضل المجتمعات وأجدر بالحياة وأقدر على النجاح وكل ما يعين على ذلك فهو واجب(١) ، والعمل في الإسلام لا ينحصر في أمور العبادة الروحية فقط ، بل يشمل كل سعي مفيد وعمل مثمر يعود على البشرية بالفائدة الدنيوية والأخروية ، ولقد حض الإسلام على العمل والسعي والكد في سبيل تحصيل معاشهم ، وحذرهم من السلبية والأنزواء عن معترك الحياة ، فقال سبحانه وتعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك : ١٥] .

ويأمر المسلم بعد انتهاء الصلاة حتى يوم الجمعة أنهيت عبادتك فاذهب لعملك ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة : ١٠] .

ويقول : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ ﴾ [الشرح : ٧] ،أي إذا فرغت من عبادتك فانصب لعملك .

---

(١) منبر الإسلام سنة ٦٥ ، العدد ٣ ربيع الأول ١٤٢٧هـ ، إبرايل ٢٠٠٦، ص ٢٠٧ .

والإسلام يأمر المسلم أن يتأسى بالأنبياء السابقين حتى في الأعمال الدنيوية ويذكر بعض أعمال هؤلاء الأنبياء حتى يتعلم منها المسلم فيذكر مثلاً أن سيدنا إدريس كان خياطاً ،يكسب من عمل يده، وداود كان حداداً ، ونوح كان نجاراً ، وزكريا كذلك وإبراهيم كانت عنده الجمال والخيل والأنعام ، كما كان موسى أجيراً يرعى الأغنام [(١)] ، ومحمد ﷺ كان في باديء أمره يعمل راعياً للغنم ، ثم تركه واشتغل بالتجارة .

ويضرب القرآن مثلاً بالسيدة العذراء مريم عليها السلام عندما حملت بسيدنا عيسى عليه السلام ولما حانت ساعة الوضع قال لها الله : ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** (٢٥) ﴾ [مريم : ٢٥] ، مع أنها كانت امرأة وحيدة ضعيفة ولا تقدر على هز جذع النخلة وكان من الممكن أن يأتيها الله بالطعام وهي جالسة والله قادر على ذلك ولكن أراد أن يعلمها ويعلمنا جميعاً أهمية العمل والأخذ بالأسباب في الحفاظ على الحياة .

ويضرب مثلاً آخر بنبي الله داوود عليه السلام فيقول النبي محمد ﷺ : « **ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده** » [(٢)] ، وخص النبي محمد ﷺ نبي الله داوود عليه السلام في هذا الحديث لأن داوود عليه السلام كان نبياً ملكاً ، ومع ما آتاه الله من الملك كان يحب أن يأكل من كسب يده ولا يجلس ويأتيه طعامه وشرابه .ويؤكد الإسلام للمسلم على أهمية العمل فيعده بالأجر والثواب على عمله الدنيوي هذا فيقول ﷺ : « **الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار** » [(٣)]، ولما رأي الصحابة الكرام شاباً قوياً قالوا لو كان هذا في سبيل الله فرد عليهم النبي ﷺ وقال لهم لو كان خرج على أبوين كبيرين يرعاهما فهو في

---

(١) منبر الإسلام ، السنة ٥٩ ، العدد ٦ جمادي الآخرة ١٤٢١هـ سبتمبر ٢٠٠٠م .

(٢) البخاري ٢٠٧٢ ، ٢٠٣٨ كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده ١/ ٤٥٢ .

(٣) البخاري ٥٣٥٣ كتاب النفقات ، باب فضل النفقة على الأهل ٣/ ٣ ، ومسلم ٢٩٨٢ ، كتاب الزهد ، باب الإحسان إلى الأرملة واليتيم والمسكين ١٨/ ٤٠٨ ، وابن ماجة ٢١٤٠، كتاب التجارات ، باب الحث على المكاسب ٢/ ٧٢٤ .

سبيل الله ولو كان خرج على زوجته وأولاده فهو في سبيل الله ولو كان خرج على نفسه يعفها عن الحرام فهو في سبيل الله » (١) .

ويقول ﷺ : « **من بات كالاً من طلب الحلال بات مغفوراً** » (٢) ، بل يدعوا الإسلام الإنسان إلى العمل ولو كان في اللحظات الأخيرة من حياته بل ولو في اللحظات الأخيرة لنهاية الدنيا فيقول ﷺ : « **إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل** » (٣) ، ويقول الخليفة عمر ابن الخطاب داعياً الناس للخروج من أجل العمل وإعمار الكون اعملوا فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة بل يدعوا الإنسان إلى العمل وكأنه سيعيش ولن يموت ويدعوا إلى العمل الأخروي وكأنه سيموت الآن، فيجمع المسلم بين الأمرين يقول عليّ بن أبي طالب خليفة المسلمين اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، والإسلام إذ يقدر كل الأعمال ويحترمها مادام هذا العمل لا يخالف شرعاً ولا يضر أحداً خير من أن يسأل الناس ويعيش على التسول أو الصدقة فيقول النبي ﷺ : « **لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي إلى جبل فيأتي بحزمة من حطب خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه** » (٤) .

إذا فالإسلام يقدس العمل الدنيوي ويهتم به اهتماماً عظيماً ويدعوا الناس إليه والأخذ بالأسباب وإعمار الكون وإذا خالف المسلمون وتكاسل الناس وفرطوا وضيعوا وأهملوا كان العيب فيهم وحدهم وليس في الإسلام والإثم عليهم وحدهم .

هل بعد كل هذه الآيات والأحاديث يقول عاقل أن الإسلام لا يهتم بالعمل الدنيوي أو يدعوا إلى التكاسل وترك الدنيا من أجل الآخرة ؟ ، بل إن من فعل ذلك خسر الدنيا والآخرة .

---

(١) كنز العمال رقم ٩٢١٠ ، وعزاه إلى الطبراني عن كعب بن عجرة .
(٢) كنز العمال رقم ٩٢١٤ وعزاه إلى الطبراني عن ابن عباس وابن عساكر عن أنس .
(٣) كنز العمال رقم ٩٠٥٧ وعزاه لأحمد وابن حميد عن أنس .
(٤) البخاري ٢٠٧٥ كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده ، ١ /٤٥٢ ، وابن ماجة ١٨٣٦ ، كتاب الزكاة ، باب كراهية المسألة ٢ /٥٨٨ .

الإسلام دين الوسطية

من المبادىء الرئيسية الهامة التي قام عليها وجعلها أساساً في منهجه مبدأ الوسطية القصد والاعتدال.

والوسطية تعني أن هناك طرفان ووسط ، والطرفان متضادان ومذمومان أما الوسط فهو العدل الخيار. لأن الإنسان وكما هو معلوم يتكون من جسد وروح فلا ينبغي أن يطغي جانب على آخر ، فلو طغي جانب المادة على الروح فسدت الآخرة ، ولو طغي جانب الروح على المادة فسدت الدنيا . لذا ينبغي على الإنسان أن يوازن بينهما ويعطى كل جانب منهما ما يشبعه ويرضي رغباته. فالروح لها متطلباتها من الإيمان والمعرفة والثقافة ، والجسد له متطلباته من الطعام والشراب والمتع والشهوات .

وهذه الموازنة بين الجانبين هي ما يسمى بالوسطية أو القصد والاعتدال.

والإسلام إذ جعل الوسطية منهجه ومبدأه فإنه يراعي فطرة الإنسان التي خلق عليها ، ولذلك إذا نظرنا إلى الإسلام نجده يدعوا إلى الوسطية في كل شأن من شئون الدين والدنيا ، وسطية في مجال العبادات والأخلاق والمعاملات والتشريعات وفي كل الأمور .فإذا نظرنا :

أولاً: في مجال الاعتقاد:

نجد أن الإسلام وسط بين طرفين مذمومين، طرف ينكر وجود الإله ويعتقد أن الحياة مادة وأن الكون خلق عن طريق المصادفة .

وطرف آخر يؤمن بوجود الإله ولكن يقول أن هناك آلهة متعددة حتى وصل الأمر إلى تاليه الإنسان .

أما الإسلام فكان وسط بين هذين الطرفين المتناقضين فيؤمن الإسلام بوجود

الإله ولكنه إله واحد قادر حكيم مُنزه عن كل صفات النقص والعيب ، ويستحيل أن يكون معه آلهة أخرى.

ثانياً في مجال العبادات :

هناك أيضاً طرفان مذمومان ، طرف غالي في العبادات وطلب من الناس أن ينقطعوا للعبادة في الصوامع والكهوف وترك الدنيا وما فيها ، حتى وصل الأمر إلى إجبار الناس على العبادة ولو بالقوة أو عن طريق القتل والتدمير والتطرف والإرهاب ، وطرف آخر عكس هؤلاء فرط في الدين وضيع وقال أن الدين مجرد شعائر يؤديها الإنسان في أوقات معينة ولا دخل للدين في شئون الحياة، والإنسان حر يفعل ما يشاء وخلعوا عن أنفسهم ربقة الدين ، ووصل الأمر إلى الانحلال والفساد وتضييع الدين بالكلية .

فجاء الإسلام وسط بين الطرفين فدعا إلى العبادة ولكن أمر فيها بالتيسير وحدد لها أوقات محددة ودعا الناس إليها بالحكمة والموعظة الحسنة دون إرهاب أو مغالاة، وكذلك وازن بين متطلبات الحياة دون تفريط في أمور الدين ، وإنما يدعو للتمسك بأمور الدين في كل شأن من شئون الحياة .

ثالثاً في مجال النفقات :

حتى في مجال النفقة نجد طرفين مذمومين : طرف بخيل شحيح يكنز الأموال و لا ينفق حتى على نفسه و أولاده ، بخلاً وشحاً وطمعاً وحرصاً على الأموال ، وطرف آخر ينفق كل ما يملك حتى وصل الأمر به إلى التبذير والإسراف ونفقة المال فيما وراءه فائدة وفيما لا فائدة له .

فجاء الإسلام وسط بينهما يذم البخل والشح والتقتير وكذلك يذم الإسراف والتبذير ويأمر بالوسطية بينهما ، فيقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** (٦٧) ﴾ [الفرقان : ٦٧] ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ**

الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

وهكذا في سائر مجالات الحياة في الطعام والشراب والعمل والراحة والنوم في كل شأن من شئون الحياة يدعوا الإسلام إلى التوسط دون تطرف أو مغالاة أو إفراط ، وكذلك دون انحلال أو تفريط ، ويكفي أن تعلم أن الله امتدح الأمة الإسلامية بأنها أمة وسط فقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

والكلام في هذا الموضوع لا ينتهي أكتفي بما مضى .




شبهات حول
الإسلام



شبهات حول الإسلام

مقدمة

الإسلام منذ اللحظة الأولي التي أعلن فيها النبي محمد ﷺ عن ظهور رسالة الإسلام وهو يواجه حملة شديدة من الكيد والعداء ، بدأت بمحاولات التعذيب والاضطهاد التي مارسها أهل مكة مع النبي محمد ﷺ وأصحابه الكرام، وكلما قوي الإسلام كلما اشتدت المواجهة مع المشركين ، وبدأت الحروب من أهل مكة للمسلمين للقضاء على النبي محمد ﷺ والإسلام والمسلمين ، واشتدت بعد ذلك الحملات الصليبية المعادية للإسلام والتي باءت جميعاً بالفشل فعلم المشركون والصليبيون أن المواجهة العسكرية لا تزيد المسلمين إلا تمسكاً بالإسلام فلجأوا إلى وسيلة أخرى وهي الطعن في المصدر الأساسي للإسلام وهو القرآن الكريم والسنة النبوية وإثارة الشبهات حول الإسلام ورسول الإسلام محمد ﷺ وبعض تشريعات الإسلام .

وإذا نظرنا إلى هذه الشبهات نجد أن الذي يثيرها أحد رجلين ، وأنا أنوء بك أيها القارئ الكريم أن تكون منهما ، أما الرجل الأول فهو عدو حاقد على الإسلام ورسول الإسلام ، وهو يعلم الحق لكنه يعرض عنه لهوىً في نفسه وهؤلاء قال عنهم القرآن الكريم : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل : ١٤] ، هو يعلم الحق لكنه يعرض عنه لمجرد الكيد والعداء للإسلام ورسول الإسلام ﷺ

أما الرجل الثاني فهو لا يعلم شيئاً عن الإسلام وإنما هو كالببغاء يردد كلمات يسمعها في وسائل الإعلام على ألسنة بعض المستشرقين أو الساسة أو الإعلاميين ولا يعلم حقيقة الأمور فيردد ما يسمع دون وعي أو فهم ، فهو

جاهل ولا يعلم أنه جاهل بل إمعة فهو مع الناس حيث قالوا : وهؤلاء قال عنهم رسول الله ﷺ : « **لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا و إن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم** »[١] .

وكما قلت لك أيها القارىء الكريم إني أنوء بك أن تكون واحدا من هذين الرجلين العدو أو الجاهل لذلك سأعرض عليك بعض ما أثاروه عن الإسلام وأبين لك وجه الحق بمنهج علمي عقلي واضح وصادق ثم أترك لك أيها القارىء الكريم أن تحكم بنفسك لتعرف هل حقاً الإسلام كما يقولون أم أنه دين الحق والعدل ومن الحق والعدل عندما يتهم إنسان بتهمة أن يدافع عن نفسه ، والإسلام ليس في قفص اتهام ، وإنما هو عرض لحقائق الإسلام في مواجهة هؤلاء الطاغيين .

والشبهات التي أثاروها إما أن تكون شبهات فهمها من أثارها خطأً من الناحية اللغوية فزعم أن القرآن فيه أخطاء لغوية، وإما بعض الأمور التي تتعلق بشخصية النبي محمد ﷺ، وإما بعض الأمور التي تتعلق بشريعة الإسلام .

وأقول هذه الشبهات كلها لا تقوى ولا وجود لها أمام بيان حقيقة الإسلام، ومبادئه السمحة الصادقة الواضحة،وإنما هو الكيد والعداء كما قلنا أو الجهل والخطأ ، فأما من ناحية الأخطاء اللغوية التي يزعمونها فالعرب هم أهل اللغة وهم أدري بها من غيرهم ولو وجد في القرآن ولو خطأ لغوي واحد لأظهروه للناس لينالوا من رسول الله ﷺ ومن القرآن، خاصة وإن القرآن قد تحداهم أن يأتوا بمثله وهم أهل الفصاحة والبيان ، ولو كان يوجد خطأ لغوي واحد لتغنوا به على مسامع الناس ، ولكن مع ذلك وقفوا عاجزين عن أن يأتوا بمثله ،فدل ذلك على بطلان الزعم بأن في القرآن أخطاء لغوية ، ولن أدخل معك أيها القاريء الكريم في أحكام اللغة العربية وإعرابها وما فيها من أمور قد تصعب على القاريء غير العربي أن يفهمها ، لذلك أقول وأؤكد أنه لا يوجد في القرآن ولا خطأ لغوي

---

(١) سبق تخريجه .

واحد ومن ظن ذلك فهو لم يفهم حقيقة اللغة العربية ، وكما قلت لو كان هناك خطأ لتمسك به العرب ولكن عجز العرب عن وجود خطأ في القرآن يؤكد عجز غيرهم من باب أولى ، إذاً انتفت هذه الشبهة وسائر الشبهات .

وحتى لا يطول بنا الكلام عن أمور بسيطة لا طائل من ورائها ولا تقوم أمام المنهج العلمي الصحيح اخترت لك أيها القارىء الكريم أهم هذه الشبهات وأخطرها ، لأبين فيها منهج الإسلام وبيان الحق ،ودحض هذه الافتراءات المزعومة حول الإسلام .

وأهم هذه الشبهات هي :

[١] الإسلام مؤلف من التوراة والإنجيل .

[٢] الإسلام سبب تخلف المسلمين .

[٣] انتشار الإسلام بالسيف والإسلام دين يدعوا إلى الإرهاب .

[٤] الإسلام والمرأة .

[٥] تعدد الزوجات .

الشبهة الأولى : الإسلام مؤلف من التوراة والإنجيل :

هذه الشبهة من الشبهات التي أثارها البعض ضد الإسلام ، وخلاصة هذه الشبهة أن الإسلام ليس جديداً بل هو مجرد خليط من التوراة والإنجيل ، وهذا يعني ان الإسلام ليس وحي من الله وإنما هو من تأليف محمد ﷺ مزج فيه بين التوراة والإنجيل ، وخرج بالقرآن من عند نفسه، ثم نسبه كذباً إلى الله ، ويرى البعض الآخر أن الذي علم محمداً ﷺ القرآن هو أحد الرهبان الذين كانوا على علم بالتوراة والإنجيل فجمع بينهما وسماه قرآنا، وعلمه لمحمد ﷺ ليكون كتاباً ليقود به مجموعة من الجنود المقاتلين .

وهذه الشبهة بهذه الصورة ليست جديدة فقد أثارها بعض العرب في عهد النبي محمد ﷺ ، وقالوا : إنه تعلم القرآن من رجل أعجمي اسمه (الرحمــن)

فرد عليهم القرآن يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (١٠٣) ﴾ [النحل : ١٠٣] .

الرد العلمي على هذه الشبهة كما يلي :

أولاً : ذكرنا في الفصل الثاني عند الحديث عن رسالة محمد ﷺ من الأدلة على صدقه استحالة كون القرآن كلام بشر وذكرنا مجموعة كبيرة من الأدلة على ذلك فيرجع إليه .

ثانياً : هذه الشبه تقتضي ثلاثة أمور :

- أن يكون محمد يستطيع القراءة والكتابة ليقرأ التوراة والإنجيل ليجمع بينهما ، وإلا كيف لأمي لا يقرأ ولا يكتب أن يمزج بين كتابين ضخمين مثل التوراة والإنجيل .
- أن يكون هناك من يعلم محمداً ﷺ سواء كان راهباً أم غيره .
- لابد أن يكون هناك تطابق أو تشابه بين القرآن والتوراة والإنجيل المنقول عنهما .

أما بالنسبة للأمر الأول : وهو لابد ان يكون محمد يعرف القراءة والكتابة فهذا أمر باطل لأنه ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن محمداً ﷺ أُمّي لا يقرأ ولا يكتب .

وبالنسبة للأمر الثاني : أن يكون هناك من علم محمداً ﷺ القرآن سواء كان راهباً أو غيره فالسؤال أين هذا الراهب ؟ ، وما اسمه ؟ ، وأين كان يعيش ؟ لماذا لم يذكر التاريخ شيئاً عن حياته ؟، لماذا لم يره أصحاب محمد ﷺ ؟ ، بل لماذا لم يذهب إليه العرب أهل مكة بدلا من حربهم لمحمد ويطلبوا منه أن يكف عن محمد ﷺ ويبعد عنه ؟، أو يؤلف لهم كتاباً مثله عندما تحداهم محمد ﷺ أن يأتوا بمثله ؟ ، بل لماذا لم يجهر هذا الراهب بنفسه بالدعوة إلى الإسلام وينال الشرف والملك والمكانة لنفسه بدلا من محمد ﷺ ؟ ، بل كيف ظل محمد ﷺ

يتعلم منه ثلاثة عشر عاماً في مكة وعشرة أعوام في المدينة ، دون أن يعلم أمره أهل مكة أو أهل المدينة ؟ .

ومن المعلوم أن القرآن نزل في ثلاث وعشرين عاماً فكيف تلقاه محمد ﷺ عنه طوال هذه المدة الطويلة ؟ .

بل لم يثبت أن محمداً ﷺ قابل أحداً من الرهبان في حياته إلا مرة واحدة عندما كان في الخامسة عشر من عمره ، عندما ذهب مع عمه أبي طالب في تجارة إلى الشام فقابله أحد الرهبان ويسمى (بحيرا الراهب) ، فعلم ذلك الراهب أن محمداً ﷺ ذلك الشاب الصغير هو النبي المنتظر فأمر عمه أبا طالب أن يعود به ولا يدخل به الشام خوفاً عليه من اليهود ، فهل يعقل أن يعلمه الراهب كل هذه الآيات والأحاديث والتعاليم والشرائع والقوانين والأحكام في مجرد جلسة واحدة وجملة واحدة ؟.

وبالنسبة للأمر الثالث يلزم من ذلك أن يكون القرآن مطابقاً للكتاب المقدس إذا كان القرآن مزيجا منه أو مقتبساً منه .

لكن الواقع والحق أن القرآن والإسلام عامة يخالف تماماً ما جاء في الكتاب المقدس فعلى سبيل المثال لا الحصر : الكتاب المقدس يدعوا إلى التثليث " وإن كنا قد حكمنا أنها من وضع المترجمين وليست أصلاً فيه " أما القرآن فيدعوا إلى التوحيد ونبذ الوثنية ويعيب التثليث .

الكتاب المقدس يدعوا إلى تأليه المسيح كما يقول النصارى والقرآن يحكم على من ألّه المسيح بالكفر يقول الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** ﴾ [المائدة :١٧] ، الكتاب المقدس يعتقد أصحابه أنه غير محرف والقرآن يقرر أنه محرف ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ** ﴾ [المائدة : ١٣] ، الكتاب المقدس يعتبر اليهود شعب الله المختار، والقرآن يصف بعضهم أنهم أحفاد القردة والخنازير ، لأن القرآن قد أنصف بعض اليهود ولم يتهم الجميع ، الكتاب

المقدس يصف الله بما لا يليق حتى ببشر عادي عليه سمات الصلاح فيصف الله أنه شبيه بالبشر فهو يأكل ويشرب وينسى ويتعب ويتصارع ويهزم ويندم ، والقرآن يصف الله بصفات الكمال والجمال والجلال والعظمة ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، الكتاب المقدس يصف الأنبياء أنهم مجرد لصوص أو قطاع طرق أو فسقة يشربون الخمر ويزنون ويقتلون ويغدرون ، والقرآن ينزه الأنبياء عن كل نقص بشري ويصفهم بصفات الكمال البشري .

الكتاب المقدس يدعو للقتل والتدمير والحرق للمدن والقرآن يدعو إلى التسامح والعفو والرحمة . وهكذا الأمثلة كثيرة .

إذاً فالقرآن في واد والكتاب المقدس في واد آخر فكيف يكون مأخوذاً منه .

يستحيل أن يكون القرآن من مزج بين التوراة والإنجيل ، ومن قرأ الكتاب المقدس وقرأ القرآن رأى الفارق واضحاً لا يغفل عن ذلك الفارق إلا من كان على عينيه غشاوة وطبع الله على قلبه وعميت بصيرته .

الشبهة الثانية : الإسلام سبب تخلف المسلمين :

وهذه الشبهة تعني أن ما فيه المسلمون اليوم من تخلف عن ركب الحياة فإنما بسبب تمسكهم بالإسلام الرد :

أقول من كان عنده شيء من إخلاص في القول وبيان للحق يقرأ تاريخ الإسلام وواقع المسلمين يجد أن الأمر على العكس تماماً من هذه الشبهة،والحق أن يقال أن سبب تخلف المسلمين بُعدهم عن الإسلام وليس تمسكهم به، وقد ذكرنا فيما مضى أن من أسباب عز المسلمين ورفعة شأنهم تمسكهم بالإسلام ، وقد قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب : « لقد كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله » فمن حقائق التاريخ التي لا ريب فيها أن الإسلام قد استطاع بعد فترة زمنية قصيرة من ظهوره أن يقيم حضارة رائعة كانت من أطول الحضارات عمراً في التاريخ ولا تزال الشواهد على ذلك ماثلة للعيان فيما

خلفه المسلمون من علم غزير في شتى مجالات العلوم والفنون ،وتضم مكتبات العالم آلافاً مؤلفة من المخطوطات العربية الإسلامية التي تبرهن على مدى ما وصل إليه المسلمون من حضارة عريقة، يضاف إلى ذلك الآثار الإسلامية المنتشرة في كل العالم الإسلامي ، والتي تشهد على عظمة ما وصلت إليه الفنون الإسلامية .

وحضارة المسلمين في الأندلس وما تبقى من معالمها حتى يومنا هذا شاهد على ذلك في أوروبا نفسها، وقد قامت أوروبا بحركة ترجمة نشطة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر لعلوم المسلمين ، وكان ذلك هو الأساس الذي بنت عليه أوروبا حضارتها الحديثة (١) ، ومن أراد الدليل فليسأل عن ذلك الخوارزمي وابن سينا وابن رشد وابن حيان وغيرهم من علماء المسلمين الذين أثروا العالم بمؤلفاتهم وأبحاثهم العلمية .

إن الإسلام يدعوا إلى العلم والحضارة والاختراع والابتكار ويرشد المسلمين إلى ضرورة النظر في الكون والبحث عن أسراره وإخراج كنوزه ، ولما امتثل المسلمون بذلك أقاموا حضارة سادت الدنيا وحكموا الأرض شرقاً وغرباً حتى وصلوا إلى قلب أوربا وشرق آسيا وأفريقيا شمالها وجنوبها في أقل وقت ممكن .

وما انتكس المسلمون ووصلوا إلى ما هم فيه الآن من ضعف وهوان وتخلف عن ركب الحياة إلا عندما تركوا تعاليم الإسلام،ولو عادوا إلى الإسلام كما تمسك به المسلمون الأوائل لأقاموا حضارة عريقة تعود بالمسلمين إلى سابق عهدهم .

إذاً فالخلاصة : أن سبب تخلف المسلمين لا يرجع أبداً إلى الإسلام ، وإنما لأسباب أخرى منها ما تعرض له المسلمون من حملات استعمار للعالم الإسلامي في القرنين الماضيين .

ومنها : جمود المسلمين ووقوفهم عند ما تركه المسلمون الأوائل وتمسكهم بمجرد الذكريات .

---

(١) حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك ، د. حمدي زقزوق ، ص ١٤٦ .

والإسلام بريء من كل تُهم تكال للمسلمين ، وأؤكد وأقول أن المسلمين سيعودون لقيادة الحياة عندما يجددون علاقتهم بالإسلام .

الشبهة الثالثة : الإسلام انتشر بالسيف :

هذه الشبهة تنطوي على جزئين .الجزء الأول أن الإسلام انتشر بقوة السيف ولولا السيف ما وصل الإسلام إلى ما وصل إليه، فهو ليس دين إقناع وإنما دين قوة واعتداء .

الجزء الثاني من الشبهة : أن الإسلام دين يدعو إلى العنف والإرهاب والتطرف وأن العمليات الإرهابية التي تحدث في العالم الآن السبب فيها هو الإسلام ، فالإسلام دين دموي يدعو إلى القتل والإرهاب .

هذا ملخص لهاتين الشبهتين ، وسأجيب إن شاء الله عن كل شبهة منهما على حده ، ولكن قبل أن أجيب أذكر القارىء الكريم بما قلت في مقدمة الشبهات أن العاقل المنصف لا يقبل هذه الشبهات التي تخالف العقل والمنطق وسأثبت ذلك بالدليل إن شاء الله ، ثم أذكرك أيضاً أيها القارىء الكريم بما قلته لك أن هذه الشبهات يثيرها إما عدو حاقد أو جاهل لا يعلم الحق ، لذلك نجد بعض المنصفين من علماء الغرب الذين مازالوا على دينهم ولم يدخلوا في الإسلام حتى ينحازوا له بل مازالوا غير مسلمين لكنهم صدعوا بكلمة الحق فرفضوا هذه الشبهات ودافعوا عن الإسلام بكل قوة ومن هؤلاء على سبيل المثال :

(١) **يقول سير توماس أرنولد** (إذا نظرنا إلى التسامح الذي امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الإسلامي ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق، ومن ثم لم يكن بد من أن نتلمس بواعث أخرى غير ذلك الباعث الذي أوحى بالاضطهاد [١] .

---

(١) التسامح في الإسلام محمد إبراهيم الجيوشي ، ص ٥٧ .

(٢) **يقول الكاتب الفرنسي هوبيرديشان** حاكم المستعمرات الفرنسية بأفريقية حتى سنة ١٩٥٠ انتشار دعوة الإسلام بأفريقية لم يقم على القسر وإنما قام على الإقناع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولاً ولا طولاً إلا إيمانهم العميق بدينهم ، وكثيراً ما انتشر الإسلام بالتسرب السلمي البطيء من قوم إلى قوم فكان إذا ما اعتنقته الأرستقراطية ، وهي هدف الدعاة الأول تبعتها بقية القبيلة ، وقد يسر انتشار الإسلام أمر آخر هو أنه دين فطرة بطبيعته سهل التناول لا لبس ولا تعقيد في مبادئه سهل التكيف والتطبيق في مختلف الظروف ووسائل الانتساب إليه أيسر فأيسر [١] .

(٣) **يقول سير توماس كارليل :** (كانت نية هذا النبي ﷺ أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة وقد بذل في سبيل ذلك كل جهد جهيد ولكنه وجد الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته ودعوته وعدم الإصغاء إليها بل عمدوا إلى إسكاته بشتى الطرق من تهديد ووعيد واضطهاد حتى لا ينشر دعوته أو يصدر رسالته، وهذا ما دفعه إلى الدفاع عن نفسه والدفاع عن دعوته وكان لسان حاله يقول : (أما وقد أبت قريش إلا الحرب فلينظروا إذن من نحن) ، لقد أصاب هذا الرسول في رأيه فإن أولئك القوم أغلقوا آذانهم عن كلمة الحق والصدق، وأبوا إلا التمادي في الباطل ، فاستباحوا الحرمات ونهبوا الممتلكات ، وقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) [٢] .

(٥) **يقول المؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون في كتاب حضارة العرب :** (قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة ولم ينتشر الإسلام بالسيف إذن بل بالدعوة وحدها وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب) [٣] .

هذه بعض شهادات المنصفين من علماء الغرب التي ترد هذه الافتراءات

---

(١) عالمية الإسلام ، د. أحمد شلبي ، ص ١٠٢ .
(٢) العلاقات الدولية والسياسة الخارجية في الإسلام ، أ . عبد التواب مصطفى ، ص ١١٠ .
(٣) حقائق الإسلام في مواجه شبهات المشككين ، ص ٤١٠ ، لمجموعة علماء .

والمزاعم التي تكال للإسلام والمسلمين وهناك الكثير من هذه الشهادات لصالح الإسلام والمسلمين نكتفي بما مضى منها ، وهي كفيلة أن نكتفي بها في رد الشبهات ولكن سنجيب على الشبهتين بردود علمية وعقلية في نقاط محددة ليعرف القارىء الكريم وجه الحق .

أولاً : لا يمكن أن ينتشر الإسلام بالسيف لأن من مبادىء الإسلام الأساسية التي أكدها القرآن والسُّنَّة (مبدأ حرية الاعتقاد) فالإنسان حر يعتقد ما يشاء ولا يملك أحد أن يجبره على عقيدة معينة ، قال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، وقال الله تعالي: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ [الكهف: ٢٩] ،وقال للمشركين : ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)** ﴾ [الكافرون :٦] .

وقال تعالى : ﴿ **أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ [يونس : ٩٩] ، فكيف يرسي القرآن قاعدة أو مبدأً أساسياً ثم يخالفه ؟

ثانياً : أن الإسلام عامة والقرآن خاصة حدد المنهج والأسلوب الذي يسير عليه الرسول ﷺ والمسلمون من بعده في الدعوة إلى الله وإلى هذا الدين ، وحددها في ثلاث وسائل فقال تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)** ﴾ [النحل : ١٢٥] ، فقصر القرآن أساليب الدعوة على ثلاثة أشياء الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن،ولم يذكر السيف ولم يدع إليه ، لأن الإسلام مقتنع أن الرأي لا يقابل بالسيف بل الرأي بالرأي والحجة بالحجة والبرهان بالبرهان .

ثالثاً : أن الإنسان لو دخل في الإسلام تحت الخوف من السلاح أو الخوف على نفسه وحياته فمن البديهيات الثابتة في الإسلام أن هذا لا يقبل منه الإسلام و لا تجري عليه أحكام المسلمين ، لأن الإيمان والإسلام في القلب والعقل، وليس

مجرد كلمات ينطق بها .

رابعاً : لم يثبت تاريخياً وإلى الآن أن الرسول ﷺ أجبر أحداً من الناس على ترك دينه، والدخول في الإسلام بل من تعاليم الإسلام الواضحة أن من أراد أن يبقى على دينه و لا يعتنق الإسلام فلا يُجبر على ذلك بل له الحق في ممارسة شعائر دينه فلا تهدم كنيسة ولا صومعة و لا صلبان ، بل لهم الحق كاملاً في ممارسة شعائر دينهم دون أن يتعرض لهم أحد من المسلمين بأي أذى .

خامساً : المنطق والعقل والواقع يرفض تماماً فكرة أن يكون الإسلام قد انتشر بالسيف كيف ذلك ؟.

أقول لما بدأ الرسول ﷺ دعوته بدأ في أهل مكة وكان وحيداً فكيف برجل وحيد لا مال له ولا سلطة أن يجبر مجموعة من السادة وأصحاب الأموال وأهل البلد كيف له أن يجبرهم على الدخول في طاعته وهو وحيد لا يملك إلا الكلمة التي بعث بها ، بل لما دخل المسلمون في الإسلام في بادىء الأمر وقف منهم أهل مكة موقف العداء والرفض وقابلوهم بالعذاب والاضطهاد والقتل والتشريد و مع كل ما لاقاه المسلمون من عذاب على أيدى أهل مكة منعهم النبي ﷺ من إشهار السيف ولو حتى للدفاع عن النفس ، بل كانت النتيجة بدلاً من أن يقول لهم دافعوا عن أنفسكم أمرهم بالخروج والهجرة من هذا البلد إلى بلد آخر وهي المدينة المنورة ، ومع ذلك لم يتركهم أهل مكة وشأنهم بل ظلوا وراءهم بالحروب والمواجهات .

والدليل على ذلك أن حروب النبي ﷺ مع أهل مكة قبل الصلح والهدنة كانت كلها قرب المدينة المنورة مثل غزوة بدر الكبرى وغزوة أُحد وغزوة الأحزاب وهي معارك ثلاث طاحنة دارت بين النبي ﷺ ومعه المسلمون ضد أهل مكة .

لم تكن هذه الحروب في مكة حتى نقول أن محمداً هو الذي ذهب إليهم ليحاربهم بل أهل مكة هم الذين جاءوا إليه في المدينة فاضطر للدفاع عن بلده الجديد ، فكيف إذاً يكون قد انتشر الإسلام بالسيف وهو لم يرفع سيفاً ليعتدي

على أحد بل ليرد عدوان أهل الشرك عن البلد الجديد الذي هاجر إليه .

سادساً : إذا سلمنا جدلاً أن الإسلام كان يستخدم السيف في دعوته فأجبني بربك على هذا السؤال، هل انتشر الإسلام بالسيف في ماليزيا وإندونيسيا وباكستان وأفغانستان، والصين وشرق آسيا؟، هل انتشر الإسلام في الهند بالسيف التي أصبح عدد المسلمين ما يزيد فيها عن خمسين مليون مسلم ؟، هل انتشر الإسلام بالسيف في روسيا والشيشان ودول الاتحاد السوفيتي السابق ؟، بل هل انتشر الإسلام في أدغال أفريقيا عن طريق السيف ؟، بل بالله عليك أيها القارىء الكريم أخبرني كيف انتشر الإسلام في أمريكا اللاتينية واستراليا ، هل انتشر هناك أيضاً بالسيف ؟ ، بل أسألك هل انتشر الإسلام في قلب أمريكا التي تحارب الإسلام تحت شعار الحرب على الإرهاب هل انتشر فيها الإسلام بالسيف؟.

أكاد أسمع الإجابة المنصفة من بين شفتيك وكأني أرى لسانك يتحرك بها ويقول بالطبع لا ، لا يمكن أن يكون الإسلام قد دخل كل تلك البلاد عن طريق السيف .بالطبع لا يمكن أن يكون هناك مليار وثلاثمائة مليون إنسان على وجه الأرض اعتنقوا الإسلام عن طريق السيف والقهر والقوة .

الواقع يقول : أن الأمة الإسلامية الآن في حالة ضعف لا تملك حتى حق الدفاع عن نفسها وعن أراضيها فكيف تنشر الإسلام بالسيف ؟.

أيها القاريء الكريم ، أظنك قد علمت الآن أن الإسلام لا يمكن أبداً أن يكون قد انتشر عن طريق السيف ، وإنما بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، والحق والإقناع والحجة والبرهان ، لأن الإسلام يحمل بين طياته دليل صدقه ونجاحه ، بل ويحمل للبشرية كلها كل أنواع الخير والتقدم والإزدهار .

إذاً ما انتشر الإسلام في كل تلك الدول إلا عن طريق رجال ودعاة وتجار حملوا الإسلام بكل أمانة وصدق وبينوا للناس بالدليل العملي قبل القولي حقيقة الإسلام، وصفاء الإسلام ، ويسر وسماحة الإسلام ، وكرم الإسلام ، وأخلاق الإسلام العظيمة ، مما دفع الناس أن يدخلوا في دين الله أفواجًا .

الجزئية الثانية أن الإسلام يدعوا إلى التطرف والإرهاب :

يتهم الإسلام بأنه دين يدعوا إلى العنف والتطرف والإرهاب، وأن العمليات الإرهابية التي تحدث في العالم اليوم فإنما هي بسبب الإسلام وما يحتويه القرآن والسُّنَّة من نصوص تدعو للقتل والإرهاب .

اسمح لي أيها القارىء الكريم أن أقول لك أننا في زمان كل من شاء أن يقول شيئاً قاله سواء بحق أو بباطل ، وأصبحنا في زمان انقلبت فيه الأمور فاصبح الحق باطلاً والباطل حقاً ، والظلم عدل والعدل ظلماً، والمقتول المعتدي عليه الذي يدافع عن دينه وعرضه إرهابي متطرف ، والقاتل المعتدي المغتصب للأرض والعرض والمال أصبح مسالم ووديع وله الحق في فعل ما يشاء .

وإذا نظرنا نجد الحروب والقتال موجود من آلاف السنين وقبل ميلاد النبي محمد ﷺ، ولكن إذا كان الذي يقاتل مسلم فهو إرهابي حتى ولو كان مظلوماً، أما الذي ينتهك الحرمات ويقتل ويدمر ويبيد الشعوب غير مسلم فهو على حق وله كامل الحرية والدعم في فعل ما يشاء ، لأن الزمان الآن لم يعد زمان الحق والعدل بل ميزان القوة والغطرسة والعداء للإسلام والمسلمين .

واني أقول لك أيها القاريء الكريم ولكل من يتهمون الإسلام بالإرهاب:

لماذا لم تتهموا اليهود بالإرهاب مع ما يقومون به في فلسطين من قتل للأطفال والنساء والشيوخ ؟، لماذا لم يتهم النصارى بالإرهاب مع ما قاموا به من مجازر في حق المسلمين في البوسنة والهرسك وكوسوفا والعراق ، وغيرها من بلاد المسلمين ؟، لماذا لم يُتهم الروس بالإرهاب مع ما قاموا به من وحشية في حق المسلمين في الشيشان ؟ .

ألست معي أيها القارىء الكريم أنه لا يوجد الآن دولة مسلمة تعتدي على أي دولة أخرى ، بل كثير من بلاد المسلمين تحت وطاة الاحتلال ، ومع ذلك يتهم المسلمون والإسلام بالإرهاب ولا يتهم غيرهم .

ألست معي أن ذلك ليس من العدل والإنصاف بل هو من الجور والظلم البين.

أيها القارىء الكريم يقولون أن القرآن والسُّنَّة ؛ وهما مصدر التشريع الإسلامي فيهم نصوص تدعوا إلى العنف والإرهاب، وهؤلاء كرجل يعيش في الظلام فلما خرج إلى النور ورآه بعينه لم تتمكن عينه من النظر في النور فاتهم النور ولم يتهم عينه .

أقول لهم : إذا كنتم تعيبون الإسلام وتقولون أن فيه نصوصاً تدعو للعنف والإرهاب فأروني ماذا عندكم ؟.

قبل أن تعيبوا الآخرين انظروا أولاً إلى ما عندكم ثم تكلموا كيف شئتم .

اسمح لي أيها القارىء الكريم أن أذكر لك بعض النصوص التي وردت في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، ثم أذكر لك مشروعية الجهاد والقتال في الإسلام والنصوص الإسلامية التي زعموا أنها تدعوا للقتال وقارن بينها وبين نصوص الكتاب المقدس واحكم بنفسك وأنا أعلم أنك ستكون منصفاً وعادلاً في حكمك بعيداً عن الأهواء والتعصب لدين معين .

(١) جاء في التوراة في سفر التثنية إصحاح (١٣: ١٥، ١٢، ١٧) :

(إذا أراد بنو إسرائيل (اليهود) رحمة الله فعليهم أن يدمروا ويُبيدوا الأمم الأخرى غير اليهود وينتهكوا حرماتهم ويأخذوا مدنهم وأرضهم ويقتلوا الرجال ويسبوا النساء والأطفال ، اقرأ معي ذلك النص من التوراة برقمه سالف الذكر في سفر التثنية (إن سمعت عن إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولاً فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها (تدمرها وتبيدها) بكل ما فيها من بهائمها بحد السيف تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحته، وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلي إلى الأبد لا تبنى بعد ... لكي يرجع الرب عن حمو غضبه ويعطيك رحمة) ، إبادة بالسيف لكل المدينة ولكل من فيها، حتى البهائم ثم تحرق المدينة عن آخرها ، أليس هذا

إرهاباً ؟! إن لم يكن هذا هو عين الإرهاب فأين الإرهاب إذاً ؟ ، ثم السـت معي أن هذا هو ما يحاول اليهود فعله في فلسطين كل يوم من مجازر يذهب ضحيتها العشرات من النساء والأطفال .

(٢) **وكلم الرب موسى قائلاً :** انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين فكلم موسى الشعب قائلاً جردوا منكم رجالاً للجند فيكونوا على مديان ليجعلوا نقمة الرب على مديان . . فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر وسبي بنوا إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم ومواشيهم وكل أملاكهم ، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم وأتوا إلى موسى والعازر الكاهن إلى جماعة إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة ،قال لهم هل بقيتم كل أنثى حية؟،فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن بمضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات) [١].

قتل للرجال والنساء والأطفال ونهب للأموال والأراضي وإحراق للمدن واغتصاب للنساء كل هذا ليس إرهاباً فأروني أين الإرهاب إذاً ؟ .

(٣) بل تدعو التوراة إلى اقتحام المدن ودعوة أهلها إلى الصلح والتسليم فإن سلموا وصالحوا بني إسرائيل فجميع الشعب في تلك البلاد عبيد لليهود وإن رفضوا الصلح فمصيرهم الهلاك والتدمير ، اقرأ معي : (فحين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بالتسخير ، ويستعبد لك .وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك هكذا

---

(١) سفر العدد إصحاح ٣٠ : ١-٣، ٧، ٩ -١٥، ١٢-١٨ ، نقلاً من منبر الإسلام العدد٤ ، لسنة ٦٢ ، ربيع الآخر ١٤٢٤هـ ، يونية ٢٠٠٣م .

تفعل بجميع المدن فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريمًا (تبيدها وتهلكها إبادة وإهلاكاً) [١] .

قتل وتدمير وإهلاك وإبادة وتشريد ونهب للأموال كل هذا ألا يعد إرهاباً ؟ هل يجرؤ واحد في العالم اليوم يقول أن اليهودية دين التطرف و الإرهاب ؟ بالله عليك أيها القارىء المنصف المدافع عن الحق أليس هذا هو عين الإرهاب ؟ .

■ ألست معي أن هذه النصوص لو وجدت في الإسلام لقام العالم كله ضد الإسلام وتغنوا بها على مسامع الدنيا كلها بل إن الإسلام لا يوجد به ولا نص واحد مثل هذه النصوص الموجودة في التوراة ومع ذلك يتهم بالإرهاب .

■ ألست معي أن ذلك لا يحركه إلا العداء للإسلام .

(٤) حتى العهد الجديد (الإنجيل) مع ما جاء به على لسان المسيح من الرحمة (من صفعك على خدك الأيمن فادر له الأيسر) ، نجد أنه يدعوا صراحة وبكل وضوح لا يحتاج إلى تفسير إلى استعمال السيف في وجه أعداءه بل يخبر أنه ما جاء من أجل السلام بل ما جاء إلا بالسيف اقرأ هذا النص: " لا تظنوا أني جئت لأرسي سلاماً على الأرض ما جئت لأرسي سلاماً بل سيفًا ، فإني جئت لأجعل الإنسان في خلاف مع أبيه والبنت مع أمها والكنة مع حماتها وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته » [٢].

أليس هذا إرهاباً ما جاء ليرسي سلاماً ما جاء إلا بالسيف ، جاء ليفرق بين الابن وأبيه والبنت وأمها ، باختصار لم يأت بالسلام بل جاء بالحرب .

(٥) في إنجيل لوقا (٢٢،٢٥-٣٦) : أن المسيح أرسل تلاميذه إلى مدن بني إسرائيل وأمرهم أن لا يحملوا زاداً ولا مالاً ، ولا يلبسوا أحذية وأن يبشروا باقتراب ملكوت الله فلما رجعوا قال لهم : حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شيء ؟ ، فقالوا : لا ، فقال لهم: لكن الآن من له كيس

---

(١) سفر التثنية ١٠ : ٢٠-١٦ ، نقلاً عن منبر الإسلام ، العدد ٤ السنة ٦٢ ص ١٢٠ .

(٢) إنجيل متَّى إصحاح ١٠ آية رقم ٣٤-٣٦ .

فليأخذه ومزود كذلك ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفاً)،يشتر سيفاً لماذا ؟، وماذا يفعل بالسيف ؟ ، أليس للحرب والقتال ؟.

إذاً كل الديانات تدعوا إلى الحرب بل الكتاب المقدس كما مر بنا يدعوا إلى تدمير مدن وإهلاك وقتل الرجال والنساء والأطفال أعداء بني إسرائيل وكذلك ففي التوراة أن نبي الله إبراهيم من كان لا يؤمن به كان يحاربه (تكوين:١٥-١) كل هذا ليس إرهاباً ؟.

نحن نعلم أن المسيح لم يحارب بنفسه ولم يحمل سلاحاً لكن أتباعه انطلاقاً من هذه التعاليم في الكتاب المقدس حملوا السلاح في وجه المسلمين في حملات صليبية على بلاد الإسلام باسم المسيح فقتلوا آلاف من المسلمين حتى قتلوا سبعين ألف مسلم في يوم واحد في بيت المقدس ومشت الخيول إلى الركب في دماء المسلمين ، كل هذا ليس إرهاباً ؟.

لكن عندما يأمر الإسلام المسلم أن يدافع عن نفسه وعرضه وماله وأرضه ودينه دون اعتداء على أحد من الناس بل يضع له قوانين صارمة وآداباً في حالة الحرب يجب على المسلم أن يتبعها حتى لا يظلم أحداً ومع ذلك يوصف الإسلام بالإرهاب ، سبحان الله ما أعجب هذا الزمان الذي نعيش فيه ؟.

بعد هذا العرض للحرب والقتال في الكتاب المقدس وفيما يتعلق بغير الإسلام اسمح لي أيها القارىء الكريم أن أوضح لك حقيقة الحرب والقتال في الإسلام وآداب الجهاد وأخلاقه ، ليتبين لك مدى الفارق بين الإسلام وغيره لتحكم بنفسك ولتعلم مَن دين الرحمة ومَن دين الإرهاب ؟.

الجهـــاد في الإســـلام

لا يوجد شيء في الإسلام يسمى الحرب المقدسة كما عند الصليبين ولكن في الإسلام كلمة الجهاد ، ومعنى الجهاد أن يبذل الإنسان ما في وسعه وجهده من طاقة من أجل الدفاع عن نفسه وعرضه وبلده ودينه .

والجهاد في الإسلام ليس غاية ولا هدف بل هو وسيلة مشروعة لتحقيق أهداف نبيلة وشريفة .

وقبل أن أذكر أهداف الحرب (الجهاد) في الإسلام وآدابه وأخلاقه اسمح لي أن أذكرك أولاً بحقيقتين كبيرتين لا ينكرهما عاقل له علم بالإسلام .

الحقيقة الأولى :

أنه في حالة السلم والعهد والأمان لا يجوز لمسلم بحال أن يقتل نفساً بشرية بغير حق ولو كان المقتول غير مسلم ومن قتل نفساً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً قال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ **أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [المائدة : ٣٢] ، إذاً فالقتل بغير حق محرم في الإسلام ويعاقب القاتل في الدنيا والآخرة .

الحقيقة الثانية :

أن الجهاد والقتال في الإسلام ليس غريزة ولا محبب إلى المسلم وليس هدف بل هو أمر استثنائي يكرهه المسلمون لكنهم في بعض الأحيان يضطرون إليه لأنه قد تكون فيه المصلحة ، قال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)** ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

إذاً فالقتل في غير الحرب محرم ومكروه يضطر إليه المسلم، لكن مع ذلك الجهاد له أهداف وغايات يقبلها كل عاقل، وهي على الوجه التالي :

أهداف الجهاد في الإسلام :

كما ذكرنا أن الجهاد في الإسلام أمر استثنائي فإن له أهداف، وأهداف الإسلام من الجهاد تنحصر في أمرين :

الأمر الأول حالة الدفاع عن النفس :

حالة الدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن عند الاعتداء ،عند حالة اعتداء الآخرين على المسلمين .

بإخراجهم من ديارهم وأوطانهم أو المظاهرة والمساعدة على إخراجهم ، فلا يجوز للمسلمين أن يقاتلوا أحداً ابتداءً وفجأة ، فالقتال في الإسلام دفاعي ورد للعدوان ولا يجوز أن يتجاوز رد العدوان عن المسلمين وديارهم وإسلامهم سواء كانت في مقاصد العدوان أو آليات وأدوات صد هذا العدوان [١] ، وهذا في جميع الآيات التي وردت في القرآن الكريم في هذا المعنى من عدم الاعتداء على الآخرين وعدم ابتداء القتال قال الله تعالى :﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** (١٩٠) ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

وأرجوا أن تنتبه أيها القارىء الكريم لقوله : ﴿ **وَلَا تَعْتَدُوا** ﴾ تحذير من الله بعدم العدوان على الآخرين ويقول النبي ﷺ : « **من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد** » [٢] .

الأمر الثاني : تأمين الدعوة :

الحالة الثانية التي شرع فيها الجهاد تأمين الدعوة ومعنى تأمين الدعوة محاولة فتنة المسلمين وإكراههم بالقوة على ترك دينهم و إخراجهم منه أو يحاولوا منعنا من تبليغ الدعوة والرسالة و يمنعوننا بالقوة .

---

(١) منبر الإسلام ، العدد ٣ ، السنة ٦٢ ، ربيع الأول ١٤٢٤هـ ، مايو ٢٠٠٣ م ، ص ٥٥ .

(٢) البخاري ٢٤٨٠ ، كتاب المظالم ، باب من قاتل دون ماله ١ / ٥٤٣ ، ومسلم١٤١ ، كتاب الإيمان ، باب من قُتل دون ماله فهو شهيد ١ / ٣٢٤ .

يقول الشيخ سيد سابق - رحمه الله - من علماء المسلمين عن حالة تأمين الدعوة هذه: « حالة الدفاع عن الدعوة إلى الله إذا وقف أحد في سبيلها بتعذيب من آمن بها أو بصد من أراد الدخول فيها أو بمنع الداعي من تبليغها » (١).

ولتوضيح ذلك المعنى أقول : أننا كمسلمين أصحاب رسالة سماوية عالمية لكل الناس وهي رسالة الإسلام وقد قام النبي محمد ﷺ بتبليغ الرسالة على أكمل وجه وأعظم بيان ثم أمرنا أن نحمل راية الإسلام ونذهب بها إلى العالم جميعاً ، لكن هناك كثير من الناس لا يريدون للحق أن يعلوا على الباطل ، لا يريدون للنور أن يسطع على البشرية ، فيقفون في وجه هذا النور وهو الإسلام ويحاولون منع المسلمين من تبليغ رسالتهم ،ولو كان المنع والصد بالرأي والحجة لقابله الإسلام بالرأي والحجة ، لكنهم يقفون في وجه الإسلام بالسيف والقوة والقتل والتعذيب للمسلمين لصدهم عن دعوتهم فشرع الله الجهاد للمسلمين لمنع هذا الصد عن سبيل نشر الدعوة .

وهذا أمر مشروع يقبله كل عاقل فمثلاً الصحفي عندما يريد نشر مقالة فتمنع في جريدة ما فإنه يبذل كل ما في وسعه للدفاع عن رأيه ولو أدي ذلك إلى موته ، فأحرى بمن يحمل رسالة النور والخير إلى الناس أن يدافع عن رسالته بكل قوة فإذا وقفوا أمامنا بالحجة قابلناهم بالحجة وإذا وقفوا أمامنا بالسيف منعناهم بالسيف ، ولذلك شرع الجهاد في الإسلام .

إذاً فالخلاصة : أن الجهاد لم يشرع حباً في الدماء والقتل وإنما شرع من أجل الدفاع عن النفس والوطن والعرض والدين ولمن يحاول أن يقف عقبة أمام نشر وتبليغ الرسالة إلى الناس .

ومع مشروعية الجهاد لهذه الأسباب المنطقية العقلية إلا أن الإسلام وضع آداباً وشروطاً للجهاد ، حتى لا تعم الفوضى وتكثر الدماء البريئة .

---

(١) فقه السُّنَّة ، السيد سابق ، جـ٣ ، ص ١٦ .

آداب وشروط الجهاد في الإسلام :

[١] إخلاص النية لله عز وجل فلا يكون في نية المسلم أي سبب للجهاد إلا ما ذكرنا من الأسباب الماضية فلا يكون في نيته القتال من أجل العدوان أو الانتقام أو احتلال أرض الآخرين أو أخذ أموالهم أو الاعتداء على أعراضهم بل تكون نية المسلم الدفاع عن نفسه وعرضه وماله وأرضه ودينه .

[٢] أن لا يبدأ المسلم غيره بالقتال إلا في حالة ضرورة قصوى كان يستعد العدو للهجوم علينا أو لخيانة عهده معنا والتعاون مع الأعداء ضدنا ، أما في الأعم والأغلب يجب على المسلم ألا يبدأ القتال بل ويخبر عدوه أنه سيقاتله إن لم يرجع عن عدوانه على المسلمين ويطلب من عدوه أن يكف عن المسلمين ولا يقاتل ، ثم نعرض عليه الإسلام فإن أبى وأصر على القتال قاتلناه .

[٣] ألا يتمنى المسلم لقاء العدو بل يتمنى أن ينتهي العدو عن عدوانه دون قتال حفظاً للدماء ، قال رسول الله ﷺ : **(لا تتمنوا لقاء العدو)** (١).

[٤] عدم قتل المدنين الذين لم يحاربوا ، وحرم الإسلام كذلك قتل النساء والأطفال والمرضى والشيوخ والرهبان والأجراء **(وجد النبي ﷺ في إحدى المعارك امرأة مقتولة فنهى عن قتل النساء والصبان)** (٢).

[٥] حرم الإسلام قتل الحيوان وإفساد الزرع وتلويث المياه وهدم البيوت وإحراق الزرع ، كان من وصايا خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه : « لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا تقطعوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا بقرة ولا شاة ولا بعيراً إلا لمأكله وسوف تمرون على قوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له " (٣).

---

(١) البخاري ٣٠٢٥ كتاب الجهاد والسير باب لا تمنو لقاء العدو ٢ / ٦٥، ومسلم ١٧٤١، كتاب الجهاد والسير ، باب كراهة تمني لقاء العدو ١٢ / ٤٠٥ .

(٢) البخاري ٣٠١٤ كتاب الجهاد والسير ، باب قتل الصبيان في الحرب ٢ / ٦٣ ، ومسلم ١٧٤٤ كتاب الجهاد والسير باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ١٢ / ٤٠٧ .

(٣) العلاقات الدولية والسياسة الخارجية في الإسلام ، أ. عبد التواب مصطفى ، ص ١٤٠ .

[٦] وحرم الإسلام التمثيل بجسم القتيل كقطع أنفه أو أذنه أو يده أو شيء من هذا القبيل قال رسول الله ﷺ : (**ولا تمثلوا**) [١]. و عدم الإجهاز على جريح أو مصاب لقتله ومن فعل ذلك حمل إثماً كبيراً .

[٧] النهي عن الغدر :

فإذا ما انتهت الحرب بصلح عام أو معاهدة أو أجار أحد من المسلمين محارباً من المشركين وأعطاه أماناً وجب الوفاء بالعهد والأمان وحرم الإسلام الغدر والخيانة فلا ينقض العهد ولا يقتل المؤمَن (أي المعاهد غير المسلم) [٢] ، قال رسول الله ﷺ محذراً المسلمين من قتل غير المسلم المعاهد (**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً**) [٣] .

[٨] وجوب رعاية الأسرى :

أوجب الإسلام على المسلمين رعاية الأسرى واحترامهم وتقديرهم وعدم التعرض لهم بسوء أو أذى أو أي صورة من صور العذاب وأوجب إطعامهم مما يأكل المسلم وكسوتهم وإكرامهم حتى كان المسلم يطعم أسيره من أفضل ما عنده من طعام ويأكل المسلم أردأ الأطعمة حفاظاً على أسيره ، قال الله تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ⑨** ﴾ [الإنسان: ٨ - ٩] ،وجعل الرسول ﷺ للأسير الذي يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة حق الحرية وإطلاق سراحه من الأسر ، بالله عليك أيها القارىء الكريم هل يجرؤ إنسان بعد ذلك وبعد هذه الآداب والشروط والأخلاق العظيمة للجهاد في الإسلام أن يقول أن الإسلام دين إرهاب؟ ، أين هذا من النصوص الأخرى في غير الإسلام التي تدعوا إلى الإحراق والتدمير والهلاك والإبادة للرجال والنساء والأطفال على أيد أحباب الرب كما

---

(١) مسلم ١٧٣١ ، كتاب الجهاد والسير باب تامير الإمام الامراء على البعوث ١٢ / ٣٩٨ .
(٢) الوصايا المنبرية شرح أربعين حديثًا من الوصايا النبوية ، عبد العظيم بن بدوي خلفي ، ص ٣٠١ .
(٣) البخاري ٣١٦٦ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم ٢ / ١٠٠ .

يزعمون عن أنفسهم أين هذا من رحمة الإسلام بالعدو في حال الحرب فلا نبدأه بقتال ولا نعتدي عليه ولا نقتل المدنيين ولا نقتل الرجال المستضعفين أو النساء والأطفال ولا نحرق بيتاً ولا زرعاً ولا نقتل راهباً ولا عابداً ولا نقتل حيواناً ولا نمثل بالمقتولين ولا نغدر أو نخون العهد والميثاق وأن نكرم الأسرى .

أليست هذه هي مبادىء الرحمة والعدل والإنصاف ؟ ، الإسلام أبداً لم يدع إلى إرهاب أو قتل أو تدمير .

لذلك إذا نظرنا إلى إحصائية بعدد كل من قتل في حروب النبي ﷺ جميعها من قتل من المسلمين أو من قتل من الأعداء لا يزيد العدد من الجانبين عن (٧٥٦) قتيلاً ، بينما في معركة واحدة في العصر الحديث وهي الحرب العالمية الثانية قتل ما يقرب من عشرين مليوناً من الناس ، وأبيدت بلاد وحضارات أليس هذا هو الإرهاب ؟ .

رابعا الإســـلام والمـــرأة

يتهم الإسلام دائماً أنه عدو للمرأة، فيتهم أنه ظلم المرأة، ولم يعطها حقها ، ومنعها من التعليم ، وممارسة الحياة العامة ، وأباح للرجل تعدد الزوجات ، وأعطاها في الميراث نصف الرجل ، وجعل شهادتها نصف شهادة الرجل ، وجعل الرجل قيماً عليها وهي لا حول لها ولا قوة .

هذه الشبهات شبهات مصطنعة لا أساس لها من الصحة ومن يرددها لا يفهم حقيقة الإسلام

لذلك وكما قلت لحضراتكم أن من يردد هذه الشبهات إما عدو حاقد على الإسلام وإما جاهل لا يعي حقيقة الإسلام، لآن الإسلام برئ تماماً من هذه الشبهات لآن هذه الشبهات وإن كانت في الظاهر كما يقولون إلا أنك لو قرأت ما يلي وفهمت حقيقة الإسلام لو وجدت أن ذلك عكس ما فهموه عن الإسلام وأن الإسلام كرَّم المرأة وحافظ عليها وأعطاها ما لم تصل إليه حتى الآن في العصر الحديث.

والآن اسمح لي أن أوضح لك حقيقة الأمر لتتعرف على عظمة الإسلام في تشريعه الخاص بالمرأة ، وسأجيب عن هذه الشبهات من شقين :

الشق الأول: الرد على هذه الشبهات بالتفصيل وبيان حقيقة الأمر .

(تعدد الزوجات ، ووضع المرأة في الميراث ، وشهادة المرأة نصف شهادة الرجل ، وحق القوامة للرجل على المرأة) .

الشق الثاني : وضع المرأة في الإسلام عموماً وبيان حقوقها .

الشق الأول :الشبهات التي أثيرت حول الإسلام بالنسبة للمرأة :

[١] تعدد الزوجات :

يعاب الإسلام أنه أباح للرجل تعدد الزوجات .فإن الرجل في الإسلام له الحق

أن يتزوج أربع نساء وهذا الأمر لا يقبله بعض الناس لذلك اتهموا الإسلام .

فأقول وبالله التوفيق :

هل الإسلام هو الذي شرع وابتدأ واخترع فكرة تعدد الزوجات ؟

هؤلاء الذين يثيرون الشبهات حول الإسلام دائماً ما يقعون في خطإٍ فادح لا يقبله العقل المنصف ،ذلك الخطأ أنهم يعيبون الإسلام ويتهمونه في أمور ليست من صنع الإسلام ابتداءً ويفعلها غير المسلمين وتقرها الديانات الأخرى ومع ذلك لا أحد يتكلم ولا يتهم غير الإسلام ، أليس ذلك من الظلم البين والعداء الواضح للإسلام ؟.

أقول : يعاب الإسلام أنه أباح تعدد الزوجات للرجل ، مع أن الإسلام لم يفرض تعدد الزوجات بل أباحه فقط لعلاج كثير من أمراض المجتمع التي تنشأ من تقييد الزواج بواحدة كما سنعرف الآن إن شاء الله . والإسلام كذلك لم ينشأ هذا النظام بل الإسلام هو الذي حدد هذا النظام وقيده بعدد معين وبشروط معينة

والحق الذي لا مراء فيه أن العرب قبل الإسلام كان الرجل يعدد الزواج بلا حد معين فقد كان من حق الرجل أن يتزوج عشر نساء ، ومائة امرأة ، وألف ، أي عدد شاء من النساء فلا مانع عندهم بشرط القدرة على النفقة عليهم ، ومع ذلك لم يتكلم أحد ليعيب العرب ، وليس الأمر قاصراً على العرب وحدهم بل غيرهم من الأمم كذلك واقرأوا التاريخ لتعلموا كيف كان وضع الزواج في العالم قبل الإسلام ؟ ، بل إن بعض الأنبياء السابقين كان له أكثر من زوجة وثبت ذلك في الكتاب المقدس ولم يعترض أحد من هؤلاء الذين يثيرون الشبهات حول الإسلام لم يعترض منهم أحد على الكتاب المقدس، ونحن لا نعيب تعدد زوجات الأنبياء حاشا لله فنحن نؤمن بالأنبياء جميعاً ونحبهم ونقدرهم عليهم الصلاة والسلام ولكن نطالب معاملة الإسلام بالمثل بالعدل والإنصاف وليس الجور والإجحاف .

فعلى سبيل المثال حتى لا يكون كلامنا جزافياً " نبى الله إبراهيم عليه السلام كان متزوجاً من سارة وهاجر وقطور ، وهو أب لليهود والنصارى والمسلمين وأيضاً كانت له سراري كثيرة (جواري) لقوله في الكتاب المقدس : (وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حي (سفر التكوين ٦ : ٢٥) .

وموسى عليه السلام كان متزوجاً من مديانية وحبشية (سفر العدد ١٢ : ١) ويعقوب عليه السلام كان متزوجا من حرتين وأمتين هما ليئة وراحيل وزلفة وبلهة (سفر التكوين ٢٩ : وما بعده) ، وما بعده (وكان لداوود عليه السلام نساء هن (أخينوعم اليزرعبلية - أبيجايل - معكة - حجيث - أبيطال - عجلة) الجميع ستة عدا بشبع امرأة أوريا الحثي التي أنجب منها سليمان عليه السلام (سفر: صموائيل الثاني٣ : ١- ٥) وكان لسليمان سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري (سفر الملوك الأول ١١:٣) [١] .

إذاً كان التعدد موجود قبل الإسلام بلا حد ولا عدد معين من النساء عند العرب أو حتى الأنبياء السابقين .حتى أن سليمان عليه السلام كما قلنا كان له سبعمائة من النساء السيدات ومع ذلك لم يتكلم أحد حول الكتاب المقدس وإباحته للتعدد وحتى العهد الجديد (الإنجيل) لا يوجد فيه نص واحد يمنع التعدد .

إذاً غير المسلم دينه أباح له أن يعدد كيفما شاء لكن الإسلام عندما يبيح التعدد لكن يقيده بعدد معين وفي ظروف معينة وبشروط معينة يعاب الإسلام أليس هذا من الإجحاف والظلم للإسلام ؟ .

الإسلام أباح التعدد لكن قيده وبشروط :

[١] لا يزيد العدد عن أربع نساء فقط .

[٢] الأصل في الإسلام زوجة واحدة والتعدد استثناء

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، مجموعة علماء ، ص ٥٣٨ .

[٣] التعدد مشروط بشرط القدرة المالية والصحية والنفسية أما غير القادر فيحرم عليه لئلا يحدث ظلم للإمرأة منهن .

[٤] التعدد مشروط بشرط تحقق العدل بين الزوجات في كافة الأمور في السكن، فلابد من سكن يناسب كل امرأة منهن ، وفي الملبس والمأكل والمشرب وفي المبيت وفي السفر ، عدل في كل شيء ، قال النبي ﷺ : **«من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما ، جاء يوم القيامة وشقه ساقط »** [١] .

وينبه القرآن الكريم أن تحقق العدل بين الزوجات من الأمور الصعبة والتي يتعذر تحقيقها فيقول تعالى : ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ** ﴾ [النساء : ١٢٩] .

وإذا كان الأمر كذلك وهو أن التعدد متعذر فعلى الرجل أن يكتفي بواحدة قال الله تعالى :﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ [النساء:٣] .

والتعدد مباح لأنه يكون في بعض الأحيان يكون في صالح الرجل والمرأة وفي صالح المجتمع كله حتى لا تنتشر الرذيلة والفساد في المجتمع ، لأن بعض المجتمعات التي منعت التعدد في الزوجات أباحت تعدد العشيقات والخليلات فانتشر الفساد الأخلاقي وانتشر الزنا والفواحش ، وانتشر أولاد الشوارع والأولاد غير الشرعيين مما أدى إلى معاناة هؤلاء القوم ، مما دفع بعض العقلاء منهم حتى من النساء للقول بإباحة التعدد والمطالبة بذلك .

كذلك قد تكون العوامل الاقتصادية سبباً لتعثر حالات الزواج فيكثر عدد النساء اللاتي يظللن بلا زواج ،فمثلاً في بلد كمصر وفي العام الماضي إحصائية تقول أن تسع ملايين فتاة فاتهم سن الزواج ولم يعد يرغب فيهن الشباب للزواج منهن ، فأي شيء أكرم لهن أن يبقين طيلة عمرهن بلا زوج وتحرم من الغريزة

---

(١) سبق تخريجه .

الجنسية وتحرم من تكوين الأسرة وتحرم من غريزة الأمومة، أم الأكرم لها أن تكون زوجة ثانية لها جميع الحقوق على زوجها وتصان كرامتها ويحفظ عرضها ؟! ، أي الأمرين أكرم لها ؟ ، أن تكون خليلة أو عشيقة أو في بيت من بيوت الدعارة التي انتشرت في كل مكان ، أم تكون زوجة ثانية كريمة مصانة محفوظة لها زوج يرعاها ولها أولاد يفرحون بها وتفرح بهم وتسر برعايتهم وتربيتهم ؟ ، اسألوا الفتيات اللاتي فاتهن سن الزواج لتعرفوا المأساة التي وصلت إليها المجتمعات بسبب منع تعدد الزوجات ، اسألوا لتعرفوا لماذا أصبحت البنت الآن تخرج على الفضائيات وفي الجرائد والمجلات وعلى شبكة المعلومات صفحات ومواقع وفضائيات خاصة وبرامج تحت عنوان (مطلوب عريس) آلاف الفتيات أصبحن الآن يبحثن عن الزوج في كل مكان وقد كبر سنها ولم تتزوج حتى الآن حتى أصبحت الصورة بهذا الوضع المأساوي ، هذه الفتاة التي عملت إعلاناً تطلب فيه زوجاً أيها أكرم لها أن تكون زوجة ثانية أم تظل تتخبط يميناً وشمالاً تبحث عن زوج يصون كرامتها ؟ ، اسألوا الفتيات والأرامل لماذا انتشر زواج المسيار والزواج العرفي وغيره مما يستحدثه الناس رغبة في الزواج وتكوين الأسر مع صعوبة الحياة الاقتصادية ، أيها أكرم للمرأة أن تكون مجرد لحظات للمتعة الجنسية في زواج عرفي أو مسيار أم تكون زوجة ثانية لها جميع الحقوق والواجبات ؟ ، إذا أردت أن تعرف الإجابة فاسأل واحدة ممن تزوجت عرفي أو ممن تزوجت زواج المسيار أو ممن تزوجت في السر أو ممن فاتها سن الزواج وعاشت بقية حياتها بلا زوج ولا أسرة اسأل أي واحدة منهن وستعرف أن التعدد أصبح خاصة في عصرنا هذا مطلب ضروري لسعادة الرجل والمرأة على السواء ، ولتعرفوا عظمة الإسلام عندما أباح تعدد الزوجات .

كما أنه في بعض الحالات تمرض الزوجة مرضاً شديداً يمنعها من أداء واجباتها الزوجية أو يمنعها من الإنجاب فأيها أكرم أن ينحرف الرجل ويمارس الفاحشة مع غيرها ؟ ، أم يرمي بالمرأة في الطرقات ويطلقها وهي مريضة بعد فترة من الزواج

والعشرة بينهما ويدعها تسأل الناس لكي تعيش ولكي تعالج نفسها ؟ أم الأكرم لها أن تبقى معه ويتزوج امرأة أخرى ويصون كرامتها وعفتها ، ويصان زوجها عن ممارسة الفاحشة ؟، اسألوا الغرب عن ما يعانيه الآن من حالات انهيار في المجتمعات بسبب ممارسة الفواحش؟.

إذاً فتعدد الزوجات قد يكون مطلباً ضرورياً لذلك أباحه الإسلام ولكن لم يتركه للأهواء بل له شروط وضوابط تقيده ، ألا فتدبر أيها القارئ الكريم واحكم بنفسك .

[١] وضع المرأة في الميراث :

هذه الشبهة تقوم على أن الإسلام أعطى المرأة نصف ميراث الرجل إذا فهو يظلم المرأة ويفرق بينها وبين الرجل ؟

وسنجيب عن هذه الشبهة في عدة نقاط :

أولاً : يجب أن ننتبه لأمر مهم وهو أن المرأة قبل الإسلام لم يكن لها حق في الميراث عند العرب ، وكثير من أمم الأرض ومن أصحاب الديانات الأخرى ، حتى في عصرنا الحديث عصر المساواة والحرية لم تأخذ المرأة حق الميراث إلا في وقت قريب جداً وإلى الآن في بعض البلاد لم تعطها حقها في الميراث كاملاً ، بل كان في بعض الأمم كما كان عند العرب أن المرأة هي نفسها تعد متاعاً ويرثها الرجل كما يرث أي متاع عن والده .

ثانياً : أقول الذي قسم الميراث هو الله عز وجل وليس بشر ، الله الذي خلق الذكر والأنثى ولم يميز بينهما ولم يحاب الرجل على حساب المرأة ، وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير .

ثالثاً : توزيع الميراث في الإسلام ليس مبنياً على نوع الوارث ذكر أو أنثى وإنما مبني على درجة قرابة الوارث من الميت المورث .

رابعاً : ليس في كل الحالات المرأة تأخذ نصف الرجل بل هذه حالات محددة

فقط ، لكن هناك حالات تأخذ فيها المرأة مثل الرجل تماماً وحالات تزيد فيها المرأة عن الرجل وحالات ترث المرأة ولا يرث الرجل ، إذاً فكون المرأة تأخذ نصف الرجل ليس امراً مطرداً أو عاماً في كل الحالات ، وقد قام أحد العلماء المسلمين بعمل حصر لحالات ميراث الرجل والمرأة وانتهى إلى النتيجة التالية

[١] هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل .

[٢] هناك حالات اضعاف هذه الحالات ترث فيها المرأة مثل الرجل تماماً .

[٣] هناك حالات عشر أو تزيد ترث فيها المرأة أكثر من الرجل .

[٤] هناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث فيها الرجال [١] .

ولنضرب أمثلة لتوضيح الكلام وتأكيده :

إذا مات رجل وترك اولاداً ذكوراً وإناثاً فإن الذكر يرث مثل الأنثيين ، وإذا مات رجل وترك أخوة من أمه ذكور وإناث فإنهم يشتركون معاً للذكر مثل الأنثى تماماً ، إذا ماتت امرأة وتركت بنت وزوج فإن الزوج يأخذ الربع والبنت تأخذ النصف فهي تأخذ هنا أكثر من الرجل .

مما سبق يتضح لنا ان ميراث البنت نصف الرجل ليس عاماً في كل الحالات بل في أربع حالات فقط .

وهذه الحالات الأربع التي يرث فيها الرجل أكثر من المرأة ليس محاباة للرجل وإنما لاسباب جوهرية هامة ، من اهم هذه الأسباب أن الإسلام يلزم الرجل بالنفقة على زوجته وأفراد أسرته وفي الوقت نفسه لا يلزم المرأة بأي التزامات مالية لنفسها او لغيرها بل زوجها هو المسئول عنها ، فإذا قمنا بعملية حسابية بسيطة سيتضح لنا ان المرأة عندما تأخذ نصف الرجل من الميراث فإنها تكون في وضع مالي أفضل من الرجل ، وذلك لأن ما يأخذه الرجل يجب عليه أن ينفق منه على زوجته وأفراد أسرته بنين وبنات ، وعلى أمه وأبيه إذا لم يكن لهما مورد رزق آخر

---

(١) حقائق إسلامية في مواجهة شبهات المشككين ، ص ٥٥٨ .

غيره، وينفق على أخوته من النساء إذا لم يكن لهن عائل من الوالدين أو الزوج، ومعنى هذا أن ما يأخذه الرجل في تناقص مستمر بسبب هذه الالتزامات الكثيرة، أما المرأة فإنها لا تسال إلا عن نفسها وهي حرة في ميراثها حيث تستطيع أن تنميه في استقلال تام عن الرجل وليس عليها أي التزامات مالية تجاه أفراد الأسرة.

وزوجها ملزم بنفقتها حتى وإن كانت ذات ثراء وهذا يعني أن ميراثها سيكون في ازدياد مستمر ،ومن ذلك يتضح أنه ليس هناك ظلم للمرأة على الإطلاق أو انتقاص من شانها [١].

واسمح لي أن أضرب لك مثلاً يوضح الصورة أكثر هب مثلا أن رجلاً عنده ولدان صغير وكبير وأعطى كل واحد منهما عشرة جنيهات ثم قال للصغير احتفظ أنت بنقودك وقال للكبير أنت مسئول عن أخيك تنفق عليه في أكله وشربه وملبسة ومسكنه،وكل ما يحتاج إليه تحضره له من هذه الجنيهات العشر ، والصغير يحتفظ بنقوده ولا ينفق منها شيء ، أيكون ذلك الرجل قد عدل بين ولديه ؟ ها أنا ذا أكاد أسمع الإجابة منك أيها القارىء الكريم بالطبع لا لقد ظلم الرجل الولد الكبير ، لكن هب أن الرجل أعطى للكبير عشرة جنيهات وللصغير خمسة فقط ثم قال للكبير أنفق من العشرة التي معك على أخيك وقال للصغير احتفظ أنت بنقودك ، فإن أنفق الولد الكبير على أخيه خمسة من الجنيهات العشر بقى له خمسة أخرى فيتساوى مع أخيه الصغير ويكون قد تحقق العدل ، أرجوا أن يكون الأمر قد اتضح الآن لك أيها القارىء الكريم ، فلتعرف إن الرجل في هذه الحالات التي يأخذ فيها ضعف المرأة يكون مسئولاً عن تجهيز بيت الزوجية ويدفع المهر للمرأة ،ويحضر لها الهدية التي تعرف باسم الشبكة في مقدمة الزواج ، فالرجل ينفق في حالة الزواج على المرأة في كل ما تحتاج إليه المرأة أما المرأة فلا تنفق شيئاً بل تأخذ من الرجل المهر، والنفقة والكسوة فاقتضى العدل

---

(١) حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك ، حمدي زقزوق ، ص ١٠٢ .

أن يرفع ميراث الرجل لتتحقق المساواة بينهما في الميراث ، إذًا فالميراث في الإسلام وضع بحكمة من الحكيم الخبير سبحانه وتعالى وليس هباءً ولا جزافاً ، وصدق من قال : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك : ١٤] .

[٣] شهادة المـــرأة نصف شهادة الرجل :

وهذا الأمر أيضاً ليس على عمومة ،فليس في كل الأحوال تكون شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ، بل إن هناك أمور لا تقبل فيها شهادة الرجال وإنما تقبل فيها شهادة المرأة،وذلك في كل الأمور التي تتعلق بالمرأة مما لا يطلع عليه الرجال ، وهذا يدلنا على أن الشهادة مبنية على أساس من الخبرة والمعرفة وليس على أساس من الذكورة والأنوثة (١) .

والعبرة في الشهادة هي مدى تحقق اطمئنان القاضي لصدق الشهادة بصرف النظر عن جنس الشاهد ذكراً كان أو أنثى ، وبصرف النظر عن عدد الشهود، فالقاضي إذا اطمئن ضميره إلى ظهور البينة أن يعتمد شهادة رجلين أو رجل وامرأة او رجل وامرأتين أو امرأة ورجلين أو رجل واحد أو امرأة واحدة ، ولا أثر للذكورة أو الأنوثة في الشهادة التي يحكم القضاء بناءً على ما تقدم له من بينات (٢) .

أما عن قول الله تعالى : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، فهو على سبيل النصح والإرشاد لضمان الحقوق المالية وليس على الوجوب والإلزام ، وهذا ما قال به كثير من علماء المسلمين مثل ابن تيمية وابن القيم والإمام محمد عبده والشيخ محمود شلتوت .

فالعبرة باطمئنان القاضي لصدق البينة ، والدليل على صحة ما ذهب إليه هؤلاء العلماء أن النبي ﷺ وهو الذي أنزل عليه هذه الآية قد قبل شهادة رجل

(١) حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك ، حمدي زقزوق ، ص ١٠٥ .
(٢) حقائق إسلامية في مواجهة حملات شبهات المشككين ، مجموعة علماء ، ص ٥٦١ .

واحد كما في السلب ورؤية هلال رمضان ، قبل شهادة امرأة واحدة كما في الرضاع ، وقد قرر القرآن شهادة المرأة وحدها كما في اللعان بينها وبين زوجها شهادتها مع اليمين ، والأمور والأمثلة التي قبل فيها النبي ﷺ والقضاة من بعده بشهادة امرأة كثيرة ، والآية السابقة التي تطلب شهادة امرأتين على سبيل النصح والإرشاد ، وهذا في المعاملات المالية فقط لأن في الغالب المرأة ليس من شأنها أن تتعامل في المعاملات المالية بل عمل معظم النساء في بيتها ، والإنسان تكون ذاكرته أقوى في العمل الذي لديه فيه خبرة كبيرة ، فلقلة خبرة المرأة في المعاملات المالية قد تنسى فتحتاج إلى من يذكرها.

كما أن هناك أمر هام وهو طبيعة المرأة الفسيولوجية فإن المرأة تعتريها حالات من تغير المزاج ، فمثلاً تأتيها العدة الشهرية (الحيض) ، وفي هذه الفترة كثير من النساء تكون عندها اضطرابات نفسية وتغير في المزاج فقد تنسى بسبب ذلك فتحتاج إلى من يذكرها .

كما أن المرأة من طبيعتها أنها رقيقة عاطفية أكثر من الرجل وقد تتأثر بأقل الأشياء فترق لحال واحد من أصحاب الدعوى فتحتاج إلى من يعينها .

الخلاصة إذاً مما سبق : أن القول بشهادة رجل وامرأتين هو على سبيل النصح والإرشاد وليس الإلزام ، وذلك نظراً لطبيعة المرأة النفسية والفيسيولوجية وليس محاباة للرجل أو انتقاص من المرأة ، كذلك المعيار في الحكم لتحقق اطمئنان القاضي من صدق البينة وليس لنوع الشهود أو عددهم .

[٤] قوامة الرجل على المرأة والطلاق بيده ليس بيدها :

يفسر مثيروا الشبهات حول الإسلام قوامة الرجل على المرأة بمعنى أن الرجل أفضل من المرأة أو أن الإسلام ميز الرجل عن المرأة وجعله سيداً عليها كأنها علاقة حاكم ومحكوم أو رئيس ومرؤوس .

والحق غير ذلك ، وهذا التفسير للقوامة غير صحيح وليس من الإسلام في

شيء وإنما أخذوه من تصرفات بعض المسلمين ونسبوه إلى الإسلام، والإسلام بريء من هذا الفهم الخاطيء لمعنى القوامة في الإسلام ، وقبل أن أوضح لك معنى القوامة في الإسلام أضع بين يديك بعض الفوائد الهامة أولاً .

أولاً : الله عز وجل هو الذي خلق الرجل والمرأة ، وهو الذي أنزل التشريع الإسلامي وهو أعلم بمن خلق وهو اعلم بمصلحتهما .

ثانياً : الأصل العام في الإسلام المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات فكما ان للرجل حقوق على المرأة ، كذلك للمرأة حقوق على الرجل وليس معنى ذلك أنها نفس الحقوق بعينها ولكن كل حق يقابله حق آخر .

يقول الله عز وجل : ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، أي أن النساء لهن من الحق مثل الذي عليهن ، والله عز وجل ينظر للرجل والمرأة نظرة عامة متكاملة لا ينظر للرجل وحده ولا للمرأة وحدها بل ينظر إليهما أن كل واحد منهما لا يستغني عن الآخر وكل منهما مكمل للآخر وليس ضد له ، يقول الله عز وجل في القرآن الكريم : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤)** ﴾ [الليل : ١-٤] ، أي كما أن الليل والنهار لا يستغني كل واحد منهما عن الآخر وليس كل واحد منهما ضد الآخر فكذلك الرجل والمرأة، وقال الرسول ﷺ : « **النساء شقائق الرجال** »[1] ، إذا كان الإسلام ينظر للرجل والمرأة هذه النظرة العامة على قدم المساواة فما معنى قوامة الرجل على المرأة ؟ .

أقول : القوامة جاءت في القرآن في قوله تعالى : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ [النساء : ٣٤] ، والآية الاخرى قوله تعالى : ﴿ **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، فما هذه الدرجة ؟، وما هذه القوامة ؟ .

---

(١) أبو داود ٢٣٦ ، والترمذي ١١٣ .

ينبغي أن نعلم أن هذه الدرجة وهذه القوامة ليست درجة ولا قوامة تشريف للرجل على المرأة وإنما قوامة ودرجة تكليف ، فليس معناها تشريف الرجل وإنما تكليف ومسئولية للرجل .

ويوضح الإسلام أن المسئولية عن الأسرة مشتركة بين الرجل والمرأة على السواء في حدود الشورى بينهما لرعاية مصلحة الأسرة ، قال رسول الله ﷺ : **« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها »** [1] إذاً فالقوامة للتكليف والمسئولية وليست للتفضيل والتشريف .

كل العقلاء في العالم يقرون أنه لا بد لأي مؤسسة من مسئول عن القرارات فيها يرجع الأمر إليه في النهاية بعد المشاورات وإلا هلكت هذه المؤسسة،فالشركة لابد لها من رئيس مجلس إدارة ، والبلدة لا بد لها من حاكم ، والدولة لابد لها من رئيس جمهورية ، كذلك الأسرة تتكون من الرجل والمرأة والأولاد ولابد أن يكون هناك من يتحمل المسئولية حتى لا تغرق سفينة الأسرة في محيط الحياة .

والعدل والحق يقتضي أن يكون الرجل هو صاحب هذا الحق في القوامة وحرية أخذ القرار بعد استشارة الزوجة، وهذا ليس محاباة ولا تفضيلاً للرجل بل لأن الرجل أكثر خبرة في الحياة العملية من المرأة ، فهو الذي يعمل ويجتهد ويتعامل مع كل أنواع الناس في الشارع وفي السوق وفي العمل ، فهو أكثر خبرة بأمور الحياة ،كما أنه هو المسئول عن تكوين ذلك البيت وهو الذي يدفع المهر للمرأة ، وهو الذي ينفق عليها من حيث الكسوة والطعام والشراب وكل ما تحتاج إليه المرأة وهي غير ملزمة بشيء من ذلك .

إذاً فمن الحق والعدل أنه هو الذي يملك القرار في النهاية لانه تعب في تأسيس ذلك البيت وهو الأكثر حرصاً في الحفاظ عليه .

(١) البخاري ٥٢٠٠ كتاب النكاح ، باب المرأة راعية في بيت زوجها ٢/٥٨٥ ، ومسلم ١٨٢٩ ، والترمذي ١٧٠٥ ، وأبو داود ٢٩٢٩ .

والمرأة بطبعها عاطفية رقيقة ، وخبرتها في الحياة العملية قليلة ، ولا تنظر أيها القارىء الكريم إلى بعض سيدات الأعمال فهؤلاء قليلات ، والقاعدة تبنى على الكثير وليس القليل ، فلو أعطيت المرأة حق القوامة وحق الطلاق لانهارت الأسر، فإن المرأة عندما تغضب من زوجها لأقل الأسباب فإنها سرعان ما تطلب منه الطلاق، ولو استجاب كل زوج لزوجته عندما تغضب لما وجدت اليوم أسر ولطلقت كل النساء، لأن الرجل يملك نفسه ولا ينطق بما يهدم كيان الأسرة . أما المرأة التي تطلب الطلاق لأتفه الأسباب لو كان الأمر بيدها لطلقت نفسها في كل مرة تغضب فيها من زوجها .

ومع ذلك فقد أعطاها الإسلام الحق أن تطلب الطلاق من زوجها إذا رأت ان الحياة لم تعد تصلح مع هذا الزوج ، وإن رفض الزوج الطلاق ترفع الأمر للقضاء والقاضي يطلق رغم عن الزوج إذا تأكد من عدم قدرتها على الإستمرار في الحياة مع زوجها .

إذاً في نهاية الأمر نعلم أن القوامة ليست من باب تشريف الرجل على المرأة وإنما قوامة مسئولية ورعاية بما يقدمه الرجل من إعداد البيت والنفقة فيه .

ولنعلم أن الرسول ﷺ كان بنفسه يستشير زوجاته في كل أمر وكان يساعدهن في البيت ، وكان دائماً في خدمة أهله ، ينظف البيت ، ويحلب الشاة ، ويخيط الثوب ، ويرقع النعل .

وفي النهاية أقول إن العلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام علاقة تكاملية ليست علاقة ند ولا ضد ولا تفضيل لأحد الطرفين على الآخر بل علاقة قائمة على المودة والرحمة والحق والعدل من أجل استمرار الحياة وعمارة الكون .

الشق الثاني: وضع المرأة عامة في الإسلام :

الإسلام خص المرأة بمجموعة من الحقوق والمميزات بوضعها العام كامرأة وبوضعها الخاص كأم وزوجة وأخت وبنت ، ولكن قبل أن نعرف ونبين حق المرأة ووضعها في الإسلام اسمح لي أن أمر بك مروراً سريعاً على وضع المرأة في

الديانات الأخرى والقوانين المختلفة قبل الإسلام وحتى عصرنا الحاضر ، ثم أذكر لك وضعها في الإسلام ليتبين لك الفارق بين الإسلام وغيره في معاملة المرأة ولتعلم هل أنصفها الإسلام أم ظلمها ؟ ولأن الإنسان لا يعرف قيمة النور إلا إذا عاش فترة في الظلام ولا يعرف قيمة العدل إلا إذا عاش فترة من الظلم ، اسمح لي أن أبين وضع المرأة في بعض الحضارات ووضعها في الإسلام وقارن واحكم بنفسك من ظلمها ومن أعطاها حقها وأنصفها ؟ .

أولاً وضع المرأة في الديانات الأخرى والقوانين الوضعية :

قبل الإسلام وإلى وقت قريب لم تنل المرأة أي حق من حقوقها إلا في ظل الإسلام ، وحتى العصر الحديث لم يكن للمرأة أي حقوق ولم تحصل المرأة على شيء إلا بعد الثورة الصناعية وخروج المرأة للعمل ومطالبتها بالحرية وقيام جمعيات وهيئات نسائية تطالب بحقها ، ومازالت إلى الان تطالب المرأة بمزيد من الحقوق والمساواة بين الرجل فإنها في بعض البلاد إلى الآن تعمل ولكن تأخذ نصف راتب الرجل ، واسمح لي أن أذكر لك بعض الحضارات السابقة ووضع المرأة فيها ولنبدأ بوضع المرأة عند العرب .

[١] وضع المرأة عند العرب :

كانت المرأة العربية قبل الإسلام في أسوأ حالاتها ويكفي لتعلم مرارة الوضع الذي كانت تعيش فيه المرأة أن تعلم أن بعض القبائل العربية كانت تقتل البنات خشية الفقر او العار فكان الرجل إذا ولدت له أنثى أخذها وهي حية ودفنها في التراب بكل قسوة وبشاعة ، وكانت المرأة عرضة للغبن والحيف تؤكل حقوقها وتبتز أموالها، وتحرم إرثها وتعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجاً غيره وكانت تُورث كما يورث المتاع أو الدابة [١] ، بل هل تصدق أن بعض المأكولات كانت تحرم على المرأة ، وتكون هذه الأنواع من الأطعمة خاصة بالذكر

---

(١) الأسرة في النظام الإسلامي ، د. عبد الناصر حسيب ، ص ٩٨ ، بتصرف يسير .

دون الأنثى ، وكان الرجل له الحق أن يتزوج ما يشاء من النساء وبأي عدد شاء ولو تزوج ألف امرأة فليس من حق أحد أن يعترض عليه ،وإذا طلقها فله الحق أن يطلقها ويراجعها رغماً عنها وأيضاً أي عدد شاء، وكان أبوها أو وليها يجبرها على الزواج بمن شاء هو وبما رأى أن فيه مصلحته هو حتى دون أخذ رأيها بل وقد يكون بدون علمها، وكان بعض الرجال يجبر المرأة على الزنا ويحضر لها الرجال في مقابل أجر مادي وهو الذي يأخذ الأجر لنفسه وهي ما عليها إلا أن تمكن نفسها لمن أحضرهم من الرجال وليس لها مجرد حق الاعتراض على من ينهش في جسدها .

باختصار : لم يكن للمرأة عند العرب أي حق لا من الناحية المالية ، أو الاجتماعية ، أو الأخلاقية ، أو الإحترام، بل كانت مجرد سلعة تباع وتشترى وتسلب شرفها وعرضها وحياتها .

[٢] وضع المرأة في الصين :

لم تكن المرأة في الصين أفضل حالاً منها عند العرب ، بل يكفي لتعلم ما كانت عليه المرأة في الصين أن تعلم أن عقيدتهم أن المرأة خلقت من جنس أدنى من جنس الرجل .وأنها خلقت للأعمال الدنيئة .

ولكي تخرج المرأة الصينية مما كانت عليه لم تجد أمامها لتعبر عن وضعها المأساوي إلا الغناء فكانت تغني وتقول: " ألا ما أتعس حظ المرأة ليس في العالم كله شيء أقل قيمة منها ، إن الأولاد يقفون على الأبواب كأنهم آلهة سقطوا من السماء ، وأما البنت فإن أحداً لا يسر بمولدها ،وإن كبرت اختبأت في حجرتها تخشى أن تنظر في وجه إنسان ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها [١]، هل رأيت أبشع من ذلك تعبيراً عن وضع المرأة في الصين من هذه الكلمات البليغة !!.

---

(١) الأسرة في النظام الإسلامي ، د. عبد الناصر حسيب ، ص ١٠٨ .

[٣] المرأة في البوذية :

أما عند البوذيين فإن نظرتهم إلى المرأة زادتها سوءاً وتجاهلت كيانها وكأنها جماد أصم، بل ودعت إلى تجاهلها وغض الطرف عن وجودها ، إذ نظرت إليها على أنها أساس مساوىء الحياة وأصل انحراف الرجال وسبب ضياع الإنسانية وتدميرها .

يقول بوذا عن قبوله للمرأة في دينه:" لو أن هذا لم يحدث - أي لو لم يقبل دخول المرأة في دينه - لظل هذا الدين الطاهر ألف سنة أما الآن وقد دخلته النساء فلن يستمر أكثر من نص هذه المدة " ، وهو بهذا يحكم بأن المرأة سبب رئيسي في فساد الدين وتدميره والتعجيل بالقضاء عليه [١].

[٤] المرأة عند اليونان :

أما المرأة عند اليونان فلم تكن هي الأخرى تنعم بحقها في الحياة الكريمة بل يكفي لتعلم حالها وما وصلت إليه من انحطاط في المستوى يكفي لتعلم وضعها ان تسمع لقول أحد شعرائهم ومفكريهم وهو يقول : (ينبغي أن يحبس اسم المرأة في البيت كما يحبس جسمها) [٢].

[٥] المرأة في الهند :

الهند تعتبر أن المرأة الوفية ينبغي أن تخدم زوجها كما لو كان إلهاً وتخاطبه بقولها يا مولاي وأحياناً يا إلهي وسيدي ، وكانت تمشي خلفه ولا تستطيع أن تمشي بجوار زوجها ولا تأكل معه بل تأكل ما تبقي من أكله [٣]، بل وكانت المرأة في بعض الأحيان تدفن مع زوجها إذا مات وهي حية .

[٦] المرأة عند اليهود :

مع أن اليهودية ذات أصل سماوي إلا أن المرأة في اليهودية لم تكن أفضل

---

(١) المصدر السابق ص ١١١ .
(٢) المصدر السابق ص ١١٣ .
(٣) المصدر السابق ص ١١٨ .

حظاً من غيرها ويكفي للتأكد من مدى ظلم اليهودية للمرأة أن تعلم أن اليهودية تعتبر المرأة أقل شأناً من الرجل وهي المسئولة عن شقاء البشرية لأنها أكلت من الشجرة في الجنة وأغوت زوجها ليأكل معها، فعاقبها الرب بآلام الحيض والحمل والولادة وجعل زوجها سيداً عليها وهي تشتاق إليه ، ارجع في ذلك للنص كاملاً في العهد القديم في سفر التكوين الإصحاح الثالث (تكوين ٣-١٦) ، بل لا تعجب إذا علمت أن الكتاب المقدس العهد القديم يعتبر المرأة عند الولادة نجسة،ولكن نجاستها تختلف باختلاف المولود فإذا كان المولود ذكراً نجست سبعة أيام وإذا كان المولود أنثى نجست إسبوعين اقرأ معي ذلك النص(إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام وإن ولدت أنثى تكون نجسة اسبوعين) (سفر اللاويين ١٢ :٢-٥) أليس هذا ظلم للمرأة ؟!!.

[٧] المرأة في النصرانية

ومع ان المسيحية أيضاً ذات أصل سماوي إلا أنهم أهدروا كرامة المرأة ويكفي قول بعض علماءهم (إنه أولي لهن ـ أي للنساء ـ أن يخجلن من أنهن نساء وأن يعشن في ندم متصل جزاء ما جلبن علي الأرض من لعنات ، بل ذهب بعض علماءهم إلى أبعد من هذا فقال (أن أجسامهن من عمل الشيطان ويجب أن يلعن النساء لأنهن سبب الغواية) وكان يقال إن الشيطان مولع أن يظهر في شكل أنثى ، ومن أحكامهم أن المرأة لا تطلق إلا في حالة الزنا ، إذاً فكل امرأة مطلقة في المسيحية مفضوحة بأنها زانية .

بل العجب أنهم في بعض الأحيان كانوا يدرسون هل للمرأة الحق أن تعبد الله كما يعبده الرجل ؟! ، هل هي إنسان له روح يسر عليه الخلود ؟، أم هي نسمة فانية لا خلود لها ؟ [١] .

هذا وضع المرأة في الديانت والقوانين غير الإسلام والذي ظلت فيه المرأة من آلاف السنين ،حتى ثارت المرأة على هذا الوضع المرير في العصر الحديث وطالبت

(١) المصدر السابق ص ١٣٠ .

بمساواتها بالرجل ونيل حقوقها ، وتحررت من كل القيود حتى من الدين بل ومن الدين على وجه الخصوص ، لأنها قرأت هذه النصوص وعلمت أن الدين هو السبب الرئيسي في معاناتها ، لذلك خرجت المرأة في ثورة رهيبة على كل هذه القيود والتعاليم الدينية التي حرمتها حقها من آلاف السنين ، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من تحرر في كل شيء ، لكن هل المرأة المتحررة الآن بعد ما وصلت إليه من نيل حقها في التعليم والعمل والحرية في الحركة والملبس وكل شيء هل أصبحت الآن سعيدة ؟ .

الذي يقرأ الواقع الغربي الآن بعقل وإنصاف يرى أن المرأة الغربية الآن تعاني، ولذلك نجد كثيراً من النساء الغربيات بدأن يؤسسن جمعيات يطالبن بعودة المرأة للبيت لتستريح من معاناة الحياة .

فإن المرأة الآن أصبحت حرة في العمل ولكن أصبح عليها عبء المسئولية عن نفسها حتى أنها لو مرت يوماً بلا عمل فلن تجد طعاماً أو شرابًا ، لا تعجب إذا علمت أن المرأة الآن تبيع جسدها وتمارس الدعارة من أجل لقمة العيش، أصبحت تجارة الأعراض من أكثر أنواع التجارة بعد المخدرات والسلاح .

المرأة الآن أصبحت خليلة وعشيقة تبقى مع رجل صديق لها يعاشرها معاشرة الأزواج ،وإذا مَلَّ منها بعد فترة تركها وذهب وقد يتركها وهي حامل أو معها طفل صغير فماذا تفعل به وأين تذهب به وهي لا تملك حتى القدرة على النفقة على نفسها فتكون المأساة أن تذهب بهذا الطفل البريء الذي لا ذنب له إلى ملاجئ الأطفال غير الشرعيين أو تتركه في الشارع ليصبح من أولاد الشوارع الذين هم عرضة لتجار المخدرات والأعراض والإرهاب،وأصبح الآن الأولاد الغير شرعيين من الكثرة حيث تمثل مشكلة للمجتمع الغربي،بل ومما يعانيه ذلك المجتمع المتحرر أن كثيرا من الفتيات الصغيرات لم يتعدى أعمارهن الخامسة عشر وما زلن طالبات في المدارس ومع ذلك نسب مرتفعة جداً منهن حوامل من غير أزواج .

هذا غير حالات الأمراض والعقد النفسية التي تعاني منها كثير من نساء الغرب بل وحالات الانتحار التي يشهدها الغرب يومياً بسبب الخواء الروحي الذي تعيشه المرأة الغربية بعد أن حصلت على حقوقها كما تزعم .

نعم الصورة ليست قاتبة هكذا في كل النساء ، وأنا أعلم أن بعض النساء حصلت على حقوقها وهي الآن سعيدة ، لكن النسب الأخرى العكسية كثيرة جداً حتى أنها تسبب مشكلة حقيقة للمجتمع الغربي وعليه أن يتدارك الأمر، بعد هذه النظرة السريعة إلى وضع المرأة في الديانات الأخرى ، انظر معي إلى وضع المرأة في الإسلام لتعرف ماذا أعطاها الإسلام ؟.

وضع المـــرأة وحقوقها في الإســـلام

لم تحظ امرأة في الوجود بحق مثل ما حصلت عليه من حقوق في الإسلام وحقوق المرأة في الإسلام قررها القرآن والسُّنَّة منذ أربعمائة عام وألف ، أي من قبل الثورة الصناعية أو الأمم المتحدة أو منظمات حقوق الإنسان ، وحقوق المرأة في الإسلام كثيرة نأخذ منها بعض هذه الحقوق لنتحدث عنها

[١] حـق الحيـاة :

أعطى الإسلام المرأة حق الحياة وحرم قتلها أو وأدها وهي طفلة صغيرة يقول الله في القرآن الكريم متعجبًا ممن يقتل ابنته وهي طفلة صغيرة ويسأل ما ذنبها حتى تقتل فيقول الله في القرآن: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ [التكوير ٨] ، ويقول الله تعالي منكراً علي من يقتل ابنته خوف الفقر : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء : ٣١] ، ويقول الله تعالى : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ [الإسراء : ٣١]

وكلمة النفس تشمل الرجل والمرأة ، فيحرم الإسلام قتل المرأة لأي سبب من الأسباب بغير وجه حق ومن قتلها وجب أن يؤخذ الحق منه بان يقتل جزاءً على ما قدم من قتل نفس بغير حق .

[٢] حق المساواة بن المرأة والرجل :

قلنا قبل ذلك أن الإسلام ينظر إلى الرجل والمرأة نظرة تكاملية بغض النظر عن النوع فيساوي الإسلام بين الرجل والمرأة في أصل الخلقة بأن الرجل والمرأة مخلوقان من نفس واحدة ثم بث منهما الرجال والنساء. قال الله تعالي في القرآن الكريم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً ﴾ [النساء : ١] .

وساوى الإسلام بينهما في التكريم ، فقد كرم الإسلام الرجل والمرأة على حد سواء، كرم بني آدم على سائر المخلوقات بغض النظر عن نوعه ذكراً كان أم أنثي قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [الإسراء : ٧٠] ، ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في العبادة فالرجل يصلي كما تصلي المرأة في نفس الوقت ونفس الطريقة ونفس الهيئة ، وكذلك في سائر العبادات، مساواة تامة إلا في بعض الأمور البسيطة التي تخالف فيها طبيعة المرأة فإنها تخالف الرجل في بعض الأمور التي تخصها مثل الحيض مثلاً أو النفاس .

ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الأجر والثواب ودخول الجنة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) ﴾ [النساء : ١٢٥] .

[٣] براءتها من تهمة الغواية

برأ الإسلام المرأة من تهمة غواية آدم وكونها السبب في شقاء البشرية وخروج البشر من الجنة، وقرر الإسلام أن الشيطان وسوس لآدم ولحواء معاً على السواء ، وليس لحواء وحدها ، بل المسئولية الكبرى تقع على آدم، لذلك نجد القرآن الكريم مرة يقول أن الشيطان وسوس لهما معاً قال الله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا ﴾ [الأعراف : ٢٠] .

وتارة يحمل القرآن آدم المسئولية فيقول الله في القرآن الكريم : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) ﴾ [طه : ١٢٠] .

أما الحيض وآلام الولادة فليست عقاباً للمرأة بل هو شيء طبيعي في كل الإناث في سائر المخلوقات، وليس نساء بني آدم وحدهن ، وإلا إذا كان الحيض والولادة عقاباً للمرأة فلماذا تحيض بعض الحيوانات وتلد وتتألم ؟ ،هل أكلت من الشجرة هي الأخرى ، إذاً فالمرأة بريئة من هذه التهمة التي كانت سبباً في شقاء المرأة آلاف السنين .

[٤] حق التربية والرعاية والنفقة

أوجب الإسلام على الرجل حق تربية المرأة إذا كانت طفلة صغيرة وأمر برعايتها وصيانة حقوقها والنفقة عليها، ووعد الإسلام من أحسن تربية البنت بالأجر والثواب العظيم قال النبي محمد ﷺ : « **من ابتلى بثلاث من البنات فأحسن إليهن وأدبهن فأحسن تأديبهن كن حجاباً له من النار** » (١) ، فالرجل مكلف بتربية ابنته ورعايتها والإنفاق عليها . وليست ابنته فقط بل جعل الإسلام للزوجة حقوقاً على زوجها فهو المسئول عن إعداد البيت من السكن والأثاث , ويدفع المهر وينفق عليها في طعامها وكسوتها وهو مسئول عن رعايتها في كل ما تحتاج إليه ، كذلك الرجل مسئول عن أمه ينفق عليها ويرعاها ويقوم على مصالحها وهو مسئول عنها مسئولية كاملة ، سُئل النبي محمد ﷺ عن أحق الناس بحسن صحابته، فقال: « **أمك** ، قال الرجل ثم من ؟ ، **قال: أمك** ، قال: ثم من ؟ ، **قال: أمك** ، قال ثم من ؟ ، **قال : أبوك** » (٢) .

والرجل كذلك مسئول عن أخته التي لا عائل لها مسئول عن نفقتها في السكن والملبس والطعام والشراب وإعدادها للزواج وتهيئتها له ،والمرأة سواء كانت بنت أو أم أو زوجة أو أخت ليست مسئولة عن النفقة حتى ولو كانت من الأغنياء.

[٥] حق الميراث :

كانت المرأة قبل الإسلام لا ترث بل هي التي تورث كأنها متاع ، فأعطاها الإسلام حق الميراث ، وقسم الإسلام الميراث بنظام وحكمة حتى يتحقق العدل ، قال الله تعالى : ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا** ﴿٧﴾ ﴾ [النساء : ٧]

إذاً فالمرأة ترث كما يرث الرجل مع الاختلاف في أحوال الميراث ، كما ذكرنا سابقاً عند شبهة حرمان المرأة من الميراث .

(١) البخاري ٥٩٩٥، كتب الادب ، باب رحمة الولد ٣/١٣٧ ، ومسلم ٢٦٢٩ ، وأبو داود ٥١٤٧ ، والترمذي ١٩١٣ .

(٢) سبق تخريجه .

[٦] حـق العـلم :

الإسلام يدعوا إلى العلم بكافة أنواعه ، وجعله حقاً من حقوق الإنسان بغض النظر عن نوعه رجلاً كان أم أنثى ، بل إن الإسلام جعل العلم واجباً وفرضاً على الرجل والمرأة على السواء .

ولا يوجد دين من الديانات يجعل التعليم حقاً بل فرضاً غير الإسلام .

فالإسلام يدعوا إلى العلم والتعلم في كثير من الآيات والأحاديث التي تشمل الرجل والمرأة دون تفرقة بين الرجل والمرأة قال الله تعالى في القرآن الكريم **﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾** [المجادلة : ١١] ،والذين أوتوا العلم من الرجال والنساء على السواء .

ويقول الله تعالى : **﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾** [الزمر: ٩] ، سواء كانوا رجالاً أو نساءً ،ويقول النبي محمدﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » [١] ، وكلمة مسلم تشمل الرجل والمرأة ، لذلك استجاب النساء والرجال إلى هذا الأمر حتى جاءت إحدى النساء وسميت بوافدة النساء وقالت يا رسول الله إن الرجال غلبننا عليك ـ أي أن الرجال ازدحموا عليك ـ ونحن لا نستطيع أن نجلس معك فاجعل لنا يوماً خاصاً فجعل النبي ﷺ لهن يوماً خاصاً يعلمهن أمور دينهن .

ولا تعجب أيها القارىء الكريم عندما تعلم أن كثيراً من أحاديث النبي ﷺ قد رواها عنه زوجاته وزوجات أصحابه من النساء ، فأكثر من ألفي حديث عن زوجته عائشة وبعضها عن أم سلمة وهكذا ،وكثير من النساء كانت برزت في العلم إلى أعلى الدرجات، فهناك راوية الحديث وهناك الفقيهة والداعية لهذا الدين والطبيبة والمدرسة وغير ذلك .

[٧] حق العمل :

الإسلام لم يحجر على المرأة في العمل ، بل جعل لها الحرية الكاملة في أن

---

(١) سبق تخريجه .

تعمل ما تشاء لكن بشروط وهذه الشروط ليست لتقييد حركة المرأة في العمل وإنما لتحفظ المرأة ، وحمايتها وصيانة كرامتها، فلا يعرضها الإسلام للإبتذال والمهانة ، فاشترط الإسلام أن لا تكون هناك خلوة تخلو فيها المرأة مع رجل غريب أجنبي عنها لأن ذلك قد يؤدي إلى ضياع شرفها.

ولما تخلي النساء عن هذا الشرط واعتبر تخلف ورجعية سمعنا كثيراً عن حالات اغتصاب النساء وقضايا التحرش الجنسي الشهيرة التي نسمع عنها كل يوم بين مدير وسكرتيرة أو بين رئيس وعاملة عنده وهكذا ، فالإسلام ينأى بالمرأة عن هذا الوضع المشين ، وكذلك يشترط الإسلام أن يكون المكان الذي تعمل فيه آمناً عليها فلا يهدد حياتها أي خطر .

وكذلك يشترط الإسلام أن تخرج في زي محتشم لا يثير الشهوات لأنه إذا ما أثيرت شهوة كانت العاقبة وخيمة ، وكم سمعنا عن حوادث اغتصاب للنساء حتى في الطريق العالم ، والسبب الرئيسي في ذلك هو خروج النساء في زي مثير للشهوات ، وكذلك يشترط الإسلام ان لا يؤثر عملها على أسرتها كي لا تنهار تلك الأسر ، فاهم شيء في حياة المرأة أسرتها ،زوجها وأولادها ، فلا يؤدي عملها إلى إهمال أسرتها .

وكانت كثير من النساء تعمل ولا ينهاها الرسول ﷺ عن العمل ، فأسماء بنت أبي بكر كانت تعمل مع زوجها في الأرض وتساعده في عمله ، والنماذج في ذلك كثيرة .

إذاً فالمرأة في الإسلام لها الحق في العمل لكن بهذه الشروط حتى تامن على نفسها وعرضها ولا تنهار أسرتها .

[٨] حق الشورى :

من الحقوق التي جعلها الإسلام للمرأة حق الشورى ، أن يستشيرها الرجل في الأمور التي تهم حيتها وحياة المجتمع ، لأنها فرد من أفراد المجتمع فلها الحق أن

تبدي رأيها في الأمور التي تهم المجتمع ، أما عن استشارتها في الأمور التي تخص البيت وحياتها الزوجية قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

﴿ وَتَشَاوُرٍ ﴾ تعني : أن يستشير الرجل زوجته ليصلا معاً إلى قرار نهائي ، أما عن استشارتها في أمر المجتمع فمما يدل عليه أن النبي ﷺ بعدما عقد صلح الحديبية مع المشركين اعترض بعض الصحابة على هذا الصلح حزناً لأنهم مُنعُوا من دخول مكة المكرمة لأداء العمرة،وليس اعتراضًا على رسول الله ﷺ ، فاستشار النبي ﷺ زوجته أم سلمة - رضي الله عنها - في هذا الأمر فأشارت عليه أن يحلق رأسه ويذبح هديه ويعود إلى المدينة ، وكان رأيها هذا نعم الرأي ، عمل به النبي ﷺ فانتهت المشكلة .

إذاً فمن حق المرأة أن يأخذ الرجل رأيها في الأمور الخاصة بها ، وفي الأمور العامة التي تهم المجتمع ككل .

[٩] حق اختيار الزوج :

أعطى الإسلام للمرأة حق اختيار الزوج الذي تريده ،وليس لأحد من أهلها أن يجبرها على الزواج من شخص معين بل هي التي تختار الزوج الذي يناسبها وعلى الوالدين حق النصيحة والإرشاد لها ، جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تشتكي أن أباها زوجها من ابن عمها وهي كارهة فخيرها النبي ﷺ بين قبول هذا الزواج أو رفضه، فاختارت قبوله ولكن قالت : « أجزت ما فعل أبي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس لآبائهن الحق في إجبارهن على الزواج » (١) .

إذاً فمن حق المرأة أن تختار الزوج المناسب وليس لأحد أن يجبرها على الزواج ، ولكن جعل الإسلام من حق أبيها أن يمارس هو مراسم عقد الزواج ولا تمارسه المرأة بنفسها من باب الاعتراف بالجميل لهذا الأب الذي أنجب وقام

---

(١) سبق تخريجه .

بالتربية والرعاية وحتى تكتمل فرحته بزواج ابنته .

[١٠] حق التصرف المالي :

أعطى الإسلام للمرأة الأهلية ، والتصرف المالي كيف تشاء إذا كانت أهلاً لذلك ، أي إذا كانت بالغة عاقلة عندها خبرة في المعاملات المالية حتى لا تخسر مالها ويضيع هباءً ، أعطاها الإسلام حق تملك المال وحق التصرف فيه دون إذن من أحد فلها حق البيع والشراء والاستثمار وكافة أنواع المعاملات المالية دون تدخل من أحد من أهلها أو زوجها فهي حرة في مالها لا يأخذ منه أحد شيئاً إلا بإذنها وهي تضعه حيث تشاء .

وخير مثال على ذلك السيدة خديجة رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ وكانت امرأة غنية من أهل مكة وكانت تتاجر في مالها ، وتستثمره في الأسواق، ولما تزوجها النبي ﷺ لم يأخذ من مالها شيئاً إلا ما أعطته إياه عن طيب نفس منها ولم يجبرها النبي ﷺ أن تتصرف فيه بأي صورة من الصور .

إذاً في النهاية أقول إن الإسلام لم يظلم المرأة في أي أمر صغير أو كبير بل أعطاها الإسلام كامل حقوقها في الوقت الذي كانت النساء في سائر الحضارات والديانات تعيش في ظلم واستبداد .

أعطاها الإسلام حقها قبل العصر الحديث والثورة الصناعية والأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان بأربعمائة عام وألف.

كانت المرأة تتعلم وتعمل ولها كامل الحرية وكامل الحقوق قبل أن تسمع المرأة في الغرب عن حقوق المرأة .

بل من تكريم الإسلام للمرأة أن جعلها تحتفظ بلقبها واسمها كما هو ولا تسمى باسم زوجها كما هو الحال الآن، فالسيدة فعائشة رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ لم يتغير اسمها لتكون عائشة محمد بل ظلت عائشة بنت أبي بكر وهكذا لا تنسب المرأة لزوجها وإنما تحتفظ بلقب والدها وعائلتها .

ومن تكريم الإسلام للمرأة أن ذكر القرآن سوراً كاملة خاصة بهن بل وباسمهن ، فهناك سورة النساء وسورة الطلاق وسورة مريم ، منتهى التكريم للمرأة .

هل يجرؤ أحد بعد هذا البيان والتوضيح لحقوق المرأة في الإسلام أن يقول ان الإسلام ظلم المرأة وضيع حقوقها ؟ .

هذه الحقوق التي أقرها الإسلام للمرأة قبل أن توجد في أي دين آخر . هل توجد في الكتاب المقدس ؟ أو غيره من كتب الديانات الأخرى ؟ .

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] .

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

وبعد :

فها هو [الإسلام الذي لا يعرفه الآخرون] ....

وقد حاولت فيه توضيح صورة الإسلام المشرقة ، وبيان عقيدته الصافية وأركانه وقيمه , وقمت بالرد على بعض الشبهات التي أثيرت حول الإسلام .

وختاماً أقول هذا هو الإسلام الذي لا يعرفه الآخرون هذا ديننا الذي ارتضاه الله لنا ، وأقول كما قال الله تعالى : ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

وأقول كما قال الله تعالى : ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ [الكهف :٢٩] .

هذا هو الإسلام بأخلاقه وقيمه الشامخة العظيمة فمن قبل هذا الدين فلله الحمد ومن رفضه فلا نكرهه على الإسلام ونقول له ﴿ **مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا** ﴾ [الإسراء : ١٥] .

وأخيراً أطلب من كل أخ كريم أو عالم جليل اطلع على هذا العمل المتواضع فوجد فيه ملاحظات أو خطأ أن يتصل بي ويرشدني ، والمؤمن مرآة أخيه .

وكل من كان عنده سؤال أو استفسار عن شيء في البحث أو سؤال عن الإسلام عامة أن يتصل بي وإن شاء الله نجيب على أسئلته في أقرب وقت ممكن .

كما أسأل كل أخ اطلع على هذا البحث واستفاد منه ألا يبخل عليَّ بدعوة بظهر الغيب ، ولمن ساهم في طبع هذا الكتاب على نفقته .

وفي الأخير ، أدعو المولى عز وجل أن يتولى هذا العمل ، وأن يبارك فيه ، وأن ينفع به القاصي والداني ، وأن يتقبله مني، أستغفر الله من كل خطأ وتقصير، وأعوذ به من شر نفسي، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه
أبو عبد الرحمن
حامد محمد غانم
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين
Email:islam4you20@yahoo.com

المراجـــــع

[١] القرآن الكريم
[٢] الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)
[٣] (كتب السُّنَّة المعتمدة " البخاري - مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه - الإمام أحمد - بن عدي - الإمام مالك - الحاكم - بن أبي شيبة - ابن عساكر - الطبراني - البيهقي - كنز العمال - بن حبان) .
[٤] (الإسلام الدين الفطري الأبدي - مبشر الطراز الحسيني - دار عمر بن الخطاب .
[٥] (الدين ومدى أصالته الفطرية - د.محمد العذيري - دار الحضارة للطباعة والنشر.
[٦] العقيدة وبناء الإنسان - د.عبد الفتاح بركه - ط دار التراث الإسلامي .
[٧] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي - مكتبة الإيمان .
[٨] في رياض العقيدة الإسلامية - د.العربي سعد أبو هلال - ط مطبعة الأزهر الحديثة .
[٩] المذاهب المادية جذورها وتطورها - د.محمد الشناوى، د.خالد حسب الله
[١٠] منهاج المسلم - أبو بكر الجزائري - دار المنار.
[١١] (عقيدة المؤمن - أبو بكر الجزائري - ط دار السلام للطباعة والنشر .
[١٢] مواقف وإعجازات وقدرة الله البديع - محمد حسن قنديل - ط بستان المعرفة .
[١٣] البداية والنهاية - ابن كثير .

[١٤]مناهل العرفان في علوم القرآن - د.عبد العظيم الزرقاني - ط دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبي .

[١٥] معجزة القرآن - الشيخ الشعراوي - ط وزارة التربية والتعليم.

[١٦]دلائل النبوة - للبيهقي .

[١٧] أعلام النبوة - أبي الحسن الماوردي - ط دار الكتب العلمية.

[١٨] الكتاب المقدس في الميزان - الشيخ عبد السلام محمد - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

[١٩] مناظرتان في استكهولم - الشيخ أحمد ديدات - دار الفضيلة .

[٢٠]حولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا - العدد ٨ الجزء الأول ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م .

[٢١] قصة الحضارة - وول ديو رانت .

[٢٢]المقاصد العامة للشريعة الإسلامية - ابن زغيبة عز الدين - ط دار الصفوة للطباعة والنشر.

[٢٣] الحلال والحرام - د.يوسف القرضاوي - ط مكتبة وهبة .

[٢٤] حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام - القسم الأول - الأستاذ عبد النبي حسن عبد الوهاب - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

[٢٥] الدين والحضارة - د.حمدي زقزوق - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

[٢٦] (التسامح في الإسلام - د.محمد إبراهيم الجيوشي - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

[٢٧] حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك - د.حمدي زقزوق - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

[٢٨] عالمية الإسلام - د.أحمد شلبي - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

[٢٩] العلاقات الدولية والسياسة الخارجية في الإسلام - أ.عبد التواب مصطفى - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

[٣٠] حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين - مجموعة علماء - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

[٣١] قبسات من الهدي النبوي - د.بسيوني الكومي - ط مكتبة الأزهر الحديثة .

[٣٢] مختارات من سماحة الإسلام - د.أحمد محمد الحوفي - ط نهضة مصر للطباعة والنشر .

[٣٣] فقه السُّنَّة - الشيخ سيد سابق - ط دار الفتح للإعلام العربي .

[٣٤] الوصايا المنبرية شرح أربعين حديثاً من الوصايا النبوية - عبد العظيم بدوي - ط دار بن رجب.

[٣٥] الأسرة في النظام الإسلامي - د.عبد الناصر حسيب - ط مكتبة الأزهر الحديثة

[٣٦] مجلة الأزهر - عدد ٦ سنة ٧٣ شهر جماد الآخرة ١٤٢١هـ - سبتمبر ٢٠٠٠ م .

[٣٧] مجلة الأزهر - عدد ٦ سنة ٦٢ شهر ذو القعدة ١٤٢٤هـ ، يناير ٢٠٠٤م.

[٣٨] مجلة الأزهر - عدد ٥ سنة ٧٢ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ ، ديسمبر ١٩٩٩م.

[٣٩] مجلة منبر الإسلام - عدد ١١ سنة ٦٢ ،ذو القعدة ١٤٢٤هـ ، يناير ٢٠٠٦م.

[٤٠] مجلة منبر الإسلام - عدد ٥ سنة ٦٥ جمادى الأولي ١٤٢٧هـ ، يونية ٢٠٠٦م .

[٤١] مجلة منبر الإسلام - عدد ٥سنة ٦٥ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ ، أغسطس ٢٠٠٤م .

[٤٢] مجلة منبر الإسلام - عدد ٦ سنة ٦٣ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ ، أغسطس ٢٠٠٤م .
[٤٣] مجلة منبر الإسلام - عدد ٤ سنة ٦٠ربيع الآخر ١٤٢٢هـ ، يوليو ٢٠٠١م.
[٤٤] مجلة منبر الإسلام - عدد ٤ سنة ٦٥ ، ربيع الآخر ١٤٢٧هـ ، مايو ٢٠٠٦م
[٤٥] مجلة منبر الإسلام - عدد ٦ سنة ٥٩ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ ، سبتمبر ٢٠٠٠م .
[٤٦] مجلة منبر الإسلام - عدد ٨ سنة ٦٢ ، شعبان ١٤٢٤هـ ، أكتوبر ٢٠٠٣م.
[٤٧] مجلة منبر الإسلام - عدد ٧ سنة ٦١ رجب ١٤٢٣هـ ، سبتمبر ٢٠٠٢م .
[٤٨] مجلة منبر الإسلام - عدد ٣ سنة ٦٥ربيع الأول ١٤٢٧هـ ، إبريل ٢٠٠٦م.
[٤٩] مجلة منبر الإسلام - عدد ٤ سنة ٦٢ ربيع الآخر١٤٢١هـ ، يونيه ٢٠٠٣م.
[٥٠] مجلة منبر الإسلام - عدد ٣ سنة ٦٢ ربيع الأول ١٤٢٤هـ ، مايو ٢٠٠٣م .


فهرس

فهرس



تم بحمد الله